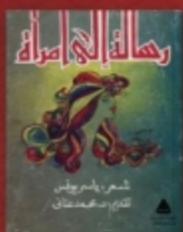


الأعمال الشعرية (1993-2023)



ياسر يونس

الأعمال الشعرية

(2023 - 1993)

جميع حقوق النشر محفوظة للمؤلف

الكتاب : الأعمال الشعرية (1993-2023)
المؤلف : ياسر يونس
الناشر : ياسر يونس
الإصدار الأول : سويسرا 2023
تصميم الغلاف : الأستاذة سناء أيت واهمي
الإخراج والتنسيق : الأستاذة سناء أيت واهمي

رقم الإيداع في كتالوج المكتبة الوطنية السويسرية

Bibliothèque nationale suisse (Helveticat) :
ISBN 978-2-8399-3854-9

تصنيف الكتاب : أدب/ شعر

يونس، ياسر محمود

الأعمال الشعرية (1993-2023)، سويسرا، 2023

641 ص، 21 سم.

Yasser Younes ©

ياسر يونس

الأعمال الشعرية

(2023 - 1993)

شعر

ديوان «أصدقاء حائرة»
ديوان «رسالة إلى امرأة»
ديوان «ليالي شهرزاد»
ديوان «الكُل يصفق للسلطان»
ديوان «لا تُعَارِضُ»
ديوان «صليب باخوس العاشق»
ترجمة مختارات من ديوان «أزهار الشر»
للشاعر الفرنسي «بودلير»، طبعة ثانية
مزيدة ومنقحة

إهداء

إلى قُرّاء الشعر وعشاق العربية
إلى كل من يتذوق الفن ويعشق الفُصحى
إلى من لا يتعصبون لفكرة ولا يعبدون مذهباً
إلى كل قلب لا تسكنه الأحقاد ولم يحمل الضغينة
إلى كل عقلٍ حالمٍ يُحلق بعيداً
عن الأفكار المسبقة والأيديولوجيات المنغلقة
إليكم جهد ثلاثين عاماً من الشعر والفكر
وتبدُّل الرؤى وتغيُّر الأفكار
أضع بين أيديكم ما يربو على ثلاثة آلاف وثلاثمائة بيت
من الشعر الموزون المُقفى راجياً أن تنال رضاكم
وأعدكم بالمزيد في المستقبل القريب.

ياسر يونس

إلى روح الدكتور محمد عناني

إهداء إلى روح الدكتور محمد عناني أول من
منحني فرصة النشر في الهيئة المصرية العامة
للكتاب وقت أن كنت يافعًا. وهو الذي اختار
عنوان ديواني الأول «أصدقاء حائرة». وكان دائم
التشجيع لي في شبابي إلى أن باعدت بيننا
مشاغل الحياة والمسافات. وقد كتب دراسة
عن أول دواويني «أصدقاء حائرة»، كما صدر ثاني
دواويني «رسالة إلى امرأة» بمقدمة الديوان.

فلروحه السلام

ياسر يونس

ثلاثون عامًا مع الشعر

لأن من طبيعتي الإيجاز، وسجيتي تنفر من الإطناب الذي لا داعي له، أود أن أبوح للقارئ الكريم، في عجالة، بخلاصة تجربتي مع الشعر طيلة ثلاثين عامًا. وأعني بثلاثين عامًا العمر الذي قضيته منذ إتمام أول دواويني الشعرية وإعداده للنشر، أي أنني أستثني سنوات البداية وتلمُّس الطريق.

لقد نشأت شاعرًا في زمن كان فيه الاستقطاب الفني والتعصب للمدارس الشعرية على أشدهما، فكان شعراء العمود لا يقبلون أي دفع نحو الحداثة، كما كان شعراء التفعيلة وشعراء قصيدة النثر ينظرون إلى الشعر العمودي بسخرية ويبدون له رفضًا شديدًا. وكنت لا أجد نفسي بين الحالين، فقد كنت أرى في كثير من شعراء العمود المُحدّثين جمودًا فكريًا وضعفًا في الخيال. وكنت أرى في كثير من شعراء التفعيلة مبالغة في حداثة العديد منهم لا يعرفها بل يتشبه بها، ولكن كان لديهم خيال أوسع أفقًا من خيال شعراء العمود.

أما أنا فبدأت مُقلِّدًا للقديم وذلك ليقيني أن الإبداع والحداثة في الشعر العربي لن يتأتيا للشاعر إلا بعد أن يتمكن من الشعر التقليدي ثم يجد طريقه ويبنى عالمه الشعري الخاص. وهو لكي يتسنى له ذلك ينبغي أن يتمتع بالموهبة وأن يتمكن من أدوات كتابة الشعر، وأن يكون لديه الجَدُّ والدأب والمثابرة، كما

ينبغي أن يُحصَل قدرًا من الثقافة والاطلاع وأن يُكون رؤية للحياة يستلهمها في شعره.

فبدأت تلك المغامرة الشعرية يحدوني الأمل في أن أُعبر عن نفسي كشاعر يعيش عصره ويعايشه، ويلتزم بالوزن والقافية. وللتوضيح فإن الشعر الجيد هو جيد كشعر دون تصنيف بين عمود وتفعيلية وقصيدة نثر، فأنا أحترم الإبداع حتى لو كان من مدرسة غير التي أنتمي إليها، ويعجبني الشعر مادام شعرًا جيدًا بصرف النظر عن أفكاره وأساليب كتابته.

ومراعاة للإيجاز أقول إنني حاولت طيلة ثلاثين عامًا أن أكتب مُعبرًا عن أفكار العصر الذي أعيشه وما يتوازي فيه ويتقاطع مع مشاعر وأحداث واغتراب.

وأكثر من تأثرت بهم من الشعراء القدماء: المتنبي وبن الرومي وأبو نواس وبن حمديس الصقلي، ومن المحدثين: أحمد شوقي وعلي محمود طه وصالح جودت وإيليا أبو ماضي، ومن الشعراء الغربيين: شارل بودلير وأوسكار وايلد وشكسبير.

وقد ملتُ بعد حين، إلى أن استعمل من أشكال بحور الشعر المُخلَّعات والمجزوءات والمشطورات والمنهوكات، كما ملتُ إلى استعمال قوافٍ لم تكن شائعة الاستعمال على امتداد تاريخ الشعر العربي، وخصوصًا منذ ديواني الثالث «ليالي شهرزاد» فديواني الرابع «الكل يصفق للسلطان» والخامس «لا تُعارض» وأخيرًا ديوان «صليب باخوس العاشق».

ومما أحببت في هذه المُخلَّعات والمجزوءات والمشطورات

والمنهوكات أنها تُوجز القول في عدد قليل من الكلمات، وهذا أقرب إلى طبيعة الشعر وألصق بإيقاع العصر الحديث. كما أن هذه القوافي التي لم يشع استعمالها تعطي شعوراً بالجدّة والبعد عن الابتزال.

والخلاصة أنني حاولت الإجابة والتجديد قدر الطاقة، وآمل أن أكون نلت قدرًا من التوفيق يتناسب مع ما بذلت من جهد، وأن أكون أصبت من النجاح في البرهنة على أن الشعر العربي بأوزانه وقوافيه يستطيع أن يعبر عن معطيات أفكار العصر وآماله وآلامه وخيالاته، وأن أوزانه وقوافيه ليست بعائق أمام الشاعر الموهوب المجيد بل هي تمنحه أدوات تساعد على الإبداع.

وفيما يتعلق بالأفكار فإنني آثرت أن أنشر مجموعة الأعمال الشعرية على ما كانت عليه لحظة ولادتها، حيث عبّرت عن دفقة اللحظة وفكرة اللحظة، وإن تغيرت بعض مواقف وأفكار بعد مرور كل تلك السنوات. ولم أدخل إلا القليل جدًّا من التنقيحات الفنية حصرًا.

إن صوت الحكمة يجعلني، وبكل اطمئنان، أتقبل كل مختلف وأتلقى بصدر رحب كل اختلاف، فأنا أؤمن الإنسان حتى وإن تبعادت أفكارنا ومواقفنا ورواؤنا.

فللإنسان ما كتبتُ

وللإنسان ما صغتُ

وللإنسان أحلم دائماً بالأفضل

ياسر يونس



ديوان
أصداء حائرة

ديوان أصدقاء حائرة

صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام 1993 عن
الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة إشرافات أدبية
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٩٩٣/٢٦٩٧

ISBN 977-01-3294-2

في عام 1995 أعادت الهيئة المصرية العامة للكتاب نشر قصائد هذا الديوان في ديوان «رسالة إلى امرأة» مع عدة قصائد أخرى، ولكن رفضت دار النشر حينذاك إعادة نشر قصيدة «رسالة إلى فاروق الأول»، لذا سأكتفي بنشرها هنا دونًا عن سائر قصائد ديوان «رسالة إلى امرأة» تجنبًا للتكرار، أما بقية قصائد ديوان «أصداء حائرة» فسيجدها القارئ في ديوان «رسالة إلى امرأة».

رسالة إلى فاروق الأول

مولايَ أين الصولجانُ
يا راحلاً قبل الأوانِ
والغيدُ في شُرُفاتِ قصرِك
سامراتُ لـالأذانِ
والكأسُ في أيدي النَّدامي
ملؤها خمر الجنانِ
رقصوا على جرسِ الكؤوسِ
كأنه نغم الكمانِ
فالكلُّ يفعل ما يرى
بشبابه فالعُمُر فانِ
والغيدُ في سنِّ الصِّبا
والجنسُ ضيفُ العُنُقوانِ
والمَلِكُ فوق العرشِ لا
يدري بأنَّ الوقتَ حانِ
وإذا بهِ والطَّيْلَسانُ
مَمَزَّقُ والصَّوْلجانُ

مَوْلَايَ أَنْتَ صَاحِبَةُ
وَالْمُلْكَ وَالشَّعْبِ الْمُهَانَ
أَبْكِي عَلَيْكَ مُرَدِّدًا
يَا مَنْ رَأَى مَلِكًا يُهَانَ
أَبْكِي عَلَيْكَ وَلَا أَرَى
فِي الْأُفُقِ غَيْرَ الذُّلِّ بَانَ
طُويْتَ صَحَائِفَ عِزِّنَا
نُشِرَتْ صَحَائِفُ الْاِمْتِهَانِ
مَوْلَايَ أَنْتَ تَرَكْتَهُمْ
قَتَلُوا بِأَنْفُسِنَا الْأَمَانَ
مَوْلَايَ أَنْتَ تَرَكْتَهُمْ
نَفَثُوا سُموماً الْأَفْعُونَ
إِنَّ الزَّمَانَ أَهَانَنَا
لَمَّا تَرَكْنَا الْمُلْكَ هَانَ
مَوْلَايَ أَنْتَ عَلَى الزَّمَانَ
وَلَوْ عَلَى كُورِهِ الزَّمَانَ
إِنْ كُنْتَ حُرًّا لَا تَعُدْ
فَالْحُرُّ لَا يَرْضَى الْهَوَانَ

* * *

دراسة لديوان «أصداء حائرة»

مولد شاعر

بقلم: د. محمد عناني

عندما تلقيت أول نسخة من هذه القصائد كنت أتوقع أن أقرأ تجارب يافع يتلمس طريقه في غابة الشعر العربي الفيحاء، ويحاول أن يضع أقدامه على الطريق الصحيح، ولكنني عندما انتهيت منها أيقنت أنني أمام موهبة مكتملة، وأن الشاعر يعرف طريقه خير المعرفة، وأنه، خلافاً لما يزعمه أصحاب الشعر الجديد، يستطيع أن يُسخر أفانين الشعر القديمة ليعبر بها عن روح هذا العصر، أي دون أن يتيح لها أن تجرفه إلى الماضي، أي أنه يريد أن يملكها بدلاً من أن تملكه. وقد نجح ياسر محمود في هذا إلى حد كبير، وإن كان ما يزال أمامه شوط طويل أتمنى على الله أن يقطعته بنفس الدأب والإيمان والعزيمة.

ونحن نفرح ونهلهل عندما يتفتح برعم من براعم الشعر في بلادنا، وكثيراً ما كنت أنصح طلابي الذين يطمحون في الوصول إلى دُرا الشعر الرفيع أن يهضموا تراثنا الشعري الحافل قبل الإقدام على الكتابة، وقد وجدت في ياسر من عمل بنصيحتي دون أن يسمعها بل ودون أن يراني، إذ عكف على تراثنا ينهل منه حتى ارتوى، ولعلك تسمع في بعض شعره أصداءً لكبار شعراء العربية، فهو يعتبر أن أبا نواس وبشاراً بن برد وبن الرومي والمتنبي أعذب الأصوات وأجملها

في تاريخنا الشعري، ومن يعكف على شعر هؤلاء يكون قد كسب الجولة الأولى في معركة الشعر، ومازلت أذكر قول الخوارزمي إن «من روى حوليات زهير واعتذاريات النابغة وأهاجي الحطيفة وهاشميات الكميت، وزهديات أبي العتاهية وخمريات أبي نواس.. ولم يخرج إلى الشعر فلا شيب الله قرنه». ولست أعتقد أن شاعرنا روى (أي حفظ عن ظهر قلب) شعر هؤلاء وأضربهم، ولكنه خرج إلى الشعر في عصر تغيرت فيه الأعراف الأدبية وهو لذلك جدير بالتشجيع.

وُلد ياسر محمود يونس في الإسكندرية وعام 1969 يطوي صفحته، العام الذي شهد مولد مسرحيات صلاح عبدالصبور الشعرية، وشهد تحولاً حاسماً في تاريخ شعرنا العربي عندما أعلن الدكتور لويس عوض في الأهرام أنه لم يعد للشعر القديم (العمودي) مستقبل، وأعلن احتضانه واحتضان نقاد الستينات (كما يُطلق عليهم) للشعر الجديد فحسب. وكنت آنذاك في إنجلترا أدرس للدكتوراة في الشعر الإنجليزي وأعجب كيف يتأتى لناقد مهما بلغت سطوته الأدبية أن يعلن انتهاء عصر أدبي وبداية عصر جديد، وإن كنت أنا نفسي من أنصار الجديد!

وعندما عدت إلى مصر في أواسط السبعينات، وياسر ما يزال طفلاً يتعلم الفصحى، كانت الساحة الشعرية قد انقسمت قسمين؛ كان القسم المؤيد للعقاد (رحمه الله) يواصل كتابة الشعر العمودي ولا يجد من يدافع عنه أو حتى يذكره، بينما كان القسم الذي يكتب ما يسمى بالشعر الحر (والذي أسميه الشعر الجديد) يملأ الدنيا ضجيجاً حتى بعد توقف رواده عن الكتابة، إذ كان صلاح عبدالصبور في الهند (مستشاراً ثقافياً) وكان أحمد عبدالمعطي حجازي في فرنسا (دارساً ومعلماً)، ولكن الضجيج لم يكن لأسباب

فنية قدر ما كان لأسباب سياسية، إذ اقترنت كتابة الشعر العمودي بالاتجاه اليميني (المحافظ) وكتابة الشعر الجديد بالاتجاه اليساري (الثوري). وبرز في الساحة شاعر شاب سرعان ما أكد هذا المفهوم واستطاع بما أثار حول شعره من جدل أن يرسخ الصلة بين ما يسمى بالاتجاه «التقدمي» والاتجاه «الحديث» (الجديد) وأن يضع كل ما كان يُكتب في إطار الشعر العمودي آنذاك في الجهة المقابلة بل والمناقضة فأصبح الشعر العمودي يُتهم «بالتخلف» (عكس التقدم) وبأنه قديم (عكس حديث أو جديد)، وكان ذلك الشاعر هو «أمل دنقل».

ولكن ذلك الشاعر لم يكن وحده، إذ كان يكتب الشعر الجديد عدد لا بأس به ممن بلغوا مرحلة النضج أو كادوا، مثل بدر توفيق ووفاء وجدي ومحمد إبراهيم أبو سنة وفاروق شوشة وفاروق جويذة وأحمد سويلم وفرج مكسيم وملك عبدالعزيز وعلى قنديل، ونجيب سرور ونصار عبدالله وغيرهم ممن لمعوا في أوائل السبعينات، ولكن «أمل دنقل» كان أعلاهم صوتاً وأقدرهم على المزوجة بين الاتجاه الفنى والاتجاه السياسى وخصوصاً معارضته للتحول السياسى الذى كانت بشائره قد تحولت إلى واقع جديد.

وفي الجانب المقابل كان كثيرون من الشعراء العموديين - مجيدين وغير مجيدين - أهدافاً لسهام «النقاد الجدد» (الذين أسماوا أنفسهم بالمُحدِّثين) فلم ينج منهم أحد، وأهمهم أحمد هيكل، وأحمد غراب وعبدالمنعم خفاجى، ومحمد التهامى، وعبدالعزیز شرف، وزكى العشماوى، وزاخر غبريال، وسعد درويش. وما إن حلَّت الثمانينات حتى أصبح الاستقطاب أمراً واقعاً؛ هؤلاء يرفضون الجديد لأنه جديد وحسب، وأولئك يرفضون القديم لأنه قديم وحسب.

وتحولت الأسباب التي كانت تدعو كلاً من الطرفين إلى الرفض من مجرد تعصب لمذهب ما إلى ذرائع وحجج. فمن يكتبون الشعر العمودي يحتجون بأن البحور الصافية (التي تعتمد على تكرار تفعيلة واحدة فقط) لا تكفى لتجسيد نبض العربية الزاخرة، وتحرم الأذن العربية من إيقاعات أصيلة تضرب بجذورها في أعماق تراثنا الأدبي، وقالوا ان شعر التفعيلة الجديد (أي الذي يعتمد على تكرار التفعيلة عدداً غير محدد من المرات في الشطور) يكسر النمط الإيقاعي الذي لا يقوم فن الشعر بدونه. كما أن هذا اللون من النظم يُعَرِّضُ الأبنية النحوية والتركيبية العريضة للتمزق والتفكك، ومن ثم يُصيب المصطلح الشعري العربي الأصيل بضربة في الصميم. وكان من أهم من يمثل هذا الاتجاه هو الدكتور يوسف خليف في مقدمة ديوانه «نداء القمم».

أما الذين يهاجمون الشعر العمودي فوجهوا انتقادهم للسمات التي أصبحت عَلَمًا على هذا الشعر وأهمها استقلال البيت (أي وحدة البيت الشعري) مما يُعَرِّضُ القصيدة للتمزق، وكانوا في ذلك، في حقيقة الأمر يجددون اتهامًا قديمًا رمى به عباس محمود العقاد شعر شوقي منذ كتاب «الديوان» وحتى كتابه «شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي»، وهو اتهام يقوم على تصور جديد للشعر أو قُلْ على نظرية جديدة للشعر، يحل فيه الرسام (الذي بيدع لوحة متكاملة) محل القائل الذي قد يقول أبياتاً بترتيب معين أو دون ترتيب معين، وقد لا يُذكر لشاعر من بين هذه الأبيات سوى بيت واحد أو شطر من بيت، بينما تختل القصيدة الحديثة خللاً كبيراً إذا حذفت منها بعض أبياتها، وقد تتغير صورتها ويختلف معناها إذا عدلت أماكن (أي ترتيب) أبياتها وهي تفقد، لا شك، جزءاً من معناها «الفني» حين تفقد بيتاً أو سطرًا (فالشعر الجديد يُكتب سطوراً لا

أبياتاً) أو كلمة!

ولكن هذه السمة الأخيرة لا تنطبق في الواقع على كل الشعر القديم، فالشعر العمودي، رغم استقلال الأبيات، يتميز ببنية داخلية تنبه لها المحدثون وخصوصاً أصحاب مذهب البنيوية، وتنبه لها من قبلهم «كولريديج» الناقد الإنجليزي (والشاعر) وكان الأشهر في ذلك عندما دعا إلى مراعاة ما سماه (بالشكل الداخلى للقصيدة). ويخطئ من يظن أن القصيدة العربية ذات الأبيات المستقلة لا شكل لها، أو أن استقلال الأبيات أو تعدد «الأغراض» يتنافى مع وجود الشكل الفني الذي قد يصل في تماسكه إلى حد استعصاء حذف شيء منه دون إخلال بالبناء الداخلى ككيان مترابط بل وموحد. ولدينا في شعر القدماء نماذج لا تعد ولا تحصى لهذا اللون الفني الراقى، وهو اللون الذى ظل شعراء الإحياء (أو شعراء «البعث» أو «النهضة») يحاولون الوصول إليه فينجحون أحياناً ويففقون أحياناً أخرى.

واليوم أقدم هذا الشاعر «الجديد» الذي يكتب الشعر «القديم» فأزعم أنه استطاع أن يعيد إلى الأذن العربية أنغاماً أصيلة طالما حُرمت منها، فأنت ترى في شعره السمات الأساسية للبناء الفني الأصيل، من تقابل وتضاد وتمازج واتزان، الى جانب رنة الصدق التي كثيراً ما تهب ذلك كله قدرة على النفاذ إلى أعماق النفس البشرية. ولا شك أن تأثر ياسر محمود بالمتنبى هو الذي أملى عليه هذا الأسلوب، وأعتقد أنه مهما كان «الموضوع» الذي يتناوله، فإن أنغام المتنبى تتردد أصداؤها في أبياته، وقد يكون هذا التأثير مباشراً كقوله في «الكافورية»:

خليلي ما للراح ساء مذاقها

أأسقيت سماً في كؤوسى أم خمرا

وهو البيت الذي ينظر إلى قول المتنبي:

يا صاحبيٍّ أخمُرُ في كؤوسكما

أم في كؤوسكما همُّ وتسهيْدُ

وقد يكون غير مباشر كقوله في نفس القصيدة:

وبيّض مني الدهر شعري وليتهُ

يُبَيِّض أحوالي كما بيّض الشعرا

والذي ينظر إلى البيت التالي:

تُسوّد الشمس منا بيض أوجهنا

كما تُسوّد بيض العذر واللّمم

وأحيانا تسمع أصداء محاكاة شوقي للمتنبي. فتعجب كيف ترجع الأصداء، خصوصًا عندما يبني ياسر محمود أبياته في هرم صاعد إلى ذروة تتضمن صورة حديثة، يتقبلها ابن هذا العصر كما لم يكن ليتذوقها ابن العصور الخوالي. فهو يفعل هذا في قصيدته «رسالة إلى يسوع» التي أحيانًا توحى بأن الصور التي يسوقها متفرقة ومقصودة لذاتها، وبأن الأبيات يمكن أن ينفصل بعضها عن بعض، وهذا في حقيقته وهم، فالأبيات الثمانية الأولى تمثل المدخل الذي يصور حين هذا العصر إلى نبوة المسيح عليه السلام، ويستمد مادته من صور القرآن لهذا النبي العظيم، من النخيل والرطب الجنّي، ثم من صور العرب للحيرة في الفلوات، ويتلوه نداء مباشر إلى يسوع يتحول فيه الحديث من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم، ويصعد في خط متعرج إلى الذروة كما تبين الأبيات التالية:

أيها الغائب الذي سوف يأتي

كم صبرنا وكم أطلت الغيابا

فشرينا الهوان في كل كأسٍ
واستطبنا الذل المرير فطابا
نبذ القمح في تراب الأمانِي
ونجني أحلامنا أعشابا

فالصورة الأخيرة جديدة بكل المقاييس، ليس بسبب ذكر القمح ولكن لأن صورة تحول القمح المبدور إلى أعشاب قد لا يكون فيها غناء، (أي لا تُسمن ولا تُغني من جوع) تربط بين القمح وبين الأحلام ربطاً جديداً يُبرز معنى «تراب الأمانِي» بقوة لا أخالها سبقت في شعرنا القديم وإن كان أحمد رامى رحمه الله مغرماً بصور الأمانِي الاستعارية في كل شعره (هتفتُ في الدجى طيور الأمانِي).

ولكن أنغام شوقى لا تغيب على قارئ هذا الديوان الأول، فمن يذكر قصيدة شوقى إلى الهلال:

سنون تعاد ودهرٌ يُعيدُ
لعمرك ما في الليالي جديدُ
أضاء لآدمَ هذا الهلالُ
فكيف نقول الهلال الوليدُ
ومن عجبٍ وهو جدُّ الليالي
يُبيد الليالي فيما يُبيدُ!

من يذكر هذه القصيدة سوف يلمح إعجاب ياسر بشوقى في قصيدته إلى البحر التى كتبها من نفس البحر!

إلام تظل وتمضي العُصْرُ
أبعَدَ مشيبكَ هذا كِبَرُ؟
وكيف أراك تجوب البلاد

ولست أسيراً وما أنت حُرُّ؟

وختامًا لا بد أن أذكر خصيصة ينفرد بها ياسر محمود وهي
العدوية الرومانسية التي ربما كانت ترجع إلى تأثره بعلي محمود
طه وبشارة الخورى بل وبصالح جودت! وأنا أذكر الأخير ربما بسبب
القافية:

ماذا ذكرتِ من الحكايه
ورويتِ عن دنيا هوايه
لا تسأليني عن غرامكِ
فالبداية كالنهايه!
أنا كنتِ سدره منتهاكِ
وكنتِ سدره منتهايه!

إننى أقدم هذا الشاعر الموهوب إلى قراء العربية في كل مكان
وكلي أمل فى أن يتذوقوا شعره مثلما تذوقته، وليت لنا فى كل قُطر
عربي شعراء يتحلون بهذا القدر من التمكن من اللغة وصنعة الشعر
قدر ما يتمتعون به من صدق العاطفة ودفء المشاعر، فلا غنى للطبع
عن الصنعة، ولا معنى للصنعة دون طبع!



ديوان
رسالة إلى امرأة

ديوان رسالة إلى امرأة

صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام 1995 عن
الهيئة المصرية العامة للكتاب
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٩٩٥/٥٠٦٤

ISBN 977-01-9890-0

صدر هذا الديوان متضمناً بين قصائده جميع قصائد ديوان «أصداء حائرة»، بالإضافة إلى عدد من القصائد الجديدة، لكن دون أن يتضمن قصيدة «رسالة إلى فاروق الأول»، وقد نشرتها في الجزء السابق وحدها، وقد أشرت إلى ذلك في موضعه.

هذا الديوان

بقلم: د. محمد عناني

(القاهرة، 1995)

عندما قدّمتُ ديوان الشاعر ياسر يونس «أصداء حائرة»، كنت في الحقيقة أعلن إيماني بالشعر العربي إيماناً عميقاً راسخاً لا يتزعزع، وعندما ألمحت في المقدمة إلى فساد التفرقة بين أنصار الشعر العمودي وأنصار الشعر المرسل (أو شعر التفعيلة) على أسس عقائدية، كنت في الواقع أنتصر لفن الشعر الذي يعلو على التصنيفات العقائدية والشكلية جميعاً، ويعلم الله كم عانيتُ من هذه التصنيفات الساذجة التي ابتليت بها الساحة الأدبية في العقود الأخيرة من هذا القرن، فحجبت عن عيون الكثيرين فن الشعر الصادق، بل إنها أَلقت بهم في لُجج لجاج عقيم، جرفتْهم بعيداً عن شواطئ الفن الحقيقي، فتقطعت بهم سبل التواصل مع تراثنا العبقري، فكأنما أصبحنا ننتمى إلى عالمين متصارعين بدلاً من الإحساس بالاستمرار الذي لا يكون حقيقياً دور تطور!

وعندما نفذ ديوان «أصداء حائرة» في أقل من عامين، شعرتُ بالسرور لأن حدسى صدق، فها هو شاعر شاب يستوعب التراث العربي الأصيل، ثم يخطو خطوته الأولى على درب الشعر مستوحياً أنغام ذلك التراث مع الإصرار على إسماع صوته الخاص - من خلال هذه الأنغام - إلى أبناء زمنه وأهل القرن العشرين!

وكان نفاذ الديوان الأول بمثابة إعلان نجاح للشاعر وللشعر العربى أيضاً! فدواوين الشعر كتب «ثقيلة الحركة» كما يقول العاملون بصناعة النشر، وأشعر شعراء بريطانيا في القرن العشرين لا تنفذ دواوينهم إلا بعد سنوات طويلة، على اختلاف جمهور القراء في العالم الناطق بالإنجليزية عنه في عالم قراء العربية! ولكن نفاذ الديوان الأول كان أيضاً إعلان نجاح للجمهور الذي أكد إقباله على شعر الفصحى المُعَرَّبَة، وعلى الشعر الموزون المُقَفَّى، أكثر من إقباله على شعر العامية أو على شعر التفعيلة! ومن هذه الزاوية، كان بمثابة إعلان نجاح للشوائج الحميمة التي تربط الكاتب بالقارئ، يلزم الشاعر بأن يعود إلى قارئه!

ولن أعود إلى تقديم صاحب الديوان، وصاحب الموهبة الأصيلة «ياسر يونس» اكتفاءً بما ذكرته في مقدمة ديوانه «أصداء حائرة»، لكننى سوف أضيف وحسب أنه لم يركن إلى الهدوء والدعة، ولم يفرح بنجاح ديوانه الأول نجاحاً يقعد به عن مواصلة الكد والاجتهاد، بل دأب على الاستزادة من تراث الشعر العالمى حتى اكتسب شعره أبعاداً جديدة زادت من أعماقه وأتاحت له المزيد من المزج الوثيق بين رؤاه الأصيلة (الخاصة) ولغة الفن العالمية (العامية)، وأنغام الشعر العربى الأصيل القديم والحديث في آنٍ واحد، فاستطاع أن يتطور بسرعة كبيرة تبشر بخير عميم. ومن خلال قراءاته في الأدب الفرنسى (وهو المتخصص في الأدب العربى) خرج بدرر شاعر فرنسى رومانسى عبقرى هو «بودلير»، وقدم له مختارات من ديوان «أزهار الشر» مُترجَمَةً إلى الشعر الموزون المُقَفَّى، لاقت نجاحاً ساحقاً فى معرض القاهرة الدولى للكتاب، وتخطفتها الأيدي بحيث لم تستطع المطابع أثناء المعرض تلبية حاجات القراء جميعاً!

هذا الديوان إذن هو الكتاب الثالث للشاعر ياسر يونس، ولن أعرض بالنقد والتقييم بالتفصيل لشعره، فلم يحن موعد ذلك بعد، ولكنني أقول إننا، أبناء العربية، نفخر بانضمام صوت أصيل بدأت أنغامه ترن أسمعنا ممتزجة بأصداء أنغام القدماء من فحول الشعراء، ثم تصافت فصفت كي تُسمعنا أدق خلجات صوته الخاص ونبضه المتفرد.

إننا نفخر بهذا الشاعر ونرحب به، ونعده بالتقييم النقدي المفصل في أعماله القادمة بإذن الله.

د. محمد عناني

(القاهرة، 1995)

رسالة إلى امرأة

ذلك الوجهُ والجَمالُ المشرَّدُ
ليس إلا أنوثَةٌ تتمرَّدُ
سوف ألقاهُ بعد عشرة أعوامٍ
وقد غاض ماؤهُ وتَجَعَّدُ
أفلا تعرفين كيف ستغدو
هذه الفتنةُ التي تتجسَّدُ
أفلا تدركين أن سوف تخبو
بين جنبيكِ جمرَةٌ تتوقَّدُ
سيموت الوردُ الذي فوق
خديكِ ويذوي العُصنُ الذي يتأوَّدُ
ذلك العَسجدُ الذي تلبسين
اليومَ إكليلهُ غدًا يتأكسدُ
عن قريبٍ تريينِ ثغركِ هذا
وهو خالٍ من الجُمانِ المُنضَّدُ

أنتِ ما أنتِ في الحياة بشيءٍ
غير تَمثالِ فتنةٍ يَتَبَدَّدُ
أنا لا أَشتهي هَواكِ وَلَكِنْ
أشتهي فيكِ شَهوةً تَجَدُّدُ
مَهَّدَ الشيطانُ الطريقَ إليها
فتعالِي على الطريقِ المُمَهَّدِ
إنَّما أنتِ في خَريفٍ طَويلِ
بَعْدَهُ يَأْتِيكَ الشِتاءُ المُخَلَّدُ
سوفِ يُفني هذا الشِتاءُ شعورًا
طالما كان جامحًا ليس يَخمُدُ
فاتقي اللّهَ في الجَمالِ وفينا
إنَّ هذا الجَمالَ ليس يُخَلَّدُ
إنَّما هَذهِ الحِياةُ عَروقُ
نحن فيها الدَّمُ الَّذي يَتَجَدَّدُ

* * *

لا تحسبيني عاشقا

لا تقولي كُنَّا فما كنتُ أهواكِ
قديمًا ولا وقفتُ ببابكِ
أو تقولي قد انتهينا وما نحن
ابتدينا من قبلِ طَيِّ كتابكِ
كنتُ ظمآنَ للأنوثةِ والأحلامِ
لَمَّا دعوتني لشرابكِ
فاتركيني لعالمي الآنِ وامضي
قد كفى ما شربْتُ من أكوابكِ
أنتِ أغريتني بلفتةٍ جيدِ
وبعطرٍ يفوحُ من أثوابكِ
وبقَدِّ يختالُ دَلًّا وتيهاً
وبخمرٍ رشفتها من رُضابكِ
هذهِ الجمرةُ التي في فؤادي
أنتِ أدكيتها بفيضِ التهايكِ
وأنا كنتُ شاعرًا جاء يعدو
باحثًا عن قصيدةٍ في رحابكِ

أنتِ لا تعلمينَ سِفْرَ حياتي
فاتركيني لتنعمي بشبابِك
أنا فوقَ السماءِ والناسِ والكونِ
وفوقَ الهوى وفوقَ عتابِك
قد تحررتُ من إساري وَلَكِنُ
أنتِ ما زلتِ في إسارِ ترابِك
أنا مثلُ السرابِ لن تلحقي بي
فاتركي الوهمَ وارجعي لصوابِك
واتركيني لا تطمعي في وصالي
بعد ما قد قَطَعْتَ من أسبابِك
هل تظنيني سأفني حياتي
لأصلي للحبِ في محرابِك
إن لي همًّا فوقَ همِّك يا أختُ
وفوقَ الجوى وفوقَ اكتئابِك
لا تطيلي العتابَ لا تجعليني
حائرًا بين قسوتي واضطرابِك
سوف أختارُ راحتِي أنتِ تدرينَ
ولو كانت راحتِي في عذابِك

* * *

هَيَّئِي الكَاسَ

هَيَّئِي الكَاسَ واشربِهَا هنيئَهُ
عَلَّهَا تُرَوِي فِيكَ غُلَّ الخَطِيئَةِ
واتركيني فَإِن لي غيرَ هذي
الكَاسِ كَأَسَا بَأدمعي مملوءَةٌ
لِي عشرونَ حِجَّةً أَحْمَلُ الرَّحَلَ
وَأَمْضِي وِليس لي من مَشِيئَتِهِ
لِي عشرونَ حِجَّةً فَوْقَ ظَهري
ثَقَلُ الدَهرِ والليالي المُسَيئَةُ
قَد تَخِذْتُ النُّوى رَفِيقَ طَريقِ
والهوى مَرَكَبًا وَقَلبي رَبِئَتُهُ
لا المدي واضِحٌ ولا السيرُ سَهْلٌ
وجميعُ الدروبِ حولي وبيئَتُهُ
كُلما حِذْتُ عن طَريقِ وبيءِ
قُذْتُ نَفسي لِسَكَةٍ موبوءَةٍ

* الرَبِئَةُ: الطليعة التي تراقب العَدُو.

وَإِذَا الْمَرْءُ ضَلَّتَهُ الْأَمَانِيُّ
فَقَدْ يَحْسَبُ الْكَهَوفَ مُضِيئَهُ
أَخْلَقَ الدَّهْرَ شِرَّتِي وَرْمَانِي
نُهْبَةً فِي أَيَدِي الصُّرُوفِ الرَّدِيئَةِ
زَمَنْ غَادِرٌ وَنَاسٌ خِيسٌ
وَوَجْوهٌ مِنَ اللَّئَامِ قَمِيئَةٍ
أَنَا نَصْفَانِ مِنْ مُجُونٍ وَنُسْكَ
جَسَدٌ مُذْنِبٌ وَنَفْسٌ بَرِيئَةٌ
مَا تُرِيدِينَ مِنْ شَقِيٍّ تَعِيسٍ
وَلِمَاذَا تَصْبُو الْعَيُونَ الْجَرِيئَةَ
فَاتْرِكِينِي فَإِنْ قَلْبِي حَزِينٌ
وَدَعِي الْخَمَرَ لِلْقُلُوبِ الْهَنِيئَةِ

* * *

بين الأنوثة والطفولة

بين الأنوثة والطفولة
خيطةُ عالمةٍ قليلة
هذا صراطٌ فوقه
تتأرجحينَ بغير حيلة
جسدٌ يحاول أن يحطَّ
ونفسُهُ تَأبى نزولَهُ
هذا الطريقُ طريقُ
أوجاعٍ وأحزانٍ طويلاً
سارت عليه قَبْلَ سَيْرِكِ
كُلُّ فاتنةٍ كحيلة
كُلُّ الغواني كُنَّ يوماً
كالفرشاتِ الجميلة
حتى إذا آن الأوانُ
خَرَجْنَ مِنْ طَوْرِ الطفولة

جسْدُ بَرَاهُ اللَّهْ مِنْ نَارٍ
وَصَيَّرَهَا بَلِيلَهُ
نَهْدُ يَشِيعُ وَبَشْرَةٌ
مِرَاتُهَا دَوْمًا صَقِيلَهُ
يَتَأَلِقَانِ فِيْ ذُرْيَانِ
بِأَلْفِ عِبَلَةٍ أَوْ دَلِيلَهُ
وَالشَّعْرُ أَحَلَّكَ مِنْ ظِلَامِ
النَّفْسِ مِنْ بَعْدِ الْكُهُولِ
أَخْشَى عَلَى هَذَا الْجَمَالِ
يَصِيرُ فِي أَيْدِي الرِّجْوَلِ
أَوْ أَنْ تَكُونِي دُورْقَا
يُعْطَى لِمَنْ يُرْوِي غَلِيلَهُ
وَتَطَّاطَيْنَ الرَّأْسَ مَاشِيَةً
بِخُطْوَاتِ ذَلِيلَهُ

من بَعْدِ أَنْ يَفْنَى جَمَالُكَ
بين ذِي الأَيْدِي الجَهْوَلَةِ
ويَضِيعُ مِنْكَ العُمُرُ فِي
طَلَبِ الأَمَانِي المَسْتَحِيلَةِ
تتأسفِينَ عَلَى زَمَانِ
العَيْشِ فِي كَنَفِ السَّهْوَلَةِ
يُزْجِي الشَّبَابُ خُطَى الحَيَاةِ
فإنْ مَضَى صَارَتْ ثَقِيلَةً
وستَبْحَثِينَ عَنِ الطَّهَارَةِ
وَالبِرَاءَةِ وَالطَّفْوَلَةِ

* * *

بقايا الصِّبا

سراجُ صِبَاكِ السَّنَا مَلَأَهُ
وَمِصْبَاحُ عَمْرِي الدَّجَى أَطْفَأَهُ
وَعِنْدَكَ كُلُّ الشَّبَابِ الْعَتِيِّ
وَعِنْدِي بَقَايَا الصَّبَا الْمُهْرَأَهُ
وَكُنْتُ صَحِيحَ الْفؤَادِ وَلَكِنْ
جُمُوحُ الْمُنَى بَيْنَهَا جَزَأَهُ
كَأَنِّي سَلِيمَانُ بَعْدَ الْمَشِيْبِ
يَمْشِي يَدْبُ عَلَى مِْنْسَاءَهُ
وَيَنْشُدُ بَلْقَيْسَ بَيْنَ الْوَجُوهِ
وَتَمْضِي عِصَاهُ بِهِ مُبْطِئَةً
يُفْتَشُ فِي التُّرْبِ عَنِ خَاتَمِ
وَيَبْحَثُ عَنِ هُدُودِ نَبَّأَهُ
وَقَلْبِكَ طِفْلٌ وَقَلْبِي عَجُوزٌ
وَمَرُّ لِيَالِي الْأَسَى أَهْرَأَهُ
أَهِيْمُ بِأَنْثَى تُزِيحُ الْغُبَارَ
وَتَضْقِلُ أَشْلَاءَهُ الْمُطْفَأَهُ

فقد طال ما ثارَ في جَوْفِهِ
وأبقى على السطح ما أصدأه
وتُفرغ منه كؤوسَ الوجومِ
وخمرَ الهُمومِ الذي مَلَأَهُ
فقد كنتُ في حانةِ العُمَرِ أبكي
وأشربُ مِنْ خمرها أسوأه
فلا تعديني بما لا يكونُ
فكلُّ وعود الهوى مُرْجَاءَهُ
وكيف تظنين قلبي يَعِفُّ
ولو عن جَنَاكِ الوَورَى حَلَّاءَهُ
سأرسو على جسمكِ الرخص يوماً
وأجني شذاكِ الذي خَبَّأَهُ
وأستافُ منكِ النسيمَ العليلَ
وأملأُ أنفي بهِ والرئنه
كأنِّي مَلَّاحُ بحرِ الظلامِ
ضفافِ سَنَاكِ غدت مرفأَهُ
يخوضُ العُبابَ وليس يخافُ
وصَحْوُ سَمَائِكِ قد جرَّأَهُ
يسافرُ منكِ إليكِ ويغشى
خِصَمَّ شَبَابِكِ ما أجرَّأَهُ

سَأْمَتَضُّ مِنْكَ دِمَاءَ الشَّبَابِ
وَأَتْرَكَ فِيكَ بَقَايَا امْرَأَةٍ
وَأَشْبَعُ جُوعَ السِّنِينَ الْعِجَافِ
وَيُرَوِي فِؤَادِي مَا أَظْمَأَهُ
وَأَنْبَشُ جِلْدَكَ كَيْمَا أُوَارِي
كُلَّ لِيَالِي الْأَسَى السَّيِّئَةِ
وَأَلْثَمُ ثَغْرَكَ عَذَبَ اللَّمَى
وَأَنْهَلُ مِنْ خَمْرِهِ الْمُسْبَأَهُ
وَأَسْرِقُ مِنْ دُرِّهِ دُرَّةً
وَأَنْزِعُ مِنْ حَلِيِّهِ لَوْلُوَهُ
يُؤَجِّجُ لَفْحِي صَقِيحَ دِمَاكِ
وَبَرْدُ جَلِيدِكَ قَدْ هَدَّأَهُ
تُحَسِّنُ نَارًا وَبَرْدًا أُحْسُ
كَمْ رُوحَةٍ عَانَقَتْ مِدْفَاءَهُ
وَأَنْكَأُ جُرْحًا لِحِوَاءِ فِيكَ
سِوَى سِحْرِ آدَمَ لَنْ يَرْقَأَهُ
فِيخْلُو سِرَاجُكَ مِنْ زَيْتِهِ
وَتُضْحِي قَنَادِيلُهُ مُطْفَأَهُ
* * *

شيطانةُ الحان

شيطانةُ الحانِ العتيقُ
سَكْرِي أَرَادَتْ أَنْ تُفِيقُ
فَمَنَعَتْهَا نَشْوَةَ السُّكْرِ
وَزَادَتْهَا فُسُوقُ
وَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَأَتْ
فِي الْكَأْسِ شَيْئًا لِلْعَبُوقِ
تَحْمِيلُ كَأْسًا مِنْ سَنَا
فِي جَوْفِهَا الْخَمْرَ بَرِيقُ
تَسْقِي الَّذِي تَشَاءُ مِنْ
خَمْرٍ وَيَسْقِيهَا الرِّفِيقُ
قَدْ طَفَقَتْ فِي غَيْيِّهَا
فَأَحْسَنْتُ فِيهِ الطُّفُوقِ
غَانِيَةً اللَّيْلِ لَهَا
فِي كُلِّ سَاعَةٍ عَشِيقُ

قد كَلَّفَتْنِي فِي الْهُوَى
مَا لَا أَرَى غَيْرِي يُطِيقُ
شَيْطَانَةً يَأْتِي بِهَا
الَلَيْلُ وَيُنْثِنِي الشَّرُوقُ
عَارِيَةً إِلَّا مِنْ
الْحَلِيِّ وَمِنْ ثَوْبٍ رَقِيقُ
وَبَيْنَ نَهْدِيهَا صَلِيبٌ
عَلَّقَتْهُ مِنْ عَقِيقُ
كَأَنَّهُ دَمِي وَدَمْعِي
فَوْقَ صَدْرِهَا أُرِيقُ
تَمْشِي بِثِقَلِ سُكْرِهَا
يَحْمَلُهَا خَصْرٌ دَقِيقُ
سَاخِنَةٌ أَنْفَاسُهَا
كَأَنَّمَا فِيهَا حَرِيقُ

والشُّهُدُ فِي فِيهَا وَفِي
شَفَاهَا مِنْهُ رَحِيْقُ
عَاهِرَةٌ تَجْرِي دِمَاءُ
الْعُهِرِ مِنْهَا فِي الْعَرِوقُ
وَكُلُّ مَنْ يَرِيدهَا
فَهُوَ بِهَا مِثْلِي خَلِيْقُ
قَدْ جَمَعَتْ فِي صَدْرهَا
الضَّادِينَ مِنْ صَبْرٍ وَضِيْقُ
أَيَقْوَنَةٌ مِنَ الْجَمَالِ
كُلُّ مَا فِيهَا أَنْيْقُ
عَبَدَهَا قَبْلِي كَثِيرُونَ
وَسَامُوها الْعُقُوقُ
مَاذَا سَيَبْقَى حِينَ يَذْوِي
غُضُنُهَا الرِّطْبُ الْوَرِيْقُ

* * *

عادات

عادات فعاد ربيعي
من بعد طول الصقيع
تُضيءُ ليلَ حياتي
كالشمسِ وقتَ الطلوعِ
النارُ في شفتيها
والجمرُ بين الضلوعِ
لَمَّا رأيتُ سناها
أطفأتُ كلَّ شموعي
بقطرةٍ من دمائي
وقطرةٍ من دموعي

* * *

يا فتنتي السَّرْمَدِيَّةُ
إِلَيْكَ مِنِّي تَحِيَّةُ
يا جَنَّةً فَوْقَ سَاقِي
حَوْرِيَّةٍ مَرْمَرِيَّةُ
وَيَمَلَأُ الْعَطْرُ فِيهَا
وَالْحُسْنُ كُلُّ تَنْبِيَّةُ
يا صَبُوتِي وَغَرَامِي
وَلِوَعْتِي الْأَبْدِيَّةُ
أَبِيحُ عُمْرِي لِأَحْظَى
بِبَسْمَةِ قِرْمَزِيَّةُ

* * *

حيرتِ كُلَّ ظنوني
في حُبِّكَ المجنونِ
يا أجملَ الناسِ لَمَّا
حويتِ كُلَّ الفنونِ
يا هيكلًا من جَمالِ
ومعبدًا من فتونِ
صَلَبتِ أيامَ عُمري
على صليبِ الشجونِ
والحُبِّ مِلاءُ حشانا
والشوقِ مِلاءُ العيونِ

* * *

وَقَفْتُ يَوْمًا بَبَابِكَ
مُنَاجِيًّا لَشِبَابِكَ
أَظْمَأْتَنِي بَعْدَ رِيٍّ
وَزُدَّتَنِي عَنْ شَرَابِكَ
أَنَا الَّذِي جَاءَ يَسْعَى
مَا بَيْنَ كُلِّ رَحَابِكَ
وَعَاشَ فِيهَا يُصَلِّي
لِلْحُبِّ فِي مِحْرَابِكَ
قَدْ سَقَّتَنِي لِحِمِي
وَقُدَّتَنِي لِعَذَابِكَ

* * *

سَافَرْتُ فِيكَ وَأُبْتُ
ومثلما رُحْتُ عُدْتُ
أَبْصَرْتُ فِيكَ سَرَابًا
وْخَلْفَ آلِ سَعِيْتُ
ضَيَعْتُ فِيكَ شَبَابِي
وَأَمْنِيَاتِي أُضَعْتُ
وَجُبْتُ تِيهَا فَتِيهَا
وَأَلْفَ بَحْرِ عَبَرْتُ
وَبَعْدَ طَوْلِ غِيَابِي
كَمَا ذَهَبْتُ رَجَعْتُ

* * *

حملتُ فيكِ رحالي
لرحلة الأهلِ والـ
قسمتُ نفسيَ فيها
بين الهوي والخيالِ
وخضتُ فيها بحارًا
وسرتُ في أحوالِ
وكان حاليَ فيها
كحال كل الرجالِ
رجعتُ منها بيأسي
وحفنةً من رمالِ

* * *

سَأَلْتُ مَنْ أَنَا فِي الْكُونِ

سَأَلْتُ مَنْ أَنَا فِي الْكُونِ
وهل أحيا هباءا
قُلْتُ إِنِّي شَاعِرٌ قَدْ
يَمَلَأُ الْكُونَ غِنَاءا
وإذا أبكاهُ شيءٌ
مَلَأَ الْكُونَ بَكَاءا
فأنا أكثر خلق
اللَّهُ حَزَنًا وَشَقَاءا
أنا أبكي إن بكى
غيري ظُلمًا وَعَنَاءا
أنا أشكو الدهر إن
أحسن يومًا أو أساءا
غير أنني ربما شَدْتُ
من الوهم بناءا

ثُمَّ أَذْرُوهُ وَأَبْكِيهِ
دَمَوْعًا وَدَمَاءًا
أَنَا أَحْيَا غَيْرَ رَاضٍ
وَكَذَا أَلْقَى الْفَنَاءَ
جِئْتُ لِلدُّنْيَا غَرِيبًا
أَلْبَسُ الشُّعْرَ رِداءَ
أَحْمِلُ الْعُمُرَ وَأَحْلَامًا
بِهَاقِ لِبِّي نَاءًا
وَأَرَى الدُّنْيَا طَرِيقًا
لَا أَرَى فِيهِ اسْتِواءًا
بَلْ أَرَى فِيهِ اعْجَاجًا
وَأَرَى فِيهِ التَّوَاءًا
وَأَرَى الْفَنَ مَنْارًا
فِي دُجَى لَيْلِي أَضَاءًا
وَأَرَى الشُّعْرَ مَعِينًا
أَرْتَوِي مِنْهُ ارْتِواءًا
أَعشَقُ الْعَيْشَ وَلَكِنْ
أَهْجُرُ النَّاسَ اذْراءًا

أنا أحيأ بين أقوامٍ
تـرى الفـن هـراء
قد أضاعوا الحـسَّ لما
أن أضاعوا الشعراء
فتأسَّيتُ بفني
وتحملتُ البلاء
قد وصفتُ الحُبَّ لَمَّا
كان داءًا ودواء
ثم حَطَّمتُ فؤادي
عندما صار رياء
فلَكم أبصرتُ آلاً
وتجرعتُ هباء
ولَكم أمَلتُ شيئاً
نُضِبَ عَينَيَّ تراءى
فإذا صـرتُ إليه
غاب عني وتناءى
أنا ظمآنٌ ولَكنْ
لا أرى حولي ماء

بل أراهُ تحت أقدامي
ولا أرضي انحناءا
فلأمتُ ظمآنَ كيلا
تنحني النفس رجاءا
فلكم همتُ بشيءٍ
وترققتُ إباءا

* * *

حكاية

ماذا ذَكَرْتِ مِنَ الْحِكَايَةِ
وَرَوَيْتِ عَنْ دُنْيَا هَوَايَةِ
لَا تَسْأَلِينِي عَنْ غَرَامِكِ
فَالْبِدَايَةُ كَالنَّهَايَةِ
أَنَا كُنْتُ سِدْرَةَ مُنْتَهَاكِ
وَكُنْتُ سِدْرَةَ مُنْتَهَايَةِ
وَلَقَدْ تَخِذْتُكَ قِبْلَةً
وَسَجَدْتُ أَخْشَعٌ لِّلْعَنَايَةِ
وَحَسِبْتُ عِنْدَكَ جَنَّةً
مَا دَا سَهَا أَحَدٌ سِوَايَةِ
لَمَّا أَتَيْتِ رُسُلُ السُّلُوِ
هَدَمْتُ مِحْرَابَ الْغَوَايَةِ
وَكَفَرْتُ بِالْحُبِّ الَّذِي
رَتَّلْتُ بِاسْمِهِ أَلْفَ آيَةِ

لما تركتُكِ للظلام
تَكشَّفتُ عني العَمَائَهُ
وخرجتُ من دنيا الغرام
وليس لي في الحُبِّ غايَهُ
يا من رمت بسهامها
فأصبن قلبي في البدايَهُ
فيم البكاء وأنتِ مَنْ
علّمتني كيف الرمايَهُ
أنا قد تركتُكِ طائِعًا
وختمتُ أحداث الروايَهُ

* * *

ما ضاع من سنوات

يا قاتلي باللَّحْظِ والنظراتِ
حالَ الجوى بيني وبين سُباتي
لو كنتَ تدري ما الهوى لوصلتني
وأعدتَ لي بَعْدَ الضياع حياتي
توفي وتنكثُ بعدما يحلو الوفا
فأعود لا أُلْفِي سوي لهفاتي
وعصيتُ فيكَ عواذلي وصواحي
وأطعتَ فيَّ حواسدي وعِداتي
وتعيشُ في صرحِ عليكِ مُغَلَّقِ
والبابُ دوني موَصَد الفتحاتِ
أرنو إليكِ ولا أرى من سُلِّمِ
ويطول بي نظري إلى الشُرُفاتِ
فيضيئُ بي صبري وأرجع خائبًا
أبكي على ما ضاع من سنواتِ

* * *

نأى الديار

يا بعيدًا عن الديار وعَنِّي
أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَدَانِيكَ مِنِّي
كَلِمَا مَرَّ فِي بَعَادِكَ يَوْمٌ
خَلْتُ عَامًّا قَدْ انْقَضَى مِنْ سِنِّي
وَإِذَا زَارَنِي خِيَالِكَ لَيْلًا
بِتُّ أَشْكُو لَهُ الَّذِي أَنْتَ تَجْنِي
قَسَمُ الْوَجْدُ يَا حَبِيبِي قَلْبِي
بَيْنَ دَوْبِ الْأَسَى وَمُرِّ التَّجْنِي
لَيْسَ عِنْدِي مِنْ حِيلَةٍ فِي غَرَامِي
غَيْرُ لَيْتٍ وَمَا يَفِيدُ التَّمْنِي
حَسَبُ قَلْبِي مِنَ الْغَرَامِ اشْتِيَاقِي
وَرَجَائِي مِنَ الْخِيَالِ وَظَنِّي
فَمَتَى يَجْمَعُ الزَّمَانُ كَلِينَا
نَشْرَبُ الْكَأْسَ عَذْبَةً وَنَغْنِي

* * *

حَوَاء

حَوَاءُ يَا أَنْشُودَةَ الْخَطَا
مخلوقةً من طينة الوَبَا
شيطانةً في زِيِّ غَانِيَةٍ
غَيْرِ الضَّنَا والدمعِ لم تطأِ
محبوسةً في سجنِ شهوتها
خداعةً مكذوبةً النبأِ
مستورةً في كل جانحةٍ
مخبوءةً في جَوْفِنا الصَّديِّ
قنينةً كُسرَتْ على شفتي
لمْ تُبقِ غيرَ العُغْلِ والظمأِ
ماذا فعلتِ بآدمِ وِبنَا
أسطورةً حُكِيَتْ على المَلَأِ
أسطورةً والجِنُّ راويَةٌ
أو قصةً حُتمتْ بمبتدأِ
لا تسألني كيف الخلاصُ فقد
سِرْنَا معًا في سكة الخطأِ

* * *

عَبْرَاتِ الشُّوقِ

(معارضة لقصيدة « مضاك جفاه مرقده »

لأمير الشعراء "أحمد شوقي")

مَا بَالُ فـؤَادِي تَجـحـدُهُ
تَدْنِيهِ لِتَرْجَعِ تُبَعْدُهُ
وَإِذَا أَمْسَيْتَ تَرَكْتَ لَهُ
وَجَّالًا فِي اللَّيْلِ يُسَهِّدُهُ
الْحُسْنَ رَأَيْتُكَ صَوْرَتَهُ
فَسَجَدْتُ لِحُسْنِكَ أَعْبُدُهُ
وَحَجَجْتُ إِلَيْكَ عَلَى قَلْبِي
أُجِيرُ الصَّبَّ تَعْبُدُهُ
وَأَخَذْتُ بِوَصْلِي أَفْتَحُ مَا
قَدْ كُنْتَ بِصَدِّكَ تَوْصِدُهُ
فَتَرَكْتَ سَهَامَكَ فِي كَيْدِي
إِنْ رَثَّ الشُّوقُ تُجَدُّدُهُ

مَا كُنْتَ تَرِيدُ سِوَى قَلْبِي
خَطَرَاتُ الْبَيْنِ تُهْدِدُهُ
عَبَرَاتُ الشُّوقِ تَرْوِقُ لَهُ
وَنَحِيبُ الْمَهْجَةِ يُسَعِدُهُ
وَإِذَا لَاقَيْتُ قَتِيلَ هَوِيٍّ
سَكَّرَاتُ الْمَوْتِ تُبَدِّدُهُ
أَيَقْنَتْ بِأَنَّكَ قَاتِلُهُ
وَشَهِدْتُ بِأَنَّكَ مُفْقِدُهُ
هَبْ لِي مِنْ وَصْلِكَ أَمْسِيَةً
لِلْهَيْبِ الشُّوقِ تُبَرِّدُهُ

* * *

حببتي الدُّمية

حببتي يا دُميتي الغانيه
كل الوجوه أصبحت عاريه
يا طفلي إنَّ الوعودَ انتهت
قصُّنا قد أصبحت باليه
قد اشتعلتِ نجمةً في الدُّجى
نُـمِ احترقَتِ شمعةً خابيه
أنتِ الضياع قد تَمَثَّلْتِ في
إنسانةٍ مجروحةٍ باكيه
من أنتِ يا وعدًا أطاحت به
أكذوبةٌ وحُجَّةٌ واهيه
إن الحكاية التي ما انتهت
خَلَّفَتْ فيها مهجةً داميه
أنفاسنا منذ التقت لَمْ أَنْمِ
إلَّا على نهديكِ يا غاويه

يا كعبةً من حج يومًا بها
مستغفرًا فأُمُّهُ هاوِيَهُ
يا جَنَّةً ما حلَّها مُؤْمِنٌ
يا مَأْتَمَ الطهارة الفانيَّة
طهارة العذراء نجم خبا
ومريمٌ قد أصبحت غانيَّة
يبقى سؤالي وحدهُ تائها
هل تمسحين دمعَةً جاريَّة

* * *

بَعْدَ الرَّحِيلِ

ضحكاتي بَعْدَ الرَّحِيلِ بِكَاءٍ
وربيعي بعد الفراق شتاءً
أَقَلَّتْ بَعْدَ كُنْ كُلُّ نَجُومِي
وتخفَّتْ في ثوبها الجوزاءُ
كُلُّ يَوْمٍ يَمْضِي الزَّمانُ بِشَمْسٍ
شمعةً من عُمُرِ الزَّمانِ نُضاءُ
كُلُّ أَرْضٍ يَا مَنْ رَحَلَتْ خَرابُ
وخواءُ كُلِّ الدِّيارِ خواءُ
أذُنِي قَدْ صَمَمْتُ عَنْ كُلِّ قَوْلٍ
وحديثٍ إِنَّ الكَلامَ هُراءُ
كَيْفَ أَحْيَا وَبُعَدَ كُنْ نَصِيبِي
فحياتي والموت بَعْدُ سِواءُ
لَمْ يَعُدْ يَشْجَى لِلطَّيُورِ فِؤادِي
فأغانِيها بَعْدَ كُنْ عِواءُ

وتحمّلتُ وِزْرَ كُلِّ فؤادٍ
أخطأته أيدي النوى الحمقاء
فنصيبني من الأحبة هجرٌ
ونصيبني من الغرام بكاءٌ
أوردونني وصالهم ثم بانوا
وقببني بَعْدَ النبيذ الماء
كيف أشفى وقد بُليتُ بداءٍ
ما لنفسي في أن يزول رجاءٌ
فإذا أنت قد كذبت الهوى
فليفعل الدهر ما يري ويشاءُ

* * *

إبحار

مُبِحِرٌ أَنْتَ فِي خِصَمِّ اللَّيَالِي
وَكَمَا شَاءَتْ فِي الْعُبَابِ رِيَاْحُكَ
عَابِرًا لُجَّةً لَتَجْتَازَ أُخْرَى
فُلُوكَ الشُّوقُ وَالْهَوَى مَلَّاحُكَ
بَيْنَ نَوْءٍ تَجْتَازُهُ هَادِي السَّمْتِ
وَنَوْءٍ يَزِيدُ فِيهِ صِيَاْحُكَ
ضَارِبًا فِي أَعْوَارِ لَيْلِ كَسِيفٍ
مُطْفَأٌ فِي ظِلَامِهِ مَصْبَاْحُكَ
تَسْمَعُ الْجَنِّ فِي بَهِيمِ اللَّيَالِي
يَتَعَالَى عَزِيفُهُ وَنُوَاْحُكَ
وَدَوَالِيكَ دُجِيَّةٌ فَنَهَارٌ
وَالدُّجَى الْمَنْقُضِي يَلِيهِ صَبَاْحُكَ
تَتَلَقَّاكَ لُجَّةً بَعْدَ أُخْرَى
رَابِطَ الْجَاشِ لَا يُرَدُّ جِمَاْحُكَ

لك عشرون حجةً في صراعٍ
مُشَهَّرٌ في وجه الزمان سلاحك
يتحداك كلَّ يومٍ بخطبٍ
وعلى كُرهٍ منه حرٌّ سراحك
تصرعُ الموج أم صروف الليالي
في زمانٍ زادت به أتراحك
كلما خِلتَ أنَّ جرحك يشفى
نَكَأتهُ فليس تبرا جراحك
شاربًا نخبًا خمره من سراپ
ومن الوهم أترعتُ أقداحك
غارقًا في الخيال تسبح فيه
وعلى الأمنيات تقبض راحك
فمتى أنتَ بالغُ شاطئ الوهم
فقد طال في الخيال كفاحك

* * *

حوار مع البحر

دَنِفٌ يُمَزَّقُهُ أَسَاهُ
يَأْتِيكَ تَسْبُقُهُ خُطَاهُ
فَارْفُقْ بِهِ فَعَلَى شَطُوطِكَ
مَبْتَدَاهُ وَمُنْتَهَاهُ
كَمْ مِنْ غَرِيْقٍ هَالِكٍ
بَرَّرَاتٌ مَاءَكَ مِنْ دَمَاهُ
أَلْقَيْتُ نَفْسِي سَابِحًا
فَتَلَقَّتْنِي رَاحَتَاهُ
قَلْ لَابِنِ آدَمَ إِنْ طَغَى
إِنْ يَسْتَطِعُ يُمَسِّكُ صِبَاهُ
وَاسْأَلْ صَخُورَكَ هَلْ تَطِيْقُ
عَذَابَ قَلْبِي أَوْ أَسَاهُ
تَتَزَاحَمُ الْأَحْزَانُ عِنْدَ
شَخَافِهِ مِثْلَ الْمِيَاهُ

دَعَهَا فَقَدْ نَزَلْتُ عَلَى
حُكْمِ الطَّبِيعَةِ وَالْإِلَهِ
وَأَنَا فـؤَادِي لَمْ يَزَلْ
حَرَبَ اللَّيَالِي وَالْحَيَاةِ
وَكَمَا أَنَّ رَبَّكَ نَاشَهُ
وَرَأَهُ يَصْبِرُ فَاِبْتِلَاةُ
كَنْ كَابِنِ آدَمَ لَيْسَ يُدْرِكُ
مَنْتَهَاهُ وَمَبْتَدَأَهُ
أَنَا لَسْتُ أَرْضَى أَنْ تُرَى
كَالْنَهْرِ يُبْصِرُ شَاطِئَاهُ
سَبْحَانَ قَدْرِكَ أَنْتَ
أَسْمَى خَلْقَةً وَأَعَزُّ جَاهُ
يَأْيَهَا الشَّيْخَ الَّذِي
قَدْ جِئْتُ أَنْهَلُ مِنْ هُدَاهُ
إِنِّي رَأَيْتَكَ مُسْرَقًا
تُلْقِي حِصَاكَ بِلا حِصَاةِ

* * *

سؤال للبحر

إلام تَظَلُّ وتمضي العُصْرُ
أبْعَدَ مشيبك هذا كَبَرُ
وكيف أراك تجوب البلاد
ولست أسيرًا وما أنت حُرُ
أتهرب من خائنات الليالي
لقد خاب سعيك ما من مفرُ
وكيف تخاف اختلاف الزمان
وأنت لديه رفیق العُمُرُ
أتيتُ إليك كتابَ الحياة
لأقرأ فيك أجَلَ السُّورُ
وأبصرَ فيك جلالَ الزمان
وأسمعَ فيك رنينَ القدرُ
فأيقنتُ أنك مثلُ الزمان
تُبدي حصاك وتُخفي الدرُ

* * *

البحر

خُلِقَ الزمانُ وما أظنك تُخَلِّقُ
إذ أنتَ من عُمُرِ البَرِيَّةِ أُسْبِقُ
حفر الإله بضيفتيك غدائراً
تسقيك ترياق الشباب فتُغْدِقُ
للشمس في تلك الضفاف مجالسُ
تأوي إليها الشمس ساعة تُشرقُ
تُسقى السلاف على الضفاف فترتوي
فالخمر في تلك الشطوط مُعْتَقُ
وحصى الشطوط فَدَامٌ* كل زجاجةٍ
تجري بها الأمواج تلك الدُّفْقُ
ولقد ذكرتُ بشاطئيك أحبتي
والبدر في كَبِدِ السماء مُعَلَّقُ
والسُّحْبُ تبكي من عظيم شجونها
ودموعها فوق الثرى تترقرقُ

* الفدام: السّداة.

والسُّفُنُ تَخْطِرُ فِي الْمِيَاهِ تَدَلًّا
تَمْشِي الْهُوَيْنَى فِي الْعُبَابِ وَتَمْرُقُ
فَطَحَتْ بِي الْأَشْوَاقِ بَعْدَ تَجَلُّدٍ
فَغَدَوْتُ فِي بَحْرِ الصَّبَابَةِ أَغْرُقُ
يَأْيَاهَا الْيَمُّ الَّذِي مُلِقَى بِهِ
سِرَ الْوُجُودِ مَتَى ضَفَافُكَ تَنْطُقُ
تَأْبَى عَلَيَّ مَرَّ الْقُرُونِ تَزْعَزَعًا
أَفَأَنْتَ فِي جَوْفِ الْفِيَا فِي مَوْثِقُ
قَدْ أَخْضَعْتِكَ الْمَعْجَزَاتُ لَذِي الْعَصَا
فَغَدَتِ مِيَاهُكَ بِالْعَصَا تَتَفَرَّقُ
بَابًا أَمَامَ اللَّائِذِينَ بِرَبِّهِمْ
سَدًّا عَلَيَّ فَرَعُونَ لَا يُتَسَلَّقُ
فَرَفَقْتَ مِنْ بَدءِ الزَّمَانِ بَثْلَةً
مَا لِي أَرَاكَ الْيَوْمَ لَا تَتَرَفَّقُ
فَاخْفِضْ جَنَاحَكَ سَاعَةً لِمَتَيْمٍ
يَأْوِي إِلَيْكَ فَمَنْ ضَفَافُكَ مَأْبُقُ
يَشْكُو إِلَيْكَ الصَّائِدَاتِ فَوَادَهُ
فَتَرُدُّهُ الْأَمْوَاجُ غَضْبَى تَزْعَقُ

تَلْقِي حِصَاكَ عَلَى الشُّطُوطِ كَأَنَّهُ
عَقْدَ بِهِ نَحْرَ الْفَلَاةِ مُطَوِّقٌ
أَرْنُو إِلَيْكَ مِنَ الشُّطُوطِ مُحَدِّقًا
وَالنَّفْسُ مِنْ فِرطِ الصَّبَابَةِ تُحْرِقُ
وَكأَنَّنِي صَبُّ يَهِيمٍ بِلُجَّةٍ
هِيَ فِي مِيَاهِكَ دُمِيَّةٌ تَتَأَنَّقُ
أَرَأَيْتَ أَعْجَبَ مِنْ مِيَاهِكَ خِلْقَةً
فَالْبَدءُ جَمْعٌ وَالخِتَامُ تَفَرُّقٌ
يَا بَحْرُ هَلْ لِي فِي عُبَابِكَ زورِقٌ
فَيَقُودُنِي صَوْبَ الشُّطُوطِ الزورِقُ
أَمْ أَنَّنِي خُلِّدْتُ فِيكَ مَسَافِرًا
لَكِنَّ قَلْبِي بِالشُّطُوطِ مُعَلَّقٌ
يَأْيَهَا الشَّيْخُ الْوَقُورُ أَسَامِعُ
شَكْوَى عَلِيلٍ بِالصُّرُوفِ يُمَزَّقُ
أَرَأَيْتَ كَيْفَ الدَّهْرُ أَقْلِقُ مَضْجَعِي
وَالدَّهْرُ مِنِّي آمِنٌ لَا يَقْلِقُ
أَذْكَرْتُ كَأْسِي فِي الصَّبَابَةِ مُتْرَعًا
إِذْ كَانَ فِرْعَوِي فِي الْعَوَايَةِ يورِقُ

أرأيت كيف النائباتُ تركنني
والقلبُ ساجٍ في الحشا لا يخفقُ
سليني أُجِبْكَ عن الغرامِ فإنني
حُمَّلْتُ من ثِقَلِ الهوى ما يُرهقُ
كيف الحياة على الظما وعلى الطوى
أنعيش في الدنيا ولا نتعشقُ
أو كيف نسلو والخرائد حولنا
للموتِ أحرى بالخَلِيِّ وأليقُ
ما العيش إلا في الغرام وفي الطلا
فإذا تولى فالْمَنِيَّةُ أخلقُ
بيني وبينك في المساء مجالسُ
نجواك فيها أن ماءك يزعقُ
هَبْ لي سَلافَكَ في الدُّجى كي أرتوي
أو حمأةً من مسكٍ رملك تُفتقُ
فالأرضُ تسقيها السماءُ فترتوي
أمَّا السماءُ فمن مياهاك تُرزقُ
ولكمُ نظمتَ بلازورِدِكَ جوهراً
تجلو بهِ عنق الثرى وتُزَوِّقُ

رُفِتْ إِلَيْكَ السَّارِيَّاتُ عَرَائِسًا
تُلْقَى إِلَيْكَ بِهَا إِلَيْكَ تَشْوُوقُ
الشَّيْبُ يَجْرِي فِي عُبَابِكَ رَغْوَةً
أَفَأَنْتَ شَيْخٌ فِي الْبَرِيَّةِ مُعْرِقُ
تَجْرِي الْمِيَاهُ بِشَاطِئِكَ جَدَاوِلًا
وَالْمَوْجُ يَرْكُضُ فِي الْخِصْمِ وَيَمْرُقُ
فِي اللَّيْلِ يَنْفُحُ مِنْ مِيَاهِكَ عَنَبْرُ
يَزْهُو عَلَى الْمَسْكَ الَّذِي يَتَفَنَّقُ
أُسْقِيَتْ مِنْ سَلْسَالِ مَائِكَ دَوْرَقًا
مَا مِثْلُهُ بَيْنَ الدَّوَارِقِ دَوْرُقُ
فَشَرِبْتُهُ وَكَأَنِّي لَنْ أُرْتَوِي
وَأَكَادُ مِنْ ظَمًا أَعْصُ فَأَشْرَقُ
تَقْضِي السَّنُونَ عَلَى السَّنِينَ فَتَنْقُضِي
لَكِنَّمَا هِيَ هَاتِ خَلْقَكَ يَخْلُقُ
بَيْنَ الْفَنَاءِ وَبَيْنَ مَائِكَ هَدْنَةٌ
أَفَأَنْتَ مِنْ حُكْمِ الْقَضَاءِ سَتَابِقُ
حَدَّثْتَ عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ تَوَهَّمُوا
أَنْ الْبِنَاءَ عَلَى شَطُوطِكَ رَوْنُقُ

بَنُوا الخرابَ على الشطوطِ حدائَةً
ولربما بانِ يُسيءُ ويمحقُ
بخلوا عليكم بالفُتاتِ تَكْبُرًا
وَرَمَوْا إليكم بالهوانِ فأغدقوا
وتَحَكَّموا في رزقِ كلِّ بهيمةٍ
وكانهم ربُّ يقوتٍ ويرزقُ
والنيلِ يحسرُ في المدائنِ غاضبًا
من فرطِ ما يلقى فلا يتدفقُ
سكتوا على بئسِ الهوانِ فلطَّخوا
للحقِ فيها رايبَةً لا تخفقُ
يا مهدَّ كلِّ حضارةٍ كيفِ الخلاصُ
ومن ديونكِ للورى ما يُرهقُ

* * *

من كلام الحاكم بأمره

وعِزَّتِي وَجَلالِي
والسيفِ بين يديَّ
والناسِ حولي سجدًا
قد قَبَّلُوا قدميَّ
وعسكري وجنودي
المسلمين إليَّ
الأمريين بأمرِي
الساهرين عليَّ
القاطعين رؤوسًا
سَمِعْتُ فيها دويَّيَّ
المُمسكينِ سيَّاطًا
لجَلْد من ظَل حيَّ

الحاملين قلوبًا
تخاف من عينيًا
والفلك في اليم باسمي
تنساب شيئًا فشيئًا
ونيلي العذب يسقيكم
ماءه القُدسيًا
والنخل في صحن داري
بظلمته أتفنيًا
وعزتي وجلالي
وكل شيءٍ لديًا
مِمَّا أراكُم فيه
أودُّ أن أتقنيًا

* * *

تقرير من وزير الحاكم بأمره

مولاي دام العز والمُلْكُ لَكَ
وعشت للشعب الذي أمَلَكَ
يا من يزين العرشَ طاغوثُهُ
ما أجملَ العرشَ وما أجملَكَ
المُلْكُ يا مولاي جَمَلْتَهُ
لا تاجُهُ هوَ الذي جَمَلَكَ
وَدُمْتَ والعرشَ لنا كعبَةً
مِنْ حولها كُلُّ الوري في فَلكِ
أَلْفَتَ بين الناس طُورًا فَهُمُ
ينسلكون اليومَ في مُنْسلِكَ
كم حاقِدٍ نجيتَ من كيدِهِ
لَمَّا رمى فَلَمْ يُصِبْ مقتَلِكَ
يحميكَ رب الكون من كيدهم
فاسلَمْ لكي توردهم مُنْصَلِكَ

الناسُ يا مولايَ في غِبْطَةٍ
ويسهرون الليل يدعون لكُ
وفي صلاة الفجر تأويبُهُمُ
سبحان من على الورى فضَّلكُ
قد وجدوا فيكَ الذي أمَّلوا
فكلهم يصيح ما أعدلكُ
وكيف لا يرضون يا سيدي
واللَّه في أمورهم وگَّلكُ
سننتَ أسنى سنةٍ في الورى
وسيرةً من ضل عنها هلكُ
وأنتَ غيرَ العدل لن ترتضي
وغيرَ همِّ الشعب لن يشغلكُ
قد أقسمَ الشعبُ على أنه
غيرَ ثبات المُلِكِ لن يسألكُ
أَمات سيِّفك الأَعادي كما
أحيثُ عطايك الذي بَجَّلكُ

* * *

رُقِيَّةُ الْبَرَكَةِ*

رضيَ الرَّبُّ وبارَكَ
وغدتِ مِصرُ ديارَكَ
وغدا الجندُ عبيدًا
كُلُّهُمْ يحمي ذِمَّارَكَ**
وغدا باسمِكَ يجري
النيلُ كي يطفى أوارَكَ
فالرُّقى ليلَكَ تُتلى
والتعاويدُ نهارَكَ
فخُذِ السُّوطَ نصيرًا
واجعل النارَ شعارَكَ
إنما هذي الرعايا
كُلُّهُمْ يَرهبُ نارَكَ

* صدرت هذه القصيدة في الطبعة الأولى من ديوان «رسالة إلى امرأة» بعنوان آخر، هو «رقية التتويج» لأن دار النشر آنذاك رفضت نشر آخر أبياتها مثلما كان، وأضطرت إلى تغييره ليصبح «وهنيئًا لكِ مصرٌ لست في الملكِ مشارِك» ومن ثمَّ اضطرت وقتها إلى تغيير عنوان القصيدة أيضًا.
** الدُّمار: هو ما ينبغي حمايته والدفاع عنه.

وسنرعاك ونحميك
ويحمي الربُّ دارك
سنةً من عهد فرعون
وهامان تُبارك
وهنيئاً لك مصرُ
إنك اليوم مُبارك

* * *

حوار بين الطاغية ومرآته

تَكَلَّمِي بِاللَّهِ يَا مِرْآتِيَهُ
ولا تخافي سطوة الزَّبَانِيَهُ
لا تكذبي أيتها المِرْآةُ إني
لَمْ أَعُدْ أَرْضِي نفاق الحاشِيَهُ
تَكَلَّمِي ولا تطيلي القول هل
أبدو كما قد لقبوني طاغِيَهُ
وهل يخيف وجهي الأطفال أو
يَرهَبُهُ أولو العقول الواعيَهُ
هل يقشعر جسم مَنْ يلمحني
وهل يُميت الخوفُ من يرانيَهُ
تأمِّليني بُرْهَةً لتعلمي
أني أرقُّ من أرقِّ غانيَهُ
فَلِمَ إذا صرختُ عاليًا أرى
فُحوْلَهُمْ أعجاز نخلٍ خاويَهُ
* * *

مولاي لا تغضب فقد تفوهوا
بكلمة لا يعرفون ماهية
قد حسبوها مُدْحَةً لكنهم
لم يقصدوها لفظةً مُهاجِيَةً
فاعذرهم يا سيدي إن أخطؤوا
أو جهلوا فهم كلابٌ عاويَةٌ
* * *

لا تسأليني العفو عن شِردمةٍ
تجرأتُ إذ جهلت مقامِيَه
سلي جيوش الجن تُنبئكِ بأن
قد حاولت ولم تُطِقِ عدائيَه
فلتنظري إلى السماء نظرةً
حتى تري كيف غدا سلطانِيَه
هل تلمحين النجم في زاويةٍ
أنا الذي أسكنته في زاويَه
هل تبصرين الشمس في ناحيةٍ
أنا الذي صيرتها في ناحية
هذي السماء هل بدت عاليةً
أنا الذي صارت ببأسي عاليَه

إن الرعايا أصبحت قلوبهم
مليئةً بالحقد والكرهية
هذا صراطي مستقيمٌ نهجُهُ
ويلٌ لمن يحيد عن صراطِيه
أنا الذي أسكنتهم في جنّتي
وسوف أُصليهم عذابَ نارِيه
مُلْكي تتيه الأرض أنْ غدا بها
فأين تيجان الوري من تاجِيه

* * *

تهنئة بوسنية بعيد الميلاد

عيدك الميمونُ ترعاهُ العنايَه
ويُنير الرّبُّ فيه الزرعَ آيَه
عيدك الميمونُ قُربان العُلا
يُسعد الرّبَّ فيوليه الرعايَه
وبنو جلدتك العُرُ كرامُ
على اللّه دُعاهُ للهدايَه
وأنا الخارج عن دين الهدى
وأنا الشيطان أغرتني الغوايَه
ضلّ قلبي عن رؤى الحق ولمّ
أعبد الرّبَّ وأغواني هوايَه
كُل مَنْ ضلّ عن الثالوث فليُصلب
اليومَ نكالاً ونكايَه
ولهُ الجوع طعامٌ والهوان
حياءٌ ولهُ الخُلُ سقايَه

وله التيه طريقٌ أبديُّ
يضيع العمر فيه للنهائيه
فاصلبوني اليوم إن شئتم ولا
تتركوني رافعًا للكفر رايه
واملؤوا الأرض نبيذًا أحمرًا
عَلَّه يُخفي عن الرب دمايه
عَلَّه يُخفي دموع الأبرياء
لكي لا يبصر الرب الجنايه
وارفعوا صوت الترانيم هنالك
كي لا يسمع الرب ندياه
عَلَّها تطغى على صوت المآذن
أو تعلو على همس دُعايه
وَكُلُّوا الكعك هنيئًا لكم
فهو معجونٌ بدمعي وأسايه
أنا إن لم أدرك الحق بقلبي
فمن ذا يدرك الحق سوايه
* * *

تهنئة بالعيد من الأرض المحتلة

اذكُروا كُلما أتاكم عيدُ
أن لي أربعين عامًا شريدُ
واذكُروا القدس واذكُروا المسجد
الأقصى وما قد جناهُ فيه اليهودُ
واسألوا السيد الذي بثَّ في الأجواء
أقمارًا كي تري ما يريدُ
هل رأي الغاصبين حين تمادوا
أو رأي المسلمين حين أبيدوا
يا دعاة السلام مهلاً كفاكم
إن نيل السلام أمرٌ بعيدُ
إن هذا الذي يراد بنا ليس
سلامًا بل اسمه تهويدُ
أفلا تعرفون ما نحن فيه
من خطوبٍ يشيب منها الوليدُ

كيف ترجون أن يشيع سلامٌ
وبأرضي في كل شبرٍ شهيدٌ
كيف هذي الرعاع في الأرض أضحتُ
ولها في بلادنا تمهيدٌ
أم أتى يومٌ نشتكي فيه أن
العُربَ أضحوا ما فيهم صنيذٌ
يا عرأةً صدورهم من حديدٍ
سوف تكسو هذي الصدورَ نُهودُ
إن من قد باع العروبة مَهْمَا
نال من أجرٍ فهو أجرٌ زهيدٌ
فكُلُوا واشربوا هنيئًا مريئًا
هكذا هكذا تعيش الأسودُ
يا أخي في مصرٍ وبغدادَ والشهباءِ
يا من قد فرقنا الحدودُ

نحن لولا أن فرقتنا الليالي
ما غلبنا أو غالنا رعديدُ
وإذا غابت عن حماها الأسودُ
بلغت فيه مبتغاه القروُدُ
إن تخلّي ساداتنا عن حمانا
فلنا ربُّ واحد موجودُ
سوف يُزجي إليهم الله أجنادًا
لهم صولةٌ وبأسٌ شديدُ
ليست الحرب خطبةً أو كلامًا
إنما الحرب عُدَّةٌ وعديدُ

* * *

كَافُورِيَّة

أَبَى الدَّهْرُ إِلَّا أَنْ يُعَوِّدَنِي الصَّبْرَا
وَيَقْهَرَ نَفْسًا طَالَمَا أُغْيِتِ الْقَهْرَا
وَقَدْ كُنْتُ حُرًّا لَا أَذِلُّ لِحَادِثِ
فَأَخْضَعَنِي حَتَّى كَأَنْ لَمْ أَكُنْ حُرَا
فَسَلَّنِي أُجْبِكَ الْآنَ عَنْ كُلِّ مَحْنَةٍ
يُصَابُ بِهَا حُرٌّ فَإِنِّي بِهَا أَدْرَى
خَلِيلِيَّ مَا لِلرَّاحِ سَاءَ مَذَاقِهَا
أَأُسْقِيْتُ سُمًّا فِي كُؤُوسِي أَمْ خَمْرَا
سَكْرَتُ مِنَ الدَّهْرِ الْخَوْوْنَ وَصَرْفِهِ
وَمَنْ تُسَكِّرُ الْأَيَّامَ لَا يَشْتَهِي السُّكْرَا
تَخَبُّ بِئِ الْأَيَّامِ نَحْوَ مَنِيَّتِي
فَتَسْلُبُنِي عُمْرِي وَأَقْتُلَهَا حُبْرَا
وَبَيِّضُ مَنِي الدَّهْرِ شَعْرِي وَلَيْتَهُ
يُبَيِّضُ أَحْوَالِي كَمَا بَيَّضَ الشُّعْرَا

وقد كان أغراني الزمان بحاجةٍ
فعاد وأغراني برفض الذي أغرى
أراني على الأيام أزداد سَوْرَةً
ولكنَّ شبيبي لم يَدَعْ بَعْدُ لي عُذرا
وما العيش إلا في الفتوة والصبا
فَمَن صار شيخًا فالمنون بهِ أحرى
وَأَلَيْسَتْ أخلاقَ اللئام ولم أَكُنْ
لئيمًا ولكني تلاءمتُ مُضطرا
ومن يحيي ما بين الذئاب فإنه
يُسالمهم جهراً ويقتلهم سِرًّا
أقمتُ بأرض النيل عشرين حجةً
وفارقتُها ليلاً وعُدت لها فَجرا
وعَرَبَدْتُ في شرق البلاد وغربها
فَلَمْ أَتْرِكْ بَرًّا أَوْمٌ ولا بحرا
وفيما ارتحالي في الديار مسافراً
وكل بلاد اللّه قد أصبحت مصرا

يعيش بها فرعون يمسك سوطه
له خادمٌ نذُلٌ يؤلُّهُ جهرا
يروح ويغدو في الدروب مُعربداً
يفتش عن موسى ويستنطق الصخرا
ويصرخ في وجهِ الرعية قائلاً
لقد وأد الغلمان ذي الآيَّة الكبرى
ويخطب فيهم كل يومٍ وليلةٍ
يُعلمهم ديناً شرائعهُ تترى
شرائعهُ أن الزواج مُحرَّمٌ
وأن الزنا فرضٌ وأن يشربوا الخمرا
شرائعهُ صوم الزمان بأسره
وأن يأكلوا الموتى وأن يعبدوا الكفرا
فيُعبد مخشياً ويخشى مُدَمَّماً
ويُرجى ولا نفعاً يسوق ولا ضراً
إلها يُعدُّ الناسُ من دون ربهم
وكل بلاد النيل دانت له قسرا

* * *

أُمَّةُ الْعَرَبِ

أَنْوَمَةٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ فِي الطَّلَبِ
بِاللَّهِ مَاذَا جَرَى يَا أُمَّةَ الْعَرَبِ
مَالِي أَرَاكُمْ وَلَيْسَ الْآنَ يَشْغَلُكُمْ
إِلَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ
أَتُودَعُونَ لَدَى الْأَعْلَاجِ مَالَكُمْ
وَيُعَوِّزُ الْمَالُ فِي بَغْدَادَ أَوْ حَلَبِ
وَتَنْثَرُونَ عَلَى غَادَاتِهِمْ ذَهَبًا
وَيَشْتَكِي أَهْلُ مِصْرٍ شِدَّةَ السَّغْبِ
أَتَرْقِدُونَ وَمَا الْأَعْلَاجُ غَافِلَةً
وَتُبْطِئُونَ وَهُمْ يَمْشُونَ فِي خَبَبِ
وَالآنَ يَسْعُونَ بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَكُمْ
وَيَبْذُرُونَ بِذُورِ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
يَا قَوْمُ مَا لَكُمْ لَمْ تَبْصُرُوا رَشَدًا
وَلَمْ تَمْلَأُوا مِنَ التَّصْفِيقِ وَالخُطْبِ
مَا بَالُ بَغْدَادَ قَدْ أَخْنَى الزَّمَانَ عَلَى
قُصُورِهَا وَرَمَاهَا الدَّهْرَ بِالنُّوبِ

لما رآها علوج الأرض عائدةً
إلى عوائدها في سالف الحِقْبِ
أمضوا عزائمهم في جَحْفَلٍ لَجِبِ
في ساحة الروع لم يُهزم ولم يَخِبِ
وفي السماء أتت أسرابهم زُمَرًا
تلقى على الأرض بالأفلاك والشهبِ
فأشعلوا الجوّ والظلماء مُطْبِقَةً
وأطلعوا الشمسَ في صبح من اللهبِ
فأين هارون في ثوب الخلافة إذ
شمسُ العروبة لم تغرب ولم تغبِ
دانته له الأرض والدينا بما حملتْ
ونال ما ناله من أرفع الرتبِ
لِلَّهِ دَرْكٌ يَا هَارُونَ مِنْ رَجَلِ
ساس الأمور برأيٍ حازمٍ أَرِبِ
عليك مني سلامٌ لا يُبَدِّلُهُ
صرف الزمان على الأيام والحِقْبِ

وأين جَلَّقُ* في عصر الخلافة قد
شاب الزمان ولم تهرم ولم تَشِبِ
إذ الخلافة تُعلي خدها صَعَرًا
ويبرز المُلْكُ في أثوابه القُشْبِ
أم أين مصرُ التي دان الزمان لها
بِسُنَّةِ الدين والأسيافِ والكتبِ
وأين فيها صلاح الدين في يده
سيفٌ يُفَرِّقُ بين الحق والكذبِ
أعاد للْعُرْبِ بعد الذل عِزْتهم
وحرر المسجد الأقصى من الصُّلْبِ
عَجِبْتُ منكم ومما صار حالكمُ
إليه بعد امتلاك الكون والغَلْبِ
وكيف يَظهر فضلُ اللّهِ في دولِ
لُنُصرةِ الحق لم تنهض ولم تشبِ
إن لم تَهْنُ في سبيل اللّهِ أنفسكم
فليس بينكم والدين من نَسَبِ

* * *

* جَلَّقُ: هي دمشق

سِفْرُ الْخُرُوجِ

لَا تَحْزَنْنَ فَرُبَّمَا الْكَرْبُ انْفَرَجَ
وَأَصْبِرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ يَتَّبِعُهُ الْفَرَجُ
وَدَعِ الدَّمْعَ تَجِدُ فِي هَمْلَانِهَا
حَتَّى تَهْدِي مَنْ ضَامَكَ مَا يَنْجُ
فَلَمَّا تَتَابَعْتَ الْخَطُوبَ كَرِيهَةً
فَلَرُبَّ لَيْلٍ بَعْدَهُ الصَّبْحُ انبَلَجَ
وَاللَّيْلُ لَا تَعْتَادُهُ شَمْسُ الضُّحَى
حَتَّى تَكُونَ عَيْوُنُهُ أَقْصَى دَعَجٍ
إِنَّ الْحَيَاةَ بَحَلُوهَا وَبَمَرِهَا
سَيَانَ إِنْ فَكَّرْتَ فَازْهَدْ تَبْتَهَجُ
تَعْطِيكَ إِنْ لَمْ تَكْتَرِثْ لِعَطَائِهَا
وَتَضُنُّ إِنْ أَلْفَيْتَ نَفْسَكَ ذَا حَوْجٍ
لَلَّهِ فِي تِلْكَ الْخَلَائِقِ حِكْمَةٌ
أَلَّا يَفُوزَ بِحَاجَةٍ إِلَّا اللَّهْجُ

لَا تَخْدَعَنَّكَ مِنْ زَمَانِكَ هَدَاةٌ
فَالْبَحْرُ قَدْ يَهْدِي لِيَشْتَدَّ الثَّبَجُ*
وَلَقَدْ خَبِرْتُ النَّاسَ حَتَّى أَصْبَحْتُ
نَفْسِي تَعَافُ وَتَزْدِرِي هَذَا الِهْمَجُ
قَوْمٌ تَسَاوَوْا وَالْجَمَادَ لِأَنَّهُمْ
تَحْيَا جَسُومَهُمْ وَلَا تَحْيَا الْمُهَجُ
أَلِهَاهُمْ مَلَأَ الْبَطُونَ فَأَصْبَحُوا
يَسْعُونَ فِي طَلَبِ الطَّعَامِ بِكُلِّ فِجْ
فَلَمَّا صَبَرْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ لَطَالَمَا
صَبَرَ الرَّسُولُ بِمَكَّةٍ حَتَّى خَرَجَ

* * *

* الثَّبَجُ: علو وسط البحر إذا تلاقت أمواجه.

رسالة إلى يسوع

كم رسولٍ إليكِ راح وآبَا
يذرع الأرض جيئةً وذهابَا
باحثًا عنك في بطون العذارى
سائلًا عنك الدير والمحرابَا
يسأل التمر والنخيل فيعيا
ثم يمضي ويسأل الأعنابَا
يسمع الجن في بهيم الليالي
ويناجي عزيها الكذابَا
ضاربًا في أغوار كل فلاةٍ
لابسًا من ظلامها جلبابَا
تخِذَ الشوق للسماء بُرَاقًا
يسبق الريحَ خطوهُ والسحابَا
يسأل الريح عن شذاك فتلقاهُ
وتعدو ولا تطيق جوابَا
كلما ظن أن طيفك آتٍ
بَعُدَ الطيفُ واستحال سرابَا

أيها الغائب الذي سوف يأتي
كم صبرنا وكم أطلت الغيابا
لست تدري مُدُّ غبتَ ما قد لقينا
من صروفٍ قد أفقدتنا الصوابا
قد صبرنا على غيابك لأَيًّا
وارتقبنا حتى أضعنا الشبابا
وأتانا من صُلْبِ آدَمَ قَوْمٌ
جعلوا من نفوسهم أربابا
فشربنا الهوان في كل كأسٍ
واستطبنا الذل المرير فطابا
وصبرنا على الظما ألفَ عامٍ
وطوينا بطوننا أحقابا
وتحمّلنا الظلم والجوع طوعًا
وانتظرناك وانتظرنا المآبا
نبذر القمح في تراب الأمانِيِّ
ونجني أحلامنا أعشابا
وأتانا الدجال يُشهر سيفًا
مَلَأَ الكونَ فتنةً وارتيابا
وفقدنا فيك الرجاء وصرنا
شِيَعًا قد تفرقت أحزابا

أَنْشَبَ الظُّفْرَ فِي الرِّقَابِ وَلَمْ
يَقْنَعْ فَعَالِي وَأَنْشَبَ الْأَنْبِيَا
فَعَرَفْنَاهُ كَاذِبًا قَدْ أَتَانَا
يَخْطِفُ الْحَقُّ سَيْفُهُ وَالرِّقَابَا
أَيُّهَا الْغَائِبُ الَّذِي سَوْفَ يَأْتِي
كَمْ صَبَرْنَا وَكَمْ أَطَلَّتْ الْغِيَابَا
وَتَمَنِينَا أَنْ تَجِيءَ فَتَمْحُو
ذَلِكَ الْجُوعَ وَالظَّمَا وَالْعَذَابَا
تَمَلُّ الْكُونَ مِنْ لَدُنْكَ سَلَامًا
وَتَزِيلُ الْأَحْزَانَ وَالْأَوْصَابَا
وَيَجِيءُ الْعَمِيَانَ تَتْرَى فَتَشْفِيهِمْ
وَتُحْيِي الشَّيْخَ الْمُودَعَ شَابَا
وَيَسُودُ السَّلَامُ فِي كُلِّ أَرْضٍ
وَيَعُمُّ الْأَمَانُ حَتَّى الْغَابَا
وَتَصِيرُ الْفَلَاةُ أَرْضَ سَلَامٍ
يَأْمَنُ السَّارِي أَسَدَهَا وَالذَّنَابَا
نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ تَعُودَ إِلَيْنَا
تَنْشُرُ الْعَدْلَ وَالْهَدَى وَالْكِتَابَا

* * *

الكَوْنُ الْجَدِيدُ

أنا راحلٌ أبداً وحييدٌ
أتلمَّسُ الأملَ البعيدُ
لَمَّا سئمتُ من الصُّراخِ
نَظَمْتُ أَنَّناتِي نشيدُ
وشربتُ من كأسِ الوجودِ
فلَم أَقلُ هل من مزيدُ
ولقد أتيتُ إلى الحياةِ
ولستُ أعرفُ ما أريدُ
فأبَيْتُ أن أحيا بها
وبحثتُ عن كونٍ جديدُ
كَوْنٍ به خُلِقَ الـورى
كلُّ سواسيةً عبيدُ
فتَّشتُ عنه الراسياتِ
وجُبتُ أنهاراً وبيدُ
أستنطق الصخر الأصمَّ
وأسأل الجن المريدُ
فأجابني مُتأفِّفاً
هيهاتَ تبلغُ ما تريدُ

* * *

نحن والزمان

يُنَازِلُنَا الزَّمَانَ بِإِلَاحْسَامٍ
وَيَغْلِبُنَا بِتَسْوِيدِ اللَّئَامِ
وَمَا هَجَرِي الْأَنَامَ هَوًىً وَلَكِنْ
أَرَى سَفَهَا مَصَابَةَ الْأَنَامِ
خَبَرْتُهُمْ فَعَشْتُ بِإِلَافِيْقٍ
وَقَابَلْتُ الْمُدَاهِنَ بِابْتِسَامِ
وَلَوْ جَازَيْتُهُمْ لَوْمًا بِلُؤْمٍ
لَمَا اسْتَوْجِبْتُ جَائِرَةَ الْمَلَامِ
وَمَا كَرَّبِي سِوَى كَرِهِي دِيَارًا
أَقَمْتُ بِهَا فِيا سِوَاءِ الْمُقَامِ
وَلَمَّا صَارَتِ الدُّنْيَا فِلَاءً
وَأَقْفَرَتِ الْحَيَاةُ مِنَ الْكِرَامِ
أَقَمْتُ بِهَا بِإِلَاحِ خِلٍّ وَحِيدًا
وَأَقْعَدَنِي الزَّمَانُ عَنِ اعْتِزَامِي
وَمَا حُسْنُ اللَّيَالِي غَيْرَ وَهْمٍ
وَلَا طِيبُ الْحَيَاةِ سِوَى مَنَامِ

وَتُسَكِّرُنَا الصَّرُوفَ بِكُلِّ دَاءٍ
وَيُسَلِّمُنَا السَّقَامَ إِلَى سَقَامٍ
فَلَسْنَا جِدًّا أَحْيَاءٍ سُكَّارِي
وَلَسْنَا نَسْتَفِيقُ مِنَ الْمُدَامِ
وَأَجْسَادٍ نُلَقِّنُهَا طَعَامًا
فَيُبْلِيهَا وَيَنْخَرُ فِي الْعِظَامِ
فَأَرْوَاحُ تُقَادُ إِلَى خُلُودٍ
وَأَجْسَامٌ تُسَاقُ إِلَى حِمَامِ

* * *

العمر الضائع

مَلَّ البقاءَ فليس العيشُ ينفَعُهُ
إِذْ ما تَبَقَّى لَهُ شَيْءٌ يُضَيِّعُهُ
فما تدوم له حالٌ يكون بها
فالدهرُ يَخْفِضُهُ من حيثُ يرفَعُهُ
حياتُهُ سَفَرٌ في إثَرِهِ سَفَرٌ
فما يَؤُوبُ ولا الأيَّامُ تُرْجِعُهُ
يظلُّ يبيحُ عن بيتٍ وعن سَكَنِ
يَأوي إليه وَصَرَفَ الدهرُ يَمْنَعُهُ
يحيَا على أَمَلٍ قد كان يَنْشُدُهُ
مَتى تَذَكَّرَهُ تَنسَابُ أَدْمَعُهُ
والموتُ أهونٌ من ليلٍ يكون بهِ
سَهْرانٌ مُتَّقِدٌ بالنارِ مَضْجَعُهُ
لولا التَّجَلُّدُ ما أَلْفَيْتَ لي رَمَقًا
إِذْ ما سُقَيْتُ سَوى سَمٍ أُجَرَّعُهُ

أعالج النَّفْسَ والأَيَّامُ تُسَقِّمُهَا
وَأَجْبُرُ الكَسْرُ ثُمَّ الدهرُ يَصْدَعُهُ
لم يترك الدهر لي من شِرتي رَمَقًا
ولا تبق له شيءٌ يُضَعِّضُهُ
أغالب اليأس والأيام تغلبي
وأسعف القلب والأحداث توجعه
سافرتُ دهري فما قابلتُ من أحدٍ
إلا على ثقةٍ أني مُودَّعُهُ
صَيَّعْتُ عُمْرِي فِي الأَسْفَارِ مَرْتَحِلًا
وعدتُ أبحثُ عن عُمْرٍ أُضَيِّعُهُ
أكاد أشرقُ من سَلْسَالِ نَيْلِكُمْ
ولو يكون من الفردوس منبعهُ
وأشرب الماءَ لا أروي به ظمئي
وأظمأُ الناسَ مَنْ لا ماءَ ينقعهُ
* * *

فَخْرٌ عَلَى طَرِيقَةِ الْقَدَمَاءِ

صَدَدْتُ اللَّيَالِي بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِي
وَكَثَّرْتُ فِي وَجْهِ الزَّمَانِ الْمَحَارِبِ
وَأَلَيْتُ أَنْ أَحْيَا بِنَفْسٍ شَرِيفَةٍ
فَجِئْتُ عَجِيبًا فِي زَمَانِ الْعَجَائِبِ
وَعَشْتُ وَحِيدًا بَيْنَ قَوْمِي وَمَعَشْرِي
كَأَنِّي نَجْمٌ بَيْنَ سَوْدِ كَوَاكِبِ
إِذَا أَظْهَرُوا وَدًّا عَلِمْتُ بِغَدْرِهِمْ
وَخَابَ رَجَائِي فِي الْخَلِيلِ الْمَصَاحِبِ
خَرَجْتُ مِنَ الدُّنْيَا عَلِيمًا بِلَوْمِهَا
بَصِيرًا بِمَا تُخْفِي كَثِيرَ التَّجَارِبِ
وَصَرْتُ خَبِيرًا بِالزَّمَانِ وَصَرْفِهِ
وَجَرَّبْتُ مِنْ دَهْرِي جَمِيعَ الْمَصَائِبِ
مَتَى ظَفَرْتُ نَفْسِي بِشَيْءٍ زَهْدَتُهُ
لِعَلْمِي أَنِّي سَوْفَ أَمْنِي بِسَالِبِ

أؤمِّل ما أرجو وأعلمُ أنني
أضيِّع عمري في الأمانى الكواذبِ
تحملتُ أدواءَ الزمانِ جميعها
فلم أرَ داءً مثلَ فقدِ الحبابِ
نُفرِّقُ أحياءً ويُفصلُ بيننا
فكيف إذا صرنا وراءَ الغياهِبِ
ولو كان دهري منصفاً عشتُ راضيًا
ولكنه دهرٌ خبيثُ المآربِ
حياةٌ هي الموتُ البطيءُ بعينه
وعُمُرٌ قصيرٌ مثلَ مرِّ السحابِ
ودهرٌ خَوْونٌ ليس يُؤمِّنُ شرُّه
شغوفًا بتسويد اللئامِ الغواصِبِ

يحط سَراة الناس أسفل منزلٍ
ويُعجل أصحاب النُّهى بالكرايبِ
ولم أكْ مهذارًا وما كنتُ ماجنًا
أضِيّع عُمري في طِلاب الكواعبِ
ولكنني ليثُّ أفوز بفتكةٍ
وأكسب عيشي من عراقِ الكتائبِ
إذا كنتَ ترجو أن تفوز بحاجةٍ
فلا تعتنقْ إلا جميعَ المذاهبِ
ودعْ عنك قول الصدقِ إنني عهدتهُ
يقود إلى البلوى وسوء العواقبِ
ويُغضب منك الناسَ في كل مشهدٍ
ويفتح أبوابَ البَلا والنوائبِ
* * *

البُرْدَة

رَمَتْ فُوَادِي بِسَهْمٍ رَاشَهُ الْقَدْرُ
حُورِيَّةٌ فِي ثِيَابِ الْإِنْسِ تَسْتَرُ
ثُمَّ انْتَثَتْ وَهِيَ تُسْدي النَّصْحَ قَائِلَةً
لَا تَأْمَنَنَّ جُوذْرًا فِي طَرْفِهِ حَوْرُ
وَلَا تَظَنَّنَّ أَنَّ الْحُسْنَ ذُو دَعَا
فَالْحُسْنَ يُقْتَلُ مِنْ فِي قَلْبِهِ حَوْرُ
مَا كُلُّ ظَبِيٍّ ضَعِيفَ الْجِسْمِ تَحْسِبُهُ
إِلَّا وَفِي طَرْفِهِ سَيْفٌ لَهُ أَثْرُ
وَلَنْ تَرَى فَاتِنًا فِي خُلُقِهِ دَمَتْ
فَكُلُّ لَيْئِنٍ قَدِ طَبَعُهُ عَسِرُ
فَقُلْتُ يَا أَبَايَ مَا مِنْ قَتِيلٍ هَوَى
إِلَّا لَهُ مِنْ هَوَاهُ الذَّنْبُ وَالْعُدْرُ
بِأَيِّ ذَنْبٍ أَرَاكَ الْآنَ مُعْرِضَةً
وَقَدْ تَرَكْتِ فُوَادًا كَادَ يَنْفَطِرُ
لَوْ كَانَ ذَنْبِي أَنِّي قَدْ هَوَيْتُكُمْ
فَلَسْتُ أَنْكَرُ بَلْ بِالذَّنْبِ أَعْتَذِرُ

فأسرعت مثل رئمٍ راعه أسدٌ
كأنها غُصن الريحان ينأطرُ
وصرتُ أحيِرَ من يمشي على قَدَمِ
كأنني نابتٌ قد فاتهُ المطرُ
فلست أشفى من الداء الذي جَلَبَتُ
إلا بذكر الذي ما مثله بشرُ
يارب إنني بما أذنبتُ معترفٌ
وعن جميع الذي قدّمتُ معتذرُ
قد كنت أرغب في الدنيا وتشغلي
واليوم مالي بها بالٌ ولا وَطَرُ
وكيف تشغلي والقلبُ منشغلٌ
عنها بذكرك يا ربي ومُزدجرُ
وكيف أعصي وما في الأرض من حَجَرٍ
إلا ويُحسب ما يأتي وما يذرُ
أعوذ باللّه من يومٍ أكون بهِ
وليس ينفعني مالٌ ولا وَزَرُ

أرى الأنامَ على الإيمانِ قد جُبلوا
لكنْ غووا فأتت من دونهم غيرُ
محمدُ يا إمامِ الرسل كلهمُ
ويا نذيراً أتت من قبليه النُذُرُ
ويا شفيعي إذا نوديتُ دونهمُ
ويا مجيري إذا ما زمجرت سَقَرُ
بُعثت للأرض والظلماءِ مُطَبَّقَةٌ
كيما تغادرها والنور منتشرُ
والمشركون على الأوثان قد عكفوا
والمؤمنون برب العرش قد ندرُوا
وثلثُ من كرامِ الناسِ مؤمنةُ
وأكثرُ الناسِ بالتعطيلِ قد جهروا
جميلِ طبعك لا يرقى له بشرُ
ونور وجهك في ليل السُرى قمرُ
* * *

في رثاء موسيقار الأجيال «محمد عبد الوهاب»

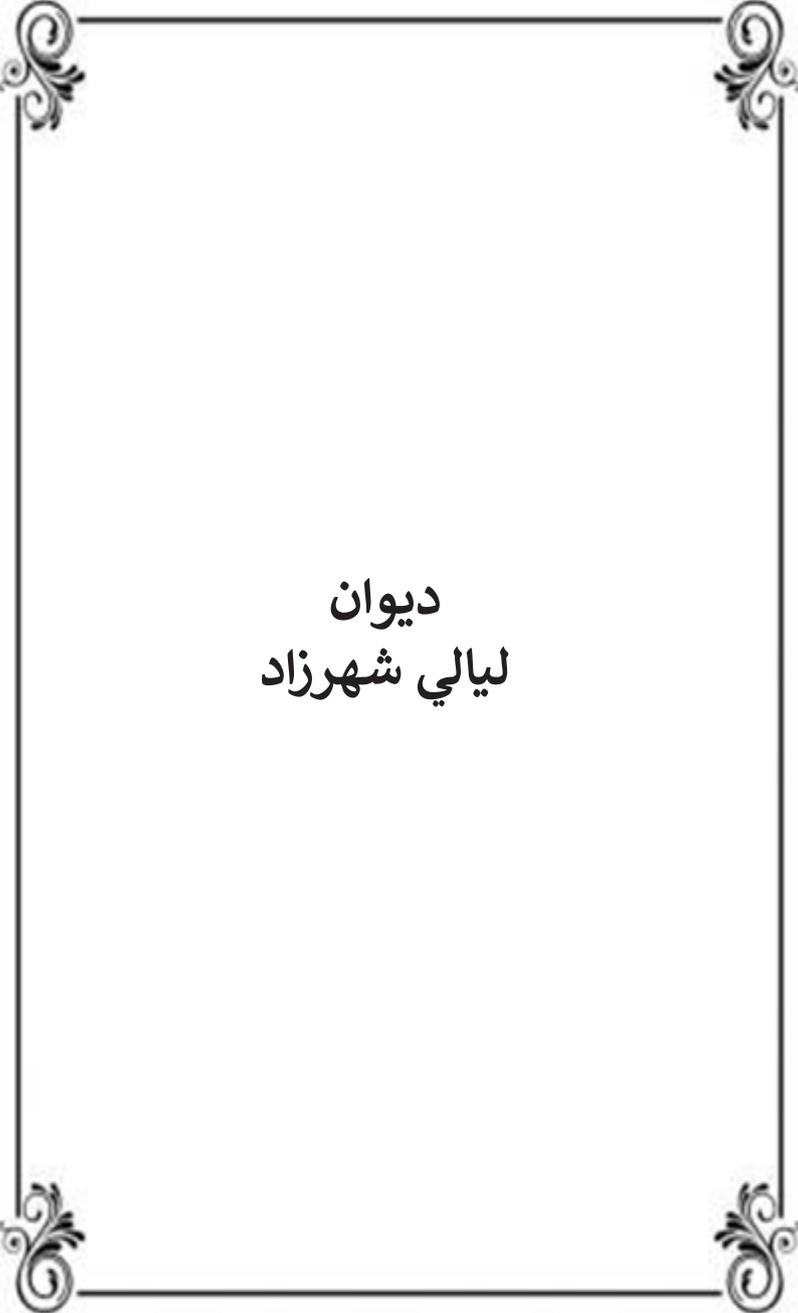
يا راحلاً أودى به القَدْرُ
يبكي عليك البدو والحَضْرُ
يا خَيْرَ من صاغ الهوى نغمًا
وأرقَّ من أصغى له البَشْرُ
وأجَلَّ من غنَّى على وتَرٍ
اليومَ يبكي فَقَدَكَ الوَتْرُ
تشدو فيشدو الكون من طربٍ
وتميل حتى الأنجمُ الزُّهْرُ
ويميسُ عطف الأرض من شجنٍ
ويرقُّ حتى يُورِقُ الحَجْرُ
وإذا بكيت بكى الورى أسفًا
وأتى إليك الدهر يعتذرُ
غنَّيتَ باسم النيل أغنيةً
أصغت لها الشيطانُ والجُزْرُ

وغدت لها الأمواج راقصةً
وشجالها في جَوْفِكَ الصَّخْرُ
وسرَيْتَ بالجنْدول في لَجَجِ
ما خاضها جنٌّ ولا بشرُ
واليومَ قد ضاع الغناءُ فلا
عَيْنٌ له تُلفى ولا أثرُ
أُتْرَاكٌ هل قدِمْتَ من كمدٍ
لَمَّا رأيتَ الفنَّ يُحتضِرُ
أشكو إليك حثالةً جعلتُ
أصواتها تعلو وتنتشرُ
تلقاهمُ فتظنهم بَشَرًا
فإذا شدوا فكانهم بقرُ

ونلوذ بالتصفيق إن صمتوا
وَنَعُدُّهُمْ غَنُّوا وما شعروا
يُلْقُونَ فِي آذَانِنَا كَلِمًا
فكأنما يُلقى بها حَجَرٌ
من كُلِّ غَتِّ الصَوْتِ تَسْمَعُهُ
فتظن أن الأرض تنفطرُ
يُعلي وَيَخْفِضُ صَوْتَهُ صَعْرًا
فيبين فيه العجز والخَوْرُ
وتراه يُخرج صَوْتَهُ قِطْعًا
فتود لو يُنهى ويختصرُ
فارجع فِداكَ اللحنُ والوَتْرُ
إن الغناء إليك يفتقرُ

* * *

لِي عَشْرُونَ شِتَاءً وَأَنَا
أَحْمَلُ الشُّوقَ وَوَعَثَاءَ السَّنِينِ
فِي فِؤَادِي مِنْ تِرَانِيمِ الْأَسَى
أَلْفَ دِيْوَانٍ مِنْ الشَّعْرِ الْحَزِينِ
بِدَمِي صَغْتُ قَوَافِيهَا وَمِنْ
فَرَطِ آلَامِي وَمِنْ وَحْيِ الْحَنِينِ



ديوان
ليالي شهرزاد

ديوان ليالي شهرزاد

صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام 2001 عن دار
الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠١/١٨٦٠

ISBN 977-257-312-1



شهرزاد الأسييرة



ليالي شهرزاد

جَلَسْتُ شَهْرزَادُ فِي الْمَقْصُورَةِ
وَأَعَادَتْ رَوَايَةَ الْأَسْطُورَةِ
أَرْسَلْتُ شَعْرَهَا غَدَائِرَ سَوْدًا
عَقَدْتُهَا ضَفِيرَةً فَضَفِيرَةً
تَرْتَدِي ثُوبَهَا الَّذِي يَكْشِفُ الْحُسْنَ
وَيَبْدِي الْمَحَاسِنَ الْمَسْتُورَةَ
بَسَمَلْتُ ثُمَّ حَوَّقَلْتُ ثُمَّ قَالَتْ
قِصَّتِي الْيَوْمَ قِصَّةٌ مَأْثُورَةٌ
هَذِهِ الْقِصَّةُ الْقَدِيمَةُ لَيْسَتْ
مِنْ حِكَايَا الْمَمَالِكِ الْمَسْحُورَةِ
فَانْبِرِي شَهْرِيَا زُيُصْغِي إِلَيْهَا
وَهُوَ يُخْفِي اشْتِيَاقَهُ وَسُرُورَهُ
كَانَ يُخْفِي هَوَاهُ وَهُوَ يَرَاهَا
فَتَنَةً لِلرِّجَالِ صَوْتًا وَصُورَةً

بدأت شهرزادُ تحكي الحكايا
وتقص العجائب المنظورة
قصة الفلاح الفصيح الذي قد
سلب الجندُ قمحهُ وشعيْرَه
قصة العسكر الطغاة وفرعونَ
مع الشعب في الليالي الأخيرَه
كيف ثار الفصيح والجند يُحصون
عليه شهيقهُ وزفيرَه
فتش الجندُ دارهُ دون جدوى
ثم راحوا يفتشون ضميره
كيف كانوا يراقبون خُطاهُ
كيف كانوا يراقبون شعوره
سكتت شهرزاد حينًا وقالت
وهي تروي الحكاية المذكورة

كيف ثار الفصيح يوماً فسارت
خلفه هذه الجموعُ الغفيرةُ
كيف داست أقدامه جندَ فرعونَ
وهَدَّتْ قِلاعَهُ وقصورَهُ
إنهم كَذَّبُوا الظنونَ فثاروا
وتحدَّوا كلابَهُ المسعورَهُ
كيف لم يخشَ بطشَ عسكرِ فرعونَ
ولم يخشَ نارَهُ وسعيرَهُ
إنه ذاق قسوةَ الجوعِ والحرمانِ
والبردِ والليالي العسيرةَ
بيد أن الغبيِّ لم يفهمِ الدرسَ
ولم يتَّعظَ فلاقى مصيرَهُ
صمتتْ شهرزادُ حينًا وقالت
جَفَّ زَيْتُ السراجِ في القارورةِ

صاح ديك الصباح يُؤذِنُ بالفجر
ويُنهي الحكاية المبتورة
فاحتسى شهريار كأساً فكأساً
وهو فوق الأريكة المستديرة
هزَّ كتْفَيْهِ في هدوءٍ فصاحت
ما الذي عند النَّسر للعُصفورة
غَلَبَ النومُ شهريارَ فلَمَّا
نظرتُ شهرزاد في البئُورة
أبصرتُ شهريارَ يرقص فيها
ويُغني الأنشودة المشهورة
غَلَبَ النومُ شهريارَ فناموا
واتَّقوا الآن ظُلمَهُ وشروره

* * *

حكاية العجل المظلوم

هُم أَحَضَرُوا مِنْ حَلِيهِمْ قَنْطَارَا
وَسَيَّلُوا الْعَقِيقَ وَالنُّضَارَا
وَصَهَرُوا الدِّينَارَ فَالِدِينَارَا
وَمِنْ جُمَانٍ شَكَّلُوا إِطَارَا
وَوَضَعُوا عَلَى جَبِينِي الْغَارَا
وَحَوْلَ كُلِّ مَعْصِمٍ سِوَارَا
وَصَنَعُوا مِنْ ذَهَبٍ إِزَارَا
وَصَيَّرُوا النُّضَارَ لِي شَعَارَا
وَجَعَلُوا سَرِيرَ مُلْكِي النَّارَا
وَحَسِبُونِي الْوَاحِدَ الْقَهَّارَا
فَشَيَّدُوا مِنْ حَوْلِي الْأَسْوَارَا
وَسَجَدُوا وَأَظْهَرُوا الْإِكْبَارَا
وَأَسَدَلُوا مِنْ دُونِي الْأَسْتَارَا
لَكِنَّهُمْ لَمْ يَكْشِفُوا الْأَسْرَارَا
فَأَبْصَرُوا أَمَامَهُمْ جِبَارَا

هُم مَلُؤُوا كُؤُوسَهُمْ عُقَارًا
حَتَّى انْتَشَوْا وَأَصْبَحُوا سُكَارَى
وَاحْتَفَلُوا وَسَهَرُوا الْأَسْحَارَا
وَابْتَهَجُوا وَأَشْعَلُوا الْأَنْوَارَا
وَبَالَغُوا فَاسْتَنْزَلُوا الْأَمْطَارَا
وَنَثَرُوا الْوُرُودَ وَالْأَزْهَارَا
وَعَازَلُوا النُّجُومَ وَالْأَقْمَارَا
وَرَأَوْا النِّسَاءَ وَالْعِذَارَى
وَزَيَّنُوا الْبُيُوتَ وَالْأَدْيَارَا
لَمَّا رَأَوْا فِي عِجْلِهِمْ وَقَارَا
فَحَيَّرُوا فِي كُنْهِهِ الْأَفْكَارَا

هُمَّ عَبْدونِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَا
وَكَابِدُوا الصَّعَابَ وَالْأَخْطَارَا
وَحَارِبُوا فِي دِينِي الْكُفَّارَا
وَمَجَّدُوا الْكُفَّانَ وَالْأَحْبَارَا
وَقَرُّوْا الْعَهْودَ وَالْأَسْفَارَا
وَأَلَّفُوا فِي سِيرَتِي الْأَخْبَارَا
وَأَنْشَدُوا فِي حَبِي الْأَشْعَارَا
وَحَسِبُوا سَكِينَتِي إِنْ ذَارَا
فَسَأَلُونِي الْعَفْوَ وَالْإِعْذَارَا
وَزَرَعُوا فِي جَنَّتِي الْأَشْجَارَا
لَكِنَّهَا لَمْ تُؤْتِهِمْ ثَمَارَا

هم شاهدوا في ذهبي اصفرارا
لم يُبصروا الشحوب والصفارا
ثم أهالوا فوقَي الغُبارا
وانتظروا أن يسمعوا خُوارا
ياليتهم قد دهَنوني قارا
أو أنهم بي أُبدلوا جِمارا
قد عبد المجوسُ قبلي النارا
وجعلوا دخانها منارا
والسامريُّ حَقَّر الأحجارا
واختار شكل ربهِ اختيارا
فصاغهُ من حَلِيهِ نُضارا

هُمَّ أَلْبَسُونِي ذِلَّتِي وَالْعَارَا
لَمَا أَدَارُوا بَيْنَهُمْ حَوَارَا
ثُمَّ اسْتَشَارُوا الْقَلَّكَ الدَّوَّارَا
وَالدَّمَ فِي عَرُوقِهِمْ قَدْ ثَارَا
بَالُوا عَلَى جِبَلَّتِي مَقْدَارَا
وَفُوقَ جِسْمِي جَمَّعُوا الْأَقْدَارَا
لَكِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ فِرَارَا
فَدَنُّسُوا بِجِثَّتِي الْبَحَارَا
وَتَرَكَونِي أَلْعَنَ الْأَقْدَارَا

* * *

أورشليم

متى تتمُّ النُّبوءةُ
وتستجيب المشيئةُ
وينتهي الظلم والقهر
والليالي المُسيئةُ
فإن أهلكِ كادوا
يُكذِّبون النُّبوءةُ
وقد غزا الجوع
والبرد أرضك الموبوءةُ
وصارت الأرض بالغش
والخطايا مليئةُ
يا أورشليمُ وما أنتِ
من ذنوبٍ بريئةُ
وكلما اقترب اليومُ
أبعدتتهُ الخطيئةُ
أسطورةُ الدم والنار
كذبتُها المشيئةُ

وَقَتَّتْ أَعْيُنُ النَّاسِ
الْقِصَّةَ الْمَشْنُوءَةَ
وَمَاتَ مَنْ قَبْلَ أَنْ
يَأْتِيَ مِنْ ظَنَنَّا مَجِيئَهُ
ثُمَّ امَّحَتْ أَسْطُرُ
الْخَوْفِ بِالسُّطُورِ الْجَرِيئَةَ
وَجُنَّ مَنْ عَاشَ فِي
هَذِهِ اللَّيَالِي الرَّدِيئَةَ
لِيَكْثَرَ الشُّؤْمُ وَالنَّحْسُ
وَالْوَجُوهُ الْقَمِيئَةَ
مَا أَبْعَدَ الْجَدْبَ وَالْقَحْطَ
وَالْمِرَاعِي الْوَبِيئَةَ
عَنِ الْخُصُوبَةِ وَالْمَاءِ
وَالزَّرْعِ الْمَرِيئَةَ
قَدْ أَهْلَكَ الْوَعْدُ
أَهْلِيكَ بِالْأَمَانِي الْبَطِيئَةَ
وَكَمْ سَقَاهُمْ كَوْوَسًا
مِنَ الْأَسَى مَمْلُوءَةً

حتى متى يؤمن الناس
بالحكايا الدنيئة
ويذرعون المدى
فالمدى ذهاباً وجيئة
ويحلمون بأن تأتي
الليالي الدفيئة
ويذبحون القرابين
في الأراضى الوطيئة
ويزرعون فلا
يحصدون إلا نسيئة
يا أورشليمُ وما أنتِ
من ذنوبٍ بريئة
حتى متى يحلم الناس
بالحياة الهنيئة
وتمنعين انكشافَ
الحقيقة المخبوءة
وتلعقين بقايا
جراحك المنكوءة

* * *

شهيد العجز العربي*

أمطروها قذائفًا وقنابلُ
وازرعوها مشانقًا ومقاصلُ
وافتكوا في ربوعها بالصبايا
وأصيبوا من النساء المقاتلُ
بارك اللّهُ خطوكم ورعاكم
عسكرًا أحسنوا قتال الأراملُ
إنني أبصر النهار ظلامًا
نُصب عينيّ والدماء جداولُ
طاردوا الجوعى والعراة المساكين
ولا ترحموا عويل الثواكلُ
أحرقوا دورنا ودُكُّوا قُرانا
والمباني وزلزلوها زلازلُ
عربدوا في ربوعنا وجمانا
واحكموها مخارجًا ومداخلُ

* هذه القصيدة عن الطفل «محمد الدرة» الذي اغتالته قوات الاحتلال الإسرائيلي عام 2000 وأذيعت الجريمة في بث مباشر على الشاشات.

كُتِبَ النصر في القتال عليكم
وعلينا هواننا والتخاذلُ
نزل الوحي بالقتال فهُبُّوا
واملؤوها قذائفًا وقنابلُ
نزل الوحي من سماء السياسات
كتابًا مؤلفًا بالباطلِ
فاحفظوا مُلَّكَكُمْ وصونوا جِماهُ
كل مُلْكٍ سِوَاهُ مُلْكُ زائلُ
نحن قومٌ عفا الزمان علينا
واكتفينَا بما بناه الأوائِلُ
وَتَرَكْنَا التاريخ يصنعه قومٌ
سِوانا مآسِيًا ومهازلُ
نحن قومٌ نرى الخضوع سلامًا
فعلام القتالُ من غير طائلُ
فأريقوا الدماء في كل صوبٍ
واملؤوا الأرض عسكرًا وجحافلُ
واشربوا نخبكم دماءً ونازًا
واستبيحوا حصوننا والمعازلُ
قد رَكَنَّا إلى السلام اختيارًا
واسترحنا إلى الكرى والتواكلُ

* * *

في رثاء الفتى العربي

قد عرفناه كريماً
لم يعد يُكرم جاره
وعهدناه أبيعاً
لم يعد يأخذ ثاره
ورأينا أرضه قد
زلزلتها ألف غاره
ومشى الغازون فيها
كلهم يُشعل ناره
وهو غافٍ لا يبالي
أيُّهم يُحرق داره
رحم الله زمناً
أشهد العرب انتصاره
أيقظوا الكون وكانوا
في دجى الليل مناره

ملؤوا الأرض سماحًا
وجهادًا وحضارَه
وغدا الإسلام ركنًا
كلهم يحمي ذِمَارَه*
فإذا المُنكُ مكينُ
رحم اللّه أزهوارَه
وانتهى الأمر لأقوامٍ
أدالوهُ تجارَه
فإذا القومُ عليهم
أسدلّ الليلُ ستارَه
يا صلاح الدين قُمْ وابكِ
على خير إِمَارَه
واشهد القدس مُباحًا
دنس الكُفر جِوارَه

* الدَّمَار: ما ينبغي حمايته والدفاع عنه.

ومغانيه خَلَّتْ من
رجلٍ يغسل عارَه
ويهود الأرض قد داسوا
جماهُ وديارَه
مائهُ يخذل أقوامًا
تناديه استجارَه
ويرى الأطفال دَبُّوا
عن جماهم بالحجارَه
ويجودون صغارًا
بدمٍ فاض طهارَه
كانت الحرب قتالًا
فهى اليوم دعارَه

* * *

بغداد تخاطب القومية العربية

نوحى على خفزي بنودي
وابكي على مجدي التليد
وتذكري الأرض التي
باع السناجب للقروذ
من بَعْدِ أَنْ دَفَنُوا صَاحِبَ
الدين في قبر الرشيد
الشامُ ينتظر الخلاص
ومصرُ ترفل في القيود
والنيلُ ينظر ضاحكًا
للقدس في أيدي اليهود
والجنْدُ أضحى سيفهم
في خدمة الجن المريد
هانت على العرب العروبة
وارتضوا عيش العبيد

أنا كنت درة تاجها
ودعامة الملك الوطيدِ
والسادة العرب المغاوير
الذين نسوا عهودي
سيجيء بعدي دورهم
ليكون خاتمة القصيدِ
أنا بنت هارون التي
لمَّا تَزَلْ بلدَ الأسودِ
أنا كعبة الأحرار في
زمن الخيانة والهُجودِ
قد يبلغ الأعداء ما
قد أمَّلوا إلا سجودي

إِنْ يَحْرَمُوا شَعْبِي الطَّعَامَ
يَكُنْ طَعَامُهُ مِنْ صَدِيدِي
أَوْ يَقْتُلُوا جَنْدِي أَحَارِبُهُمْ
بِأَطْفَالِي وَغِيْدِي
أَوْ يَسْلُبُوا جَنْدِي الْحَدِيدَ
فَعَظْمُ أَمْوَاطِي حَدِيدِي
أَوْ يَمْنَعُوا عَنِّي الْوَقُودَ
فَعَزْمُ فَتْيَانِي وَقُودِي
سَأَصُدُّهُمْ مَهْمَا عَتَوْا
وَأَزْفُ لِلدُّنْيَا صَمُودِي

* * *

أحزان مواطن

مِنْ أَلْفِ عَامٍ لَا أُجِيبُ
وَأَكْتُمُ السَّرَّ الرَّهِيْبُ
مَسَافِرٌ فِي رِحْلَةٍ
كُلُّ الَّذِي فِيهَا عَجِيبُ
بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشُّمَالِ
وَالشُّمَالِ وَالْجَنُوبِ
مَنْ سَفَرَ لِسَفَرٍ
وَمَنْ دَرَبَ لِدَرَبٍ
وَفِي حَقَائِبِي حَمَلْتُ
كُلَّ أَنْوَاعِ الطُّيُوبِ
بَدَأْتُ سَيْرِي يافِعًا
وَعُدْتُ يَعْرُونِي الْمَشِيبُ
ذَهَبْتُ عِنْدَ مَحْنَةٍ
وَجِئْتُ فِي يَوْمِ عَصِيبُ

أنا مسيحُ كل لحظةٍ
أعيشها صليبُ
دمي الذي سال به
كتبتُ قصةَ النحيبِ
طابت جراح جسدي
وجُرح نَفْسي لا يطيبُ
قد أنشبووا أظافرهم
فيّ وأنشبووا النُّيوبُ
وفتشوا قلبي وعقلي
دون جدوى والجيوبُ
وملؤوا جسمي وروحي
بالجُروح والندوبُ
وذقتُ من قسوتهم
ومن عذابهم ضروبُ

وعندما تحين ساعة
الهدوء والمغيب
ألقي عصاي لا أبالي
أين تلقيني الدروب
مُذْ صار وجهُ الأرض في
عينيّ مذموماً كئيب
أسمع للغربان في
كل نواحيها نعيب
قد صلبوا قبلي فيها
ألفَ ألفِ عندليب

* * *

مَوْلَايَ الرَّئِيسِ

مَوْلَايَ رَجَائِكَ فِي الطُّرُقَاتِ
يُحْصُونَ عَلَى النَّاسِ الْحَرَكَاتِ
وَالكُلُّ يَتَاَجَرُ بِالْأَقْوَالِ
وَبِالْأَفْعَالِ وَبِالْأَصْوَاتِ
وَرَعَايَاكَ الْأَحْرَارِ نِيَامُ
فِي الْأَحْلَامِ وَفِي الْيَقَظَاتِ
وَيَمُرُّ اللَّيْلُ وَرَاءَ اللَّيْلِ
وَكَلُّ رَوَاهِمِ مُشْتَبِهَاتِ
وَالسَيْفُ الْمُسَلَّطُ فَوْقَ رِقَابِ
النَّاسِ يَعْنِي الْمَعْنَى الْفِتَاتِ
وَالخَوْفُ الْكَامِنُ فِي الْأَحْشَاءِ
يَشُدُّ عَلَى الْعَصَبِ الْعَضَلَاتِ
لَمْ يَبْقَ سِوَى أَشْبَاحِ الْأَطْفَالِ
الْجَوْعَى تَغْشَى الطُّرُقَاتِ

فالعسكرُ قد سَدُّوا الأسواقَ
وجندك قد ملؤوا التُّكُناتَ
ودعاءُ رجال الدينِ علا
يَتَلون على الناسِ الآياتَ
مِن أجلكِ وحدكِ يا مولايَ
يقوم الناسُ إلى الصلواتِ
مَن لا يخشون مِنَ اللعناتِ
ومَن يخشون مِنَ اللعناتِ
يَدْعون صباحَ مساءً لمن
قد علّمهم كبتَ الشهواتِ
وتُسَبِّحُ باسمك ألسُنُهُم
فتحل على الأرضِ البَرَكاتُ

مولايَ رجالك كي تبقى
فتحوا أبواب المُعْتَقَلَاتِ
وجنودك كي ترضى عنهم
حبسوا الأحياء مع الأموات
دقاتُ طبول الجند عََلَّتْ
مع نفخ العسكر في الآلاتِ
بنشيدٍ ليست تفهمه
فثُردُّهُ كُلُّ الْجَنَابَاتِ
اللحنُ الأوحْدُ في الأحزانِ
وفي الأفراح وفي الأزْمامَاتِ
إن كان الذاهِبُ مثْلَ الحاضرِ
إنَّ الحاضرَ مِثْلُ الآتِ

* * *



من أغاني الزمن الرديء



مِنَ أَغَانِي الزَّمَنِ الرَّدِيِّ

اسقني كأس البكاء
أشبه النوح الغناء
اسقنيها ثم دعني
وهي تجري في الدماء
ثم لا تقرأ على سمعي
سوى سفر البكاء
ليس في الكون خلود
كلُّ شيءٍ لانتهاه
والأقانيم هراء
والتُّساعات هراء

* * *

اسقني خمر السهر
أشبهه الدود البَشْرُ
كلُّهم يحيا ولكن
وهو يرعى في الحُقْرُ
قد تساوا في هوى النَّفس
وصاروا كالبقْرُ
مَزَّقَ الظنُّ ضميري
وغزت عقلي الفِكرُ
اسقني كأسًا فكأسًا
ثم دعني أنتحرُ

* * *

اسقني خمر السراب
أشبه الرُّوحَ العَذَابُ
ثم دعني لطريقي
وأمانِي الأمانِ
قد أضعتُ القلبَ فيها
ثم ضيّعتُ الشبابَ
إنني وحديّ أمضي
من سـرابٍ لسرابٍ
كل أبواب الأمانِ
أوصدت باباً فباباً

* * *

اسقني خمر الوجع
أشبه الجوع الشَّبْعُ
نحن في كونٍ غريبٍ
يقلب الهِرَّ سَبْعُ
كلُّ ضدِّ صار
بالضد شبيهاً واجتمع
لستَ يا صاحِ نصيحاً
وأننا لا أستمع
كنتَ أجزى النصح لو
كنتُ بنصحٍ أنتفعُ

* * *

اسقني خمر السلام
أشبه الصمت الكلام
يا نديمي إنَّ شيخ
القوم أضحى كالغلام
وغدا الناس رَعَاءًا
من زحامٍ لِحامٍ
ما عسى تُجدي رؤوسُ
دفنوها في الرِّغامِ
وعلى العقل لِحامُ
وعلى الثغر لِحامُ

* * *

اسقني خمر الغضب
أشبه الصدق الكذب
ورآني ودنا مني
يهوذا واقترب
فسقوا جوفي خلاً
وحشوا فاه ذهب
صلبوا عقلي وقلبي
فوق عود من خشب
فعلى مثل صليبي
كم مسيح قد صلب

* * *

اسقني كأس السُّلُو
أشبهَ البعد الدُّنُو
وأنامِ مثل سفينِ
مالها الدهر رُسُو
لَمْ يَدْمُ لي فيه حالٌ
مِن رَسُوٍ وطُقُو
فَعُلُوٍ وانسفالٌ
وانسفالٌ وعُلُوٍ
حكم الدهرُ علينا
فَعَتَا أَيَّ عَتُوٍ

* * *

اسقني كأس المُحَالُ
أشبه القبح الجَمَالُ
والمرايا تعكس الوهم
يمينا وشِمالُ
وأنا وحدي لا أقوى
على هذا الخَبَالُ
فحلل كحرامٍ
وحرام كحلل
وأنا وحدي سجينُ
وقيودي من ليالٍ

* * *

اسقني خمر الجروح
أشبه المهد الضريح
يا خليلي كل ما في
الأرض مدمومٌ قبيح
مُليئتُ نفسي جروحًا
وامتلا الجسم جروح
فغدا عندي سواء
من يغني وينوح
فاسقني الكأس وأنشد
صَلب الروم المسيخ

* * *

اسقني خمر الشجون
أشبه العقل الجنون
أخطأ الحدس وحات
في مدى الشك الظنون
كل شيءٍ نتمناه
بعيدٌ لا يكون
رُبما هانت نفوسٌ
ونفوسٌ لا تهون
إنما روحك والجسم
دُخانٌ في أتون

* * *

المسيح التائه

طَرَفْتُ بِأَبْ فَبَابُ
فَمَا وَجَدْتُ جَوَابُ
وَصَرْتُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِي
فِي حَيْرَةٍ وَارْتِيَابُ
أَنَا مَسِيحُ مُسَجَّى
عَلَى صَلِيبِ الْعِقَابُ
أَسْقَيْتُ خَلًّا وَمِنْحًا
وَذُقْتُ خَبْزَ التَّرَابُ
فِي كُلِّ مَرَعَى وَبَيْءِ
وَكُلُّ أَرْضٍ خَرَابُ
تَمُرُّ سَبْعُ صَعَابُ
فِي إِثْرِ سَبْعِ صَعَابُ
حَوَاءُ وَاللَّيْلُ حَوْلِي
مُغْلَقُ الْأَبْوَابُ

والأرضُ تصرخُ غَضْبَى
والكوْنُ يبكي انتحاباً
وقد ضَلَلْتُ طريقي
وَسَطَ الدُّجَى والضبابُ
لا تتركيني وحيداً
في وَحْشَةٍ واكتئابُ
وحول جسمكِ صارت
ترعى وتعوِي الذئابُ
وَأَنْتِ عَيْنَاكِ بحرٌ
يَطْوِلُ فِيهِ الغيابُ
الغَوْصُ فِيهِ انتحارُ
والبُعدُ عَنْهُ اغترابُ
ولِي فـؤَادٌ غَريقٌ
قَد راح فِيهِ وِغَابُ
شابت أمانِيهِ قَبْلُ
الشَطوط فِيهِ وشابُ

لا تتركيني صريعاً
وَسَطَ احْتِدَامِ الْعُجَابِ
أَضِيْعَ الْعَمْرِ وَحَدِي
على ضريح اليباب
أمامي الدربُ وهُمُ
والدرب خلفي سرابُ
وأنتِ جسرُ حزينُ
بيني وبين العذابِ
على جناح قصيدي
ستبلغين القبابِ
وتُشرفين على الكونِ
من خلال السحابِ
وما أحبُّكَ لَكِنُ
أحبُّ فيك الشبابِ

* * *

العشاء الأخير

أنافي الدنيا مسيح
عاش في أرضٍ شقيّة
أزسَلْتُهُ ربة الفن
ورب العبقريّة
عشتُ في الكون وحيداً
هائمًا بين البريّة
أَتَغَنَّى بأناشيد
وألحانٍ شجيّة
فأنا بين عذباتي
وآلامي العتية
تائه بين وجوه
وقلوبٍ حجريّة
ولقد أنفقتُ عمري
في دروبٍ لولبية

كُلُّهَا حَزْنٌ وَبُؤْسٌ
وَمَتَاهَاتٌ غَوِيَّةٌ
أَحْمَلُ الْأَحْزَانَ فِي كُلِّ
نُتُوٍّ وَ ثَنِيَّةٍ
عَشْتُ فِي مَنْفَايَ أَدْعُو
لِخَلَاصِ الْبَشَرِيَّةِ
كَانَ إِنْجِيلِي شِعْرِي
وَمَزَامِيرِي رَوِيَّةٌ
وَالْحَوَارِيُّونَ مِنْ حَوْلِي
لَمْ يُبْقُوا عَلَيَّ
أَشْهَرُوا فِي وَجْهِ أَعْدَائِي
سَيَوْفُوا وَرَقِيَّةً
وَدَرُوعًا مِنْ حَرِيرٍ
فَوْقَ خَيْلٍ خَشْبِيَّةٍ
أَكْرَمُوا مَثْوَايَ لَكِنْ
صَلَبُونِي فِي الْعَشِيَّةِ

* * *

سؤال

حتى متى يا يسوعُ
هَذَا الظُّمَاءُ والجُوعُ
والقَهْرُ والظُّلْمُ فِي الأَرْضِ
والشُّقَا والخِضْوَعُ
والنَّاسُ حَوْلِي تَبْكِي
فُلُوْلَهُمُ والجُمُوعُ
وَلَسْتُ أَبْصِرُ فِيهِمْ
مَنْ رَأْسُهُ مَرْفُوعُ
وَلِيَتَامَى دَمُوعُ
وَلِلثَّكَالِي دَمُوعُ
وَمَا يَمْزُجُ صَقِيحُ
حَتَّى يَجِيءَ صَقِيحُ
وَقَدْ غَدَا يَمْلَأُ الأُفُقَ
ذَا الظُّلَامُ المُرِيحُ
كَأَنَّمَا الأَرْضُ سَجُنُ
جَمِيعِهَا وَالرَّبِيعُ

وأوشك العُمُرُ يُضحِي
وليس فيه هَزيحُ
والصبح سَدُّ منيعُ
والليل سَدُّ منيعُ
وأَقْفَرَتِ كل أرضٍ
من حولنا والنجوعُ
وليس ثم نباتُ
وليس ثم زروعُ
تَمَلَّكَ العَجْزُ مِنَّا
فنحن لا نستطيعُ
وكل جسمٍ هزيلُ
وكلُّ قلبٍ وجيعُ
وقد أضعنا الأمانِي
والعُمُرُ كاد يضيعُ
وكم سألنا الليالي
متى يحين الرجوعُ
وكم صبرنا على الذل
والشقايا يسوعُ

* * *

في انتظار النبأ

فَوَادُّ شَفَّهُ الظَّمُّ
وَرُوحٌ هَدَّهَا الخَطَأُ
وَجَسْمٌ نَالَ مِنْهُ اليَأْسُ
وَالإِعْيَاءُ وَالصَّدَأُ
تَغَرَّبَ عَنْ أَحْبْتِهِ
فَلَا مَاءٌ وَلَا كَلَأُ
يَقَاوِمِ مِثْلِ مَصْبَاحِ
تَوَهَّجَ قَبْلَ يَنْطَفِئِ
تَسَاوَتْ عِنْدَهُ الْأَشْيَاءُ
حَتَّى السُّقْمُ وَالْبُرُؤُ
فَلَا حُزْنَ وَلَا فَرْحُ
وَلَا رِيٍّ وَلَا ظَمَأُ
وَلَا يَدْرِي نَهَائَتَهُ
وَلَا مِنْ أَيْنَ يَبْتَدِئُ
أَدُورُ عَلَيْكَ مِنْهُوًگَا
وَأَرْجَعُ وَهُوَ مَهْتَرِي

أمامي التيه ممتد
وخلفي الطين والحمأ
أَطَوَّفُ فِي دِجَائِهِ
ونجم الليل منطفئ
وَأُبْصِرُ فِي ظِلَامِ الْكُونِ
أشباحاً فأختبئ
وَأَلْهَثُ فِي هَجَائِرِهِ
وَيُبطئُ سَيْرِي اللَّكِيءُ
ولا ظلُّ أَلُوذٍ بِهِ
وما في الأرض مُتَّكِئاً
أَحْتُ الخَطْمَ مَقْهُورًا
وأركضُ نَمَّ أَنْكَفِي
وقد كَسَرَ الزَّمَانُ عَصَا
عليها كنت أَتَّكِي
تُمزِّقُني سِوَا فِيهِ
ويُرديني بِهِ الْوَبَاءُ

ومن حولي تصيح البوم
والغربان والحدأ
وبين يديّ كأس اليأس
والحرمان ممتلئ
ومن فوقي سماء التيه
بالأنواء تمتلئ
وقد أخذت تغور الأرض
تحتي كلما أطأ
أفكر كيف أقطعهُ
ولكن لست أجتري
ولا طيرٌ أسخُّره
ولا صرْحٌ ولا مَلَأٌ
ولا الدنيا هي الدنيا
ولا بلقيسُ يا سبأ
وقد طال انتظاريه
ولمَّا يأتني النَّبَأُ

* * *

أنشودة عيد الفصح

عيناك ليل العُمر ضياء
ودوائي منك ومنك الداء
حَوَاءٌ أَنْتِ وَلَمْ تُخْلُقْ
من قَبْلِكَ في الدنيا حَوَاءٌ
فارقْت عيونًا لا تُحصى
وأتيْتُ لأشرب قطرة ماء
وعبرتُ بحار الوهم سُدىً
وذهبتُ لداركِ ذاتَ مساءً
وسفيني قبل النوء غدا
يُزجيه لشطك حبلُ رجاء
وأنا من يوم رأيت قسيطاتي*
لَمْ تُكْمَلْ سَعْرُ الشاء
أرسلتُ إليكِ قرابيني
من قلبي الخافق في الأحشاء

* قسيطات: جمع قسيطة وهي قطعة من النقود ورد ذكرها في العهد القديم.

ورجعتُ حزينًا حيرانًا
لَم أَظْفِرْ مِنْكَ بِغَيْرِ هَبَاءٍ
لِحِظَاتٍ قَدْ بَقِيَتْ حَتَّى
يَتَحَوَّلُ هَذَا الصَّيْفُ شِتَاءً
وَأَغَادِرَ وَادِي الْكَرْمِ وَلَمْ
أَعْصِرْ لِي مِنْ كَرْمٍ صَهْبَاءٍ
وَأَغَادِرَ أَرْضِ اللَّيْلِ بَلَا
جَسْمٍ أَوْ قَلْبٍ أَوْ أَعْضَاءٍ
إِنْ تَقْتَرِبِي مِنِّي نَسْمَعُ
لِلصَّمْتِ حَوَالَيْنَا أَصْدَاءَ
فَتَعَالِي قَبْلَ السَّيْرِ تَعَالِي
نَكْتُبُ أَصْحَاحَ الْأَخْطَاءِ
وَنَغْنِي مَزْمُورًا فَرْدًا
لِوَدَاعِ الْمَوْتَى وَالْأَحْيَاءِ

وَأَعِدِّي حنطة عيد الفصح
لنصنع في الليل الحلواء
فسأذهب وحدي قبل
الفجر وأضرب في كل الأنحاء
الأفقُ بعيدٌ عن عيني
وخبوءاً كل الأرض خواء
وأجوب الأرض صباح مساء
أجوب الأرض صباح مساء
أنا صوتٌ يصرخ في الأرجاء
يُحيل جميع الصمت نداءً
وطريقي المُجْدِبُ مُمْتَدُّ
صحراءٌ في قلب الصحراء
وسأبحث عن كهف ناءٍ
قد راح الصمت عليه وجاء
وأحث خطايَ إليه ولا
أتنفس في السير الصُّعْداء
تتحطم فيه الريح على
الجدران وتصبح كالأشلاء

وعليه نقوشٌ تُظهر أن
قد ثار غبارٌ في الأجواء
يتوقف سير الوقت بهِ
ويصير وجود المرء قنأً
والليل يجيء بلا خبرٍ
والصبح يجيء بلا أنباء
عرافة هذا الكهف غدت
صماءً خرساءً عمياء
كسرت بلُورتها في الليل
رياحُ الأيام الهوجاء
فتعالِي قبل السير تعالي
نكتب أصحاب الأخطاء
من قبل ضياع العمر سُدىً
وضياع الصرخة في الغوغاء
وولاءٍ يسوعٍ للرومان
وسير يهوذا فوق الماء

* * *



الآهات الأخيرة



الآهات الأخيرة

يا حبيبي بلغ الشوق مَداهُ
آهٍ من ذكراك في قلبي آهٍ
عشتُ عُمراً قبل لقياك سُدىً
لَمْ أَكُنْ أعرف معنَى للحياهِ
وأنا الآن غريقٌ عاجزٌ
هالكٌ يبحث عن طوق نجاهِ
فترفقُ بمحبِّ حائرٍ
هدَّه الشوقُ وأضناه هواءُ
ذرع الأرض مجيئاً وذهاباً
وألقى بَعْدَ أن ملَّ عصاهُ
صدَّق الأوهامَ في سكتِهِ
وأضلَّتْهُ أمانِيهِ فتاهُ
أكملَ الرحلة حتى المنتهى
وتهاوى عندما خارت قواهُ

يكتُمُ الصرخة في مُهجتهِ
ويُغَنِّيك أناشيد شجَاهُ
والمواويل التي رنَّ لها
الآن خُطَّتْ بمدادٍ من دماءِ
يصطلي النار التي لم تنطفئُ
منذ أن أشعلتها بين حشاهُ
ضاربًا في التيهِ منهوكِ القُوى
ليس يدري أين تلقيه خُطاهُ
فدعيه الآن يبكي حَظَّهُ
واتركيه لشجَاهُ وأسَاهُ
علَّه يرجع عن ثورتهِ
وعسَاهُ يهدأ الآن عسَاهُ

* * *

قُربان

أنا طيرٌ على يديكِ
يغني ويحترق
كان في رحلة المُحال
مع الوهم مُنطلق
جاء مغناكِ هائمًا
يشتري الحُب بالأرق
أنا هومتٌ في رُباكِ
من الفجر للغسق
كم شريدٍ بهامضى
وشريدٍ بهاعلق
كل بابٍ بها طرقتُ
فأبصرته انخلق
أنا من عَفٍّ في هواكِ
فـوادي ومافسق

صَمَتَ الشُّوقَ بَيْنَنَا
وَلِسَانَ الْهَوَى نَطَقُ
فافترقنا لنلتقي
والتقينا لنفترق
كنتِ في الليل دُرَّةً
زانها النور والعَبَقُ
سرق العُهرُ طيبها
ومضى بالذي سرق
كنتِ كالشمس طفلةً
يزدهي عُمرها الشَّمَقُ
كنتِ أنشودة الصباح
وترتيلة الشَّفَقِ
وسراجاً ضياؤه
هزم الليل وانبثق

أنتِ دنيا من الرياء
ودنيا من المَلَقِ
أنتِ شيطانةٌ دمء
شرايينها شَبَقُ
لستُ وحدي الذي مضى
وعلى دربكِ انطلقُ
أنا قد سرْتُ في هواكِ
على درب من سبقُ
إيه أيقونةَ الجَمالِ
على هيكَل الأَلقِ
أنا قُربانكِ المُسَجَّى
على مذبح القلقِ

* * *

عاصفة

بيننا أَلْفُ سَوْرٍ وَسَوْرٌ
وَمُنَى أَوْشَكْتُ أَنْ تَشُوْرُ
وَبِرَاكِيْنَ تَغْلِي وَتَلْقِي
الْلَّظَى مِنْ قَدِيْمِ الْعَصُوْرُ
وَأَعَاصِيْرُ مِنْ شَجِنٍ
فَرَّقْتُ بِالسَّوَاْفِي الْبَذُوْرُ
وَالْبَذُوْرُ الَّتِي بَقِيَتْ
كُلَهَا بُذِرَتْ لِلشَّرُوْرُ
وَالرِّيَّاحِ الَّتِي احْتَدَمَتْ
قَطَفْتُ مِنْ يَدِيْنَا الزَّهْوُوْرُ
وَالرَّمَالِ الَّتِي طَالَمَا
قَدْ بَنِيْنَا عَلَيْهَا الْقَصُوْرُ
قَدْ ذَرَّتْهَا الْعَوَاصِفُ
وَالرِّيْحُ فِي لَيْلِ حَزَنِ مَطِيْرُ

والطيورُ التي حَوَّمتُ
سقطتُ في الطريق الطيورُ
فألربيع الذي طالما
ملاً الكونَ عطرًا ونورُ
انقضى عَهْدُهُ فانقضى
مَعَهُ عهدُ السنا والعبيرُ
والنهار الذي أقسمتُ
بعدهُ الشمسُ ألا تُنيرُ
أظلمتُ بعدهُ الأرضُ إذْ
كان فيها النهارُ الأخيرُ
فأتانا الخريف رسول
الشتاء الكئيب الميرُ

* * *

إلى زبيدة

لا تجزعي إن بكى شعري وترتيلي
يا بنت دجلة إني شاعر النيلِ
حطمتُ موجَ شبابي عند صخرتهِ
وعُدتُ يملؤني يَأسي وتهويلي
عشرون عامًا لو ان الدهرَ ينصفي
في عدِّ عُمري عَدَدتُ اليومَ بالجيلِ
نزفتُ شعري دماءً في مراعها
وصغتُ في حبها أغلى مواويلي
بحثتُ في الكون عن حيٍّ أَحَدتُهُ
فما وجدتُ سوى صُمَّ تماثيلِ
ورحمتُ أبحثُ عن دارٍ وعن سكنِ
وأحملُ الرحل من ميلٍ إلى ميلِ

كأنني من بقايا التيه منقلبُ
العيشُ يُفزعني والموت يحلو لي
طريدةً في فضاء الأرض منفردُ
أفرُّ فيها من الطير الأبايلِ
وسوف أبقى على الأيام أغنيَةً
تضيء بالحق في ليل الأباطيلِ

* * *

فتنة عربية

كُل ما فيكِ فتنةٌ عربيَّةُ
صاغها اللّهُ آيةً عبقريةً
وأنا الشاعر الذي يعشق الحُسن
ويهوأهُ صُبْحَهُ وَعَشِيَّتَهُ
أعبد اللّهُ في الجَمال وفي الحُسن
وفي كل غادةٍ وصبيَّةٍ
وأراهُ في كل وجهٍ جميلٍ
تتجلي آياته المقدسيَّة
ورضاهُ في كل لفتةٍ جيدٍ
وعلى كل بسمَةٍ قرمزيَّةٍ
وأرى سُخطَهُ إذا أنتِ أَعرضتِ
وغرَّتْكِ فِطْرَةٌ أنثويَّةُ
حين ألقاكِ تبسمين فيغدو
الليل أحلامًا عذبةً شاعريَّةً
وتصير النجوم نشوى كأن قد
رشفْتُ من شفاهكِ البابليَّةُ

وتجيبه الطيور تترى تغني
أغنياتٍ أَلحانها سحرِيَّة
تملئين الهواءَ عطرًا وتمشين
على الأرضَ مشيةً سمهريَّة
وضع اللُّهُ في جَمالكِ سرًّا
جسدٌ لَيِّنٌ ونفسٌ أبيضُ
كل ما فيكِ رقةٌ وجَمالٌ
وحنانٌ يشفي القلوبَ الشقيَّة
فجبينٌ يكاد من أَلقِ الحُسنِ
يضيءُ الظلامَ للبشريَّة
وفؤادٌ دقاتُهُ تتغني
بأناشيدٍ للغرامِ شجيَّة
خُصَلاتٌ من الحريرِ ونحرٌ
من جُمانٍ وبشُرةٍ شمعيَّة
جسدٌ ناعمٌ وخصرٌ نحيلٌ
فوق ساقِي حوريَّةٍ مرمريَّة

حينما نلتقي تبوح بما أخفي
عيوني فتُطرقين حِيَّه
وتهُمِّين بالحديث فتبدو
فوق خديكِ حُمره وِردِيَّه
وتمدين لي جناحي ملاكٍ
فيهما دفء روحكِ الإنسيَّه
كل ما فيكِ يسكن السحر فيه
وأرى فيه فتنتي السرمديَّه
كل ما فيكِ يا ملاكي جميلٌ
أبدعتهُ أيدي الإله العليَّه
حينما تضحكين لي يضحك الكون
ولمَّا تبكين تبكي البريَّه
أنت يا من أتت لتنعش قلبًا
دمَّرتُه أيدي الحياة العتيَّه
أنت دنيا من العذوبة والفن
ومن كل فتنةٍ عُلوِيَّه

* * *

نصيحة

لا تطمعي في قصيدته
ما قدمضى لن أعيدته
أعطيتك الحُب حتى
لم أستطع أن أزيدته
إذ الهوى كان طفلاً
والأمنيات وليدته
حسبتُ عندك يوماً
سعادتي المفقودة
ولم يَعدْ فيك شيءٌ
أهوأه حتى أريدته
فلتخرجي من حياتي
ولا تكوني عنيدته
ما كنتِ غيرَ نشيدٍ
من بين ألف قصيدته
لو كان حُبك جيشاً
هزمتُهُ وجنودته

أَوْ كَانَ تِيهَا تَخْطِيتُ
مُنْتَهَاهُ وَبِيَدَهُ
أَوْ كَانَ قَيْدًا لِحَطْمَتُ
قُفْلَهُ وَحَدِيدَهُ
لَكِنَّهُ كَانَ جُرْحًا
كَأَلْفِ تَنِي تَضْمِيدَهُ
حَذَارِ أَنْ تَنْكِيهِ
فَلَنْ تَكُونِي سَعِيدَهُ
فَلَيْسَ عِنْدِي نَعِيمٌ
أَوْ جَنَّةٌ مَوْعِدَهُ
لَا تَرْكُضِي خَلْفَ آلِ
لَنْ تَسْتَطِيعِي وُرُودَهُ
لَا تَنْفُكِي الْعُمْرَ سَعِيًّا
خَلْفَ الْأَمَانِي الْبَعِيدَهُ
إِنْ الشَّبَابَ إِذَا مَرَّ
فَجَاءَهُ لَنْ نُعِيدَهُ
فَنَحْنُ نَحْيَا وَلَكِنْ
أَيَّامَنَا مَعْدُودَهُ

* * *

نهاية أمنيات

تمنينا وما أكثر
مانحن تمنينا
تمنينا مجيء الفجر
يمحو الخوف والأيننا
وأمسينا وأصبحنا
وأصبحنا وأمسينا
وأحصينا له الأعوام
والساعاتِ أحيينا
ودارينا جُموح الشوق
في الأحشاء دارينا
وأخفينا فأبدت للورى
مانحن أخفينا
ولكننا أضعنا في
انتظار الفجر عُمرينا

وأسندنا لـجـدرانٍ
من الأوهام رأسينا
وردَّتْنا الليالي بعد
أنْ حطَّ من قلبينا
ولمَّا أزِفَ البَيْنُ
تعانقنا بروحينا
* * *

إلى هذه الشمس التي أشرقت في حياتي

أَيُّ سِحْرِ يَنَامُ فِي جَفْنِيكَ
يَجْذِبُ الْقَلْبَ وَالضَّمِيرَ إِلَيْكَ
وَالجَمَالَ الْمَكْنُونِ فِي مَقَلَّتِيكَ
وَالنَّدَاءَ الْخَفِيَّ فِي عَيْنِيكَ
وَانْتِثَارَ الْوَرُودِ فِي خَدْيِكَ
وَالنَّبِيذَ الْوَرْدِي فِي نَهْدِيكَ
وَخِيُوطَ الْحَرِيرِ فِي كَفْيِكَ
وَالرَّحِيقَ الْمَخْتُومَ فِي حُلْمَتِيكَ
طُورَفٌ أَيْنَعَتْ بِقَدِّكَ لَكِنْ
عَصْرَتْ شُهْدَاهَا عَلَى شَفْتِيكَ

* * *

هي تمشي ويزدهيها صباها
ويَضِجُ الأديم تحت خُطاها
يملاً الجوّ بالعطور نداها
ويعم الأرجاء فوحُ شذاها
هي دنيا من الفنون عُلاها
ضلّ قلبي فيها وعقليّ تاها
هي قنّاصة شِبّاك هواها
طَرَحَتْها وَلَمَمَتْ عيناها
ليس محبوباً جسّمها من ترابٍ
هي أسمى قَدْرًا وأعظمُ جاها

* * *

حينما تخطرِين في خُطواتِك
تنثرِين السورود في طُرقاتِك
وعبيرُ الأزهار من جنَباتِك
والنسِيم العليل من نفحاتِك
وشجِي الأَلحان من أغنياتِك
والهوى والفنون من نظراتِك
ورُواء الجَمال من لفتاتِك
وعُتُو الشباب في خَطراتِك
تجعلِين الحياة أسمى وأحلى
ويشع السُرور من عمق ذاتِك

* * *

عيناك

عيناك زورقا نجاه
لشاعرٍ ملّ الحياه
ولم يضيّع عُمره
على موائد الطغاه
ولم يُقُلْ إلا الذي
قد ظن حَقًّا وارتضاه
وضلّلتُهُ الأمنيات
في طريقهِ فتاه
وعاد يبكي حاله
وكُلَّ ما جَنَّتْ يده

* * *



بيت العنكبوت



إلى المتنبي بعد ألف عام

عَزَمُ أَهْنًا فَهَانَا
قَدْ كَانَ أَصْعَبُ مَا دَهَانَا
هُنَّا وَمَا نَدْرِي بِأَنْ
الْحُرُّ حُرٌّ حَيْثُ كَانََا
وَالْعَبْدُ مُحْتَقَرٌ وَلَوْ
كَانَ السَّحَابُ لَهُ مَكَانَا
صُغْنَا قِصَائِدَ حِكْمَةٍ
عَرَفَ الزَّمَانَ بِهَا الزَّمَانَا
عَمْرَ أَضْعَانَاهُ سُودِيَّ
فَعِلَامٌ لَا يَشْكُو كِلَانَا
دَهْرٌ يَحَارِبُ أَهْلَهُ
وَيَزِيدُهُمْ فِيهِ هَوَانَا
لَكِنَّهُ لَوْ كَانَ يَعْرِفُ
قَدْرَنَا فِيهِ اتَّقَانَا
دُنْيَا تَحَاوِلُ أَنْ تَكُونَ
وَلَنْ تَكُونَ عَلَيَّ هَوَانَا

دهرٌ بَلَوْنَاهُ فَلَمْ
نِيَأْسُ وَمَا خَارَتْ قِوَانَا
أَرَأَيْتَ أَعْظَمَ مِنْ كَلِينَا
فِي الْوُورَى وَأَعَزَّ شَانَا
نَحْنُ اللَّذَانِ الْمُؤَلَّكَ هَانَا
عَلَيْهِمَا وَالْمَالُ هَانَا
مِنْ مَعْشَرٍ فِي حَرْبِهِمْ
لَمْ يَسْأَلُوا أَحَدًا أَمَانَا
وَلَقَدْ بَرَا اللَّهُ الْمَكَارِمَ
إِذْ بَرَاهَا فِي جِمَانَا
وَعَلَى نَفِيسِ كَنْوَزِهَا
جَعَلَ الْقِوَافِي دَيْدِبَانَا
نَحْنُ الْأَلْيَ عَشْنَا وَكَمْ
نَسْتَجِدُ نَذْلًا أَوْ جِبَانَا
الصَّدَقِ مِنْ أَجْنَادِنَا
وَالْحَقِّ يَجْمَعُهُ لَوَانَا

والعدل غايتنا التي
إِنْ لَمْ نَصْنَهَا لَنْ تُصَانَا
ضَاقَتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفُضَاءُ
وَلَمْ نَجِدْ فِيهَا مَكَانَا
نِضْوَا طَرِيقِ ضَمَّانَا
دَرْبُ طَوِيلٌ قَدْ بَرَّانَا
مَنْ بَعْدَهُ أَيَقْنَتُ أَنْ
لَمْ يَعْرِفِ الدُّنْيَا سَوَانَا
بَلَدٌ نَزَلْنَاهُ وَلَكِنْ
لَمْ نَجِدْ فِيهِ قِرَانَا
مَاذَا وَجَدَتْ بِأَرْضِهِ
لَمَّا امْتُحِنَتْ بِهَا امْتِحَانَا
فِي كُفُوَةِ الْمُلْكِ الَّتِي
صَادَفَتْ فِيهَا أُنْعَوَانَا
بِالْأَمْسِ يُقْرَعُ بِالْعَصَا
وَالْيَوْمِ يُمَسِّكُ صَوْلَجَانَا

الجُبْنِ أَشْجَعَ حَالِهِ
وَاللُّؤْمُ أَكْرَمَ مَا أَبَانَا
وَاخْتَارَ غَيْرُكَ أَنْ يُهَانَ
وَأَنْتَ لَمْ تَرْضِ الْهُوانَا
وَأَرَادَ غَيْرُكَ ذِلَّةً
وَأَرَدْتَ هَارِبًا عَوَانَا
فِي وَجْهِ ذَاكَ الْأَسْوَدِ
الْمَخْصِيِّ أَخْرَجْتَ اللِّسَانَا
وَهَجَوْتَهُ وَهَجَوْتَ نَفْسَكَ
ثُمَّ شِعْرَكَ وَالزَّمَانَا
أَشْكَكَ عَبْدٌ وَاحِدٌ
لَوْ كَانَ ذَا هَمِّي لَهَانَا
أَنَا حَوْلِي الْعَبْدَانِ
وَالْخَصِيَانِ قَدْ مَلَّؤُوا الْمَكَانَا
يَا صَاحِبِي إِنْ كُنْتَ مُزْمَعًا
الرَّحِيْلَ الْوَقْتُ حَانَا

* * *

حنين

أَعْمُرًا كَانَ ذَلِكَ أُمَّ سَرَابًا
وَنَأْيًا كَانَ ذَاكَ أُمَّ اقْتِرَابًا
تَمْرُ بَكَ اللَّيَالِي فَاللَّيَالِي
وَلَا تَنْسَى الْأَحْبَةَ وَالصَّحَابَا
وَتَذْكُرُ كُلَّ دَرَبٍ سِرَّتَ فِيهِ
وَتَذْكُرُ كُلَّ وَجْهِ عَنكَ غَابَا
تَشْمُ نَسِيمَهَا صَبْحًا وَلَيْلًا
كَأَنَّكَ مِنْ مِيَاهِ الشَّجَرِ قَابَا
وَتَسْمَعُ مَوْجَهُ لِلصَّخْرِ يَشْكُو
وَتُبْصِرُهُ وَقَدْ حَمَلَ السَّحَابَا
تَوَدُّ لَوْ اسْتَرَحَّتْ عَلَى ثَرَاهُ
وَتَحْلُمُ أَنْ تُقْبِلَ ذَا التَّرَابَا
كَأَنَّكَ لَمْ تَغَادِرْ مِصْرَ يَوْمًا
وَلَا جُبَّتَ الْمَسَالِكُ وَالشُّعَابَا

ولا عانيت نأيًا بعد نأيٍ
ولا ضيَّعت في السَّفَر الشَّبابا
وقد فارقت جبرًا لا اختيارًا
ولم تملك ذهابك والإيابا
فمنذ رحلت لم تهنا بعيشٍ
ولم تُسَخِّط الطعامَ ولا الشرابا
وما زالت تسير بك الليالي
وتُفني العُمُر في الأرض اغترابا
وكم أرضٍ نزلت بها فضاقت
تَنَيْتَ الرحل عنها والرُّكابا
إلام السير من أرضٍ لأرضٍ
تطيل السعي فيها والغيابا
وتشكو من مُعاندة الليالي
وتتركها تُجرُّعُكَ الصَّعابا

وتغرز فيك ظُفراً بعد ظُفراً
وتُنشِبُ فيكَ ناباً ثم ناباً
وتحمل فيكَ جباراً ضعيفاً
بِراءهُ الشوق والذكرى فذابا
تمرّداً في الضلوع فعاقبتُهُ
وذاق الأَسْرَ فيها والعذابا
يُرفرف في ضلوعك حين يهفو
ويخفق بين جنبيك اضطرابا
فهل ترضى مُقامك في سواها
أم الأوهام تُفقدك الصوابا

* * *

سؤال للبحر

إلى أين تمضي وراء المرافئ
أسيرَ الرمال رهينَ الشواطئ
وأين المفر وأنى ذهبت
عليك عيون الليالي كوالئ
ويلعن أسره رهن القيود
ولست على الدهر بالقيد عابئ
ولست تخاف اختلاف الزمان
فلست تداري الورى أو تدارئ
رأيتك مثلي تجوب البلاد
وتبحث عن هداة في المرافئ
وتلقي حصاك وراء الشطوط
رسائل شوقٍ لدفء الموانئ
وتقسو عليك خطوب الزمان
فهل أنت مثلي من العيش هازئ
وتحيا وحيدًا خلال العُباب
تطواع ريحًا وريحًا تناوئ

وتجري مياهك فوق الرمال
تخطُّ سطورًا لِمَنْ كان قارئُ
وتكتم سر الزمان الرهيب
وليس لسرِّكَ في الكون خابئُ
كأنك قَدَّمَا بَرَاكَ الإلهُ
لتشهد أنَّ لذا الكون بارئُ
وتعلم ما كان قبل الوجود
وما كان قبل الورى في المبادئ
ولست أرى من عليمٍ سواكَ
فهل كنتَ شيخًا وذا الكون ناشئُ
على صدركَ الرحب تجثو السماء
وتجعلُهُ قَدَمَاهَا مَواطئُ
وترنو إليك بوجهِ الظلام
فتعكس فيكَ النجوم الطوافئُ
كأنك مرآة وجهِ الزمان
تُبدي حصاكَ وتُخفي اللآئئُ

* * *

ثرثرة

أبحث عن نفسي ما
بين الضباب والغيوم
أسأل كلَّ ماردٍ
وكلَّ شيطانٍ رجيمٍ
أفتش الأقماع عنها
وأسائل النجوم
أصرخ فيها هل رأيت
نفسًا لشاعرٍ تهيمٍ
تريد أن تحيا بلا
وساوسٍ ولا هُموومٍ
تجلس فوق كوكبٍ
وهي تجاور الجُرومٍ
لكنَّ ذلك الظلام
صار حولها يحوم
كأنه أفعى غدت
تبت في الليل السمووم

تَعَدَّدَتْ صُورُهُ
وصار وجهه دَمِيمٌ
وهي تطير تارَةً
وتتارَةً فِيهِ تَعْوَمٌ
يحجب عنها مَدُّهُ
أسطورة النور العميم
وهذه الأفلاك فِيهِ
شأنها شأن عَظِيمٌ
تدور فِي أرجائه
على صراطٍ مستقيمٍ
وقد غدا زمانها
رِخْمٌ لِيَالِيهِ عَقِيمٌ
لا يستقر حاله
وليس فِيهِ ما يدوم

مُتَّكِئًا صَارَ عَلَى
مِنْسَاءٍ مِنَ السُّدُومِ
لَمَّا تَزَلَّ صَغِيرَةً
وَالكَوْنِ شَاخٍ مِنْ قَدِيمٍ
لَكِنِّي فِي لَيْلَةٍ
عَلَى مَوَائِدِ الْجُرُومِ
جَلَسْتُ لِلشَّرَابِ وَاتَّخَذْتُ
نَجْمَةً نَدِيمًا
أَوْدَعْتُهَا سِرِّي فَأَفْشَتْهُ
عَلَى كُلِّ النَّجُومِ
سَأَلْتُهَا عَنِّي وَعَنْ
نَفْسِي وَأَمْرِهَا الْجَسِيمِ
فَجَاوَبَتْنِي فِي أَسَى
هِيَاهُ تَلْقَى مَا تَرُومِ

* * *

حقيقة

بيننا الليل سكةً والنهارُ
وارتحالٌ لا ينتهي وانتظارُ
ودروبٍ من السنين طِوَالُ
وليالٍ من المسيرِ قِصارُ
أوصدتُ بابها عليّ الليالي
وغدا العُمُرُ كُلُّهُ أسوارُ
لا المدي واضحٌ ولا السيرُ سهلاً
فإلامَ الرحيل والتسيارُ
نال مني الإعياء كل منالٍ
وغشاني الدُّوار ثم الدُّوارُ
مرَّ كانون والشتاء توَلَّى
منذ حينٍ وما أتى آذارُ
ظل فيه الصقيع يَسْكُنُ رُوحِي
وشجوني كأنها إعصارُ

تركتُ قلبي ذابلاً قد عَلاه
صداً فوق سطحه وغبارُ
مَجَبَّرٌ حين سيَّرتني الليالي
ليس فيما عانيتُ منه اختيارُ
خُطواتي على ثراكِ مِدادُ
أُلفتُ من حروفه أسفارُ
ودمائي على الرمال حروفُ
كُتبتُ من مدادها الأشعارُ
ودموعي على ثراكِ ثلوجُ
ذرفتُها الأنواء والأمطارُ
كان لي قلبٌ نابضٌ في ضلوعي
دَمَّرَتُهُ الحياة والأقذارُ
أتلظى على لهيبِ خطايا
ألف ميلٍ وليس يُرجى الفِرازُ

أنا في كوة الظلام سجينٌ
ألف عامٍ ولا يُفكُّ الإسارُ
ألفَ تيهٍ وراءها ألفُ تيهٍ
ومدارٌ يُفضي إليه مدارُ
ومسيري إليك قربان عقلٍ
حيَّرتُهُ الأسرار والأفكارُ
فكَّرُ بالغموض مُستغَلِّقاتُ
وأحاجٍ وراءها أسرارُ
واحتراقي لديك قربان روحٍ
ملؤها الحزن والأسى والأوارُ
بلغتُ ذروةَ الحريق فذابتُ
ثمَّ سألت كما يسيل النُّضارُ
صهرتها الهمومُ حتى استحالت
جَمَراتٍ تُضيء فيها النارُ
والوجود الذي احتواني ضياعُ
والحياة التي أعيش انتحارُ

كلما زحّت في الظلام ستارًا
حجب النور عن عيوني ستارُ
وكؤوسٌ تدور في الليل لكنْ
ملؤها اليأس والشجا والبوارُ
وورائي عواصفٌ ورياحُ
وغبارٌ من السموم يُثارُ
وأمامي مهالكٌ وصحارُ
عَشَّشْتُ في ظلامها الأخطارُ
حِمٌّ تملأ الفضاء جحيمًا
ولهيبٌ يطير منه الشَّرارُ
ووراء المدى تضج الفيافي
وتَمور البحار والأنهارُ
طُرُقَاتُ أخوض فيها وأمضي
ثمُّ تمحي من بَعْدِي الآثارُ
عنكبوت الظلام ينسج من حولي
خيوطًا يحيكها المقدارُ

* * *

متاهات

أنافي سكة التُّيهِ
ألاقي ما ألاقيه
ومن حولي المدى الممتد
يطويني وأطويه
ولي سلكٌ سأقطعها
ولي دربٌ سأمشيه
فمن أرضٍ إلى أرضٍ
ومن تيهٍ إلى تيهٍ
أحث الخطوَ والأيامُ
تدميني وتُبطيه
ولي أملٌ بقايا الحُلمِ
والأوهام تُزجيه
ولي قلبٌ على سفرٍ
يعاني ما أعانيه

وخلّف الليل أطيافُ
وأشباحُ تُلاقِيه
خيالاتٌ من الذكرى
ومن أطيافِ ماضيه
وآلامٌ وأمّالٌ
تُضحّكُه وتُبكيه
ولا خمراً فيشربها
ولا ماءً فيُرويهِ
ولا أملٌ يعلّله
ولا سلوى فتُنسيه
وهذا الحزن كالرقطاء
عَضَّتْ في نواحيهِ
وقد ناشت جوانحه
وأبقت سُمها فيه

وهذا الليل لا يمضي
ولا تفنى لياليه
أمامي عالمٌ قد صيغ
من غشٍّ وتمويه
وخلفي عالمٌ قد لاح
من زيفٍ وتشويه
ودوني العالم الموبوء
قد لاحت صحاريه
وقيظٌ أينما يَمَمْتُ
قد هبَّت سوافيه
وفي ذاتي من الأسرار
ما أحيأ لأخفيه
فَسِرِّي عشتُ أكتُمُهُ
ولكن لست أدريه

* * *

رَبَّةُ الشَّعْرِ

شَارِدٌ فِي الْخِيَالِ لَيْسَ يُفِيقُ
جَسَدٌ مَوْثِقٌ وَعَقْلٌ طَلِيقٌ
لَا تَلُومِيهِ إِنْ يَنْوُذَاتِ يَوْمٍ
أَنْتِ حَمَلْتِهِ بِمَا لَا يُطِيقُ
نَالَ مِنْهُ الْإِعْيَاءُ كُلِّ مَنَالٍ
وَتَعَالَى زَفِيرُهُ وَالشَّهِيقُ
شَرَدَتْهُ الدَّرُوبُ صَبْحًا وَلَيْلًا
وَطَوَّاهُ التَّغْرِيْبُ وَالتَّشْرِيقُ
تَتَوَالَى إِثْرُ اللَّيَالِي اللَّيَالِي
وَهُوَ فِي لُجَّةِ السَّرَابِ غَرِيْقُ
مَرَهْفِ الْحَسِّ مَسْتَطَارٌ إِذَا مَا
لَاحَ فِي الْأُفُقِ لِلْخُلَاصِ بَرِيْقُ
وَهُوَ مَا زَالَ مَوْلَعًا لَا يَبَالِي
وَالْأَمَانِي تَرْوِقُهُ وَتَشْوِقُ

واستحال الصباح فصلًا مطيرًا
تتوالى رعوده والبروق
واستحال الدجى حواليه سجنًا
وقيوذًا تـؤوده وتعوُق
وكأن النهار والليل حبلاً
هو فيه معلَّق مشنوق
رِيشةُ إثر رِيشةٍ تعتريه
وفؤاذٌ من الهموم خَفوقُ
قلبه صار جذوةً من لهيبِ
مُلئتُ بالرماد منها العروقُ
مِلاء أنفاسه دِخانٌ ونازٌ
فهو يحيا وكُلُّ نبضٍ حريقُ
أرهقتُهُ السنون حولاً فحولاً
وبراهُ الغروب ثم الشروقُ
ساهدٌ شاردٌ حزينٌ كئيبٌ
مُطرقٌ في الهموم لا يستفيقُ

ليس في نفسه الحزينة معنىً
غير هذا السكون معنىً دقيقُ
لا تلوميه إن ينو ذات يوم
أنتِ حمّلتِهِ بما لا يُطيقُ
أنتِ صيرتِهِ على الدرب فرداً
ما له فيه صاحبٌ أو رفيقُ
مَزَقْتَهُ الشُّعَابَ سيرًا وإدلاجًا
وأذرى به الظلام العتيقُ
والطريق الذي يسير عليه
مَهْلِكٌ شاسعٌ وتيهٌ سحيقُ
إنه لم يزل على خَطَرٍ مُذْ
بدأ السيرَ واحتواه الطريقُ
مِلاءَ سمعِهِ قهقهات السعالي
وهي تستمرئ الدِّمَا وتُريقُ
وصراخ الرياح من كل صوبٍ
وصدى خافتٌ وصوتٌ خنيقُ

وَأَنْيُنُّ يَجِيءُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
وَنَعِيْبٌ خَلْفَ الْمَدَى وَنَعِيْقُ
وَالْأَعَاصِيْرُ عَزْبَدَتْ فِي الْمَرَاعِي
وَالْبَسَاتِيْنُ صَوَّحَتْهَا الْحَرُوقُ
وَالزَّهْوَرُ الَّتِي سَقَتْهَا يَدَاهُ
جَفَّ فِيهَا النَّدَى وَضَاعَ الرَّحِيْقُ
أَنْتِ أَرْسَلْتِيْهِ يَصُوغُ الْقَوَافِي
فِيَقْوَلُوْنَ صَابِئُ زَنْدِيْقُ
وَحَوَالِيْهِ تُرَهَّاتٌ عِجَافٌ
يَتَسَاوَى ضَجِيْجِهَا وَالنَّهِيْقُ
وَالْأَغَانِي الَّتِي يَصُوغُ وَيَتْلُو
شَجْنٌ كُلُّهَا وَحَزْنٌ عَمِيْقُ
أَنْتِ أَرْسَلْتِيْ شَاعِرًا عَبْقَرِيًّا
فِي زَمَانٍ بِمِثْلِهِ لَا يَلِيْقُ

* * *

في انتظار الربيع

طال انتظارك للربيع
وسئمت من طول الصقيع
هيهات قد عمّ الصقيعُ
وقد تمكّن في الرُبوعِ
وأنت عواصفُ عاتياتُ
أطفأت كلَّ الشموعِ
قد جففت كلَّ البحارِ
وقد طوت كل القلوعِ
لم تُبقِ إلا المِلح في
رئتي ليأكل في ضلوعي
كسرتُ غصوني اليابساتِ
الصُّفْرَ واقتلعتُ زروعي
ورمّنتُ بجسمي في العراءِ
يموت من بردٍ وجوعِ
قد صدّعت روعي وأبقتُ
بردها بين الصُّدوعِ

قبل الضحى حجب الضبابُ
الشمسَ في وقت الطلوعِ
وأتى ظلامٌ دامسٌ
لم يُبقِ فيّ سوى هزيعِ
فالصبح بابٌ موصلٌ
والليل كالسد المنيعِ
وأنا أسيرٌ بين ذاك
الصبح والليل الفظيعِ
مستدفئٌ بالذكريات
مهديٌّ بالصبر روعي
من كان يبكي بالدموعِ
فلسْتُ أبكي بالدموعِ
غادرتُ ربَّعًا دافئًا
لأقيم في أرض الصقيعِ
فأقمتُ فيها مُكرهًا
أحيا على أمل الرجوعِ

والحزن أعيا مهجتي
وأقام في قلبي الوجيع
فكتمتُ دائيَ في الحشا
وكتمتُ حزنيَ في الضلوعِ
أحيا وحوليَ معشرُ
من كل مأفونٍ وضيعِ
غرزوا مسامير الخنا
في كل جزءٍ من يسوعِ
وسَقَّوهُ بِالخَلِّ الَّذِي
أُسْقِيَتْ وَالسُّمُّ النَّقِيعِ
أَمْشِي غَرِيبًا بَيْنَهُمْ
فَأَتِيَهُ مَا بَيْنَ الْجُمُوعِ
فَقَدُوا الشُّعُورَ فَأَصْبَحُوا
يَحْيُونَ كَالْمَيِّتِ الصَّرِيعِ
قَدْ يَبْلُغُ الْأَوْغَادَ مَا
قَدْ أَمَّلُوا إِلَّا خُضُوعِي

* * *

فِرَار

أَفِرُّ مِنَ الْجَحِيمِ إِلَى الْجَحِيمِ
وَأَهْرَبُ مِنْ هَمُومِي لِلْهَمُومِ
وَأَبْحَثُ فِيكَ عَنْ حُزْنٍ جَدِيدٍ
لِيُنْجِيَنِي مِنَ الْحُزْنِ الْقَدِيمِ
فِيُسَلِّمَنِي الضَّبَابُ إِلَى ضَبَابٍ
وَتُسَلِّمَنِي الْغَيُومِ إِلَى غَيُومِ
وَأَشْكُو مِنْ حَمَاقَاتِ اللَّيَالِي
وَمَا جَرَّتْ عَلَى قَلْبِي السَّقِيمِ
وَأَحْمَلُ مَهْجَةً مَا عَادَ فِيهَا
مَحَلٌّ لِلْجُرُوحِ وَلَا الْكُلُومِ
يُخَلِّفَنِي أَنْتَظَارُ الصَّبْحِ وَالنُّورِ
بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْأَمَلِ الْعَقِيمِ
إِلَيْكَ سَلَكْتُ تَيْهًا بَعْدَ تَيْهِ
وَوَحْدِي سَرْتُ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ
أَعَاصِيرُ الرِّيَّاحِ تَجَاذِبْتَنِي
لِتَجْعَلَنِي بَقَايَا مِنْ هَشِيمِ

أمامي العالم المجهول يدنو
فَيْنئِنِي عَن المَاضِي الأَثِيمِ
أُنْقَل فِيهِ خُطُواتِ ثِقَالاً
وَأَبْحَثُ فِيهِ عَن قَلبِ رَحِيمِ
وَأضْرِبُ فِي المَتَاهَاتِ اِخْتِياراً
بِحِكمةِ طائِشٍ وَهوىِ حَكِيمِ
وَأصْغِي لِلسَّعاليِ وَهِيَ تَعوي
وَأُحْصِي كَمَ غِداِ عِدَدِ النُّجُومِ
وَأَنّى صرْتُ فِي أرضِ فَإني
تَحاصِرُنِي السَّوافِي بِالسُّمُومِ
وَتَصْرخُ مِن حِوَالِيِ الدِياجِي
وَتَبْكي السُّحْبُ بِالدَمعِ السَّجِيمِ
لِجاءُ إِلَيْكَ مَهزُوماً ضَعيفاً
أَضاعَ العُمَرَ فِي الحِزنِ العَظِيمِ
لأَبْصَرَ فِيكَ هَلِوسَةَ الفِيافِي
وَأَسْمَعُ فِيكَ ثِرثرةَ الهِزِيمِ

* * *

إلى الإنسان

أيها القرد الذي
أصبح يخال غرورا
أنت ما زلت كما
كنت دنيئًا وحقيرا
تملأ الأرض فسادًا
وغيباءً وشرورا
في كلا الحالين عبداً
كنت أو كنت أميرا
أنت من طينٍ وغيرِ
الطين يومًا لن تصيرا
أنت للموت ومهما
عشت لن تبقى كثيرا
هل زها البدرُ علينا
أن غدا البدرَ المنيرا
والنجوم الزُّهر لم
تغترَّ أن أرسلن نورا

والزهور الشُّم هل
تاهت بأن صارت زهورا
والورود الحُمر ما اختالت
بأن فاحت عبيرا
يا أسير الصبح
والإمساء لن تلقى مُجيرا
فعلام التَّيهُ والزَّهْوُ
وقد عشت أسيرا
هذه النملة أرقى
منك في الأرض مسيرا
أيها المغرور بالعلم
ولم يَعْلَمْ كثيرا
هل تبالي إن غدا
مالك جَمًّا ووفيرا
أو غدا ثوبك رثًا
أو غدا الثوب حريرا

أَوْ غَدَا فَرَشَكَ شَوْغًا
أَوْ غَدَا الْقَرَشَ وَثِيرَا
أَوْ تَخِذْتَ الْقَصْرَ سُكْنَى
أَوْ سَكَنْتَ الْكُوخَ دُورَا
إِنَّمَا أَنْتَ كِتَابٌ
أَمْتَلَا غِشًّا وَزُورَا
صَاغَهُ الشَّيْطَانُ سِفْرًا
لَمْ يَفِضْ عِلْمًا وَنُورَا
وَلِيَالِكَ الَّتِي تَمْضِي
شَهِيْقًا وَزَفِيرَا
تَرَكْتُمْ فِيهِ سَطُورًا
وَمَحْتُمْ مِنْهُ سَطُورَا
أَنْتَ تَقْضِي بَعْدَ أَنْ
تُفْنِيكَ طِيًّا وَنُشُورَا

وَإِذَا عَشْتِ غَنِيًّا
رُبَّمَا مِتَّ فَقِيرًا
وَإِذَا عَشْتِ قَوِيًّا
رُبَّمَا مِتَّ كَسِيرًا
وَنَسُورُ الْجَوْتِ قِضِي
مِثْلَمَا عَاشْتَ نَسُورًا
فَامْلَأِ الْكَوْنَ اخْتِيَالًا
وَامْلَأِ الْأَرْضَ غُرُورًا
فَسْتَبْقَى مِثْلَمَا كُنْتَ
دُنِيًّا وَحَقِيرًا
حَيَوَانًا صَالِ كِبْرًا
وَطَغَى ظُلْمًا وَجُورًا

* * *

في مدى التّيه

سارٍ على درب الأسي والوئهُ
تحمُّله خُطواتهُ المُثقلهُ
يمضي يحث الخُطوفي دربه
شوقًا وقد أدمى الحصى أرجلَهُ
أنهكه السير بلا راحةٍ
وأوشك اللُّغوب أن يقتلَهُ
يصيح كلما انقضت ليلةٌ
ما أظلمَ الليلَ وما أطوَّه
ويُنشد السكونُ من حوله
أنشودة الحيرة والبَلبَلهُ
لا هدفٌ له ولا غايةٌ
إلا اجتياز السكك المُقفَلهُ
وحوله الضباب يُخفي المدى
وخَلَفهُ الغيم الذي ضلَّه

وكلما طاف بهِ خاطرُ
يلعن ماضيهِ ومستقبلَهُ
وفي حشاهُ خافقٌ من لظى
حمَلَهُ الحزنُ بما حمَلَهُ
وكل دربٍ خاضهُ شائكٌ
وكل أرضٍ خاضها مُهمَلَهُ
وقد قضى حَيَاتَهُ مُكرهًا
وذاق من خمر الأسي أرذلَهُ
ومد للزمان أيدي المُنَى
لكنهُ مديد الغدر لهُ
يأيها السائر فلتتئدُ
أما سئمت السعي والهرولَهُ
إن لياليك التي قد مضت
ورزَلتْكَ أيما زلزلَهُ

قد صنعتُ بك الذي تشتهي
وأسلمتُكَ للأسى والولهُ
ولست تدري ما الذي خَبَّأَتْهُ
لَكَ في أيامِكَ الْمُقْبَلَهُ
فذلك التيهُ الذي قد سلكتَ
مُشْبَهُ آخِرُهُ أَوْلَهُ
يبدأ حيث ينتهي مَدُّهُ
بسكّةٍ طويِلَةٍ مُقْفَلَةٍ
عُمْرُكَ هَذَا كُلُّهُ سَاعَةٌ
فلا تُضِعْ عُمْرَكَ في الوُلُوهِ

* * *

سراب

شبحُ الفجر والليالي الحَوَالِكُ
مآلها لا تجيب عن تسألكُ
لُعْزُ لا يدريه غيرُ إليه
أزليُّ وجودُه غيرُ هالكُ
فعلام الهُيام في كل أرضٍ
وسؤالُ الرياح عن كل سالكُ
وتناجي النجوم كل مساءٍ
وتجوب البلاد والليلُ حالِكُ
تسأل الجن في بهيم الليالي
والليالي أحوالها من حالِكُ
خُفُّ الوطاء لا أظنك إلا
راسقًا في سلاسلٍ من خيالِكُ

قد أضعت الحياة خلف سرابٍ
وتغربت في جميع المسالك
وسلكت الدروب دربًا فدربًا
وحملت الهلاك بين رحالك
وحواليك عن يمينك جرفًا
وأفاع تهيأت عن شمالك
لا المدى واضح ولا السير سهل
والصدي لا يرد رجع سؤالك

* * *

حنانك

أَيَّ دَرَبٍ وَيَحَهُ سَلَكَا
لَيْتَهُ قَبْلَ السُّرَى هَلَكَا
شَاعِرٌ مِثْلَكَ يَا سَيِّدِي
شَقُّهُ الْوَجْدَ الَّذِي شَقَّكَ
كُلَّ مَا سَرَّكَ قَدْ سَرَّهُ
وَالَّذِي قَدْ ضَرَّهُ ضَرَّكَ
ضِيَّعَ الْخُمْرِ بِلَا ثَمَنِ
بَيْنَ أَحْضَانِ الْأَسَى وَالْبَكَ
زَرَ الْوَرْدَ وَلَكِنَّهُ
قَدْ جَنَّامِنَ زَرْعِهِ حَسَا
وَلِيَالِيهِ الَّتِي عَاشَهَا
نَبَشْتُ أَحْزَانَهُ فَشَكَ
إِنَّهُ مِثْلَكَ يَا سَيِّدِي
هَزَأَ الدَّهْرُ بِهِ فَبَكَى

ورأى الطغيانَ في أرضه
صير الوغد بها مَلِكًا
ورأى قُدَّامَهُ سَكَّةً
خاض فيها مَسَلِّغًا مسلكا
سار في الليل يعدُّ خُطَاهُ
ويُحصي في الدجى السككا
كنتَ فيها نجمةً في الظلام
تُضيء الليل والحلكا
كنتَ فيها الشمس عند الصباح
وكنْتَ الظل والمُتَّكا
والمواويلُ التي صُغَّتْهَا
طالما قد قصها وحكى
سلكتَ أقدامَهُ كُلاًّ تيه
رأه مَهْلِكًا مَهْلِكًا
وعزيف الجن من حوله
يملأ الأرجاء والسككا

ورأى قدامه مارداً
ورأى من خلفه ملكاً
حار ما بينهما عقله
وغزاه الشك فارتبكا
وأتى الشيطان في أثره
يسلك الدرب الذي سلكا
والليالي جعلت حوله
كل شبر في الثرى شركا
أشهر السيف ولم يتئد
وأتى الشيطان فاشتبكا
وقضى النحب ولكنّه
صنع المجد له ولكا
هكذا نحن بلا سبب
نجعل الأيام معتركا
نتغنى إن بكى قلبنا
ثم نرثيه إذا ضجكا

* * *

ديوان
الكل يصفق للسلطان

ديوان الكل يُصفق للسلطان

صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام 2003 عن
مركز الحضارة العربية بالقاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٣/١٣١٧٣

ISBN 977-291-470-0



من أوراق الأزمة



(1)
السلطان

الكل يُصفق للسلطان

الكل يُصفق للسلطان
والخوف يُعربد في الأبدان
والبيعة إرث مضمون
يحميه الجند على الأزمان
والملك الجالس فوق العرش
يُصم عن السمع الآذان
يا قلبي النابض في صدري
أحزانك ليست كالأحزان
القسوة معني عشناه
وحفظنا أسفار الحرمان
والسيف المضلت فوق رقاب
الناس يُكبّل كل لسان
والناس تُفكر أن تشكو
لكن لسان الحال جبان
والأيدي مُذْقِطَةٌ كَلَّتْ
أن ترفع رايات العصيان

* * *

الْكُلُّ يُصْفَقُ لِلسُّلْطَانِ
والنَّيْلُ يَكْفُ عَنِ الْجَرِيَانِ
وَسَنُونٌ عِجَافٌ قَدِ مَرَّتْ
وَالجِدْبُ تَمَكَّنَ فِي الْوَدْيَانِ
وَالجُوعُ مُصِيرٌ يَفْرُضُهُ
فَرْمَانٌ يَتْلُوهُ فَرْمَانٌ
بِالْوَعْدِ الْمُرْجَأِ مِنْ نَيْسَانَ
إِلَى نَيْسَانَ إِلَى نَيْسَانَ
وَالْمَلِكُ الْجَالِسُ فَوْقَ الْعَرْشِ
إِلَيْهِ الْقُوَّةُ وَالطَّغْيَانُ
يَتَجَسَّدُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ
يَتْلَوْنَ فِي كُلِّ الْأَوَانِ
وَالصَّمْتُ نَشِيدٌ نَقْرُوهُ
فِيكْفِ الْعَقْلَ عَنِ الْهَدْيَانِ
يَا قَلْبِي الثَّائِرَ فِي صَدْرِي
كُلُّ الْأَصْوَاتِ هُنَا سَيَّانِ
وَعِنَاءُ الْبَلْبَلِ وَالكَرْوَانِ
كَنْوُحُ الْبُومِ مَعَ الْغُرْبَانِ

* * *

والكل يصفق للسلطان
تصطك من الرعب الأسنان
والكل يتاجر بالأقوال
وبالأفعال وبالأديان
والشيخ القائم في الصلوات
يُردد آيات الشيطان
والقسُ الناسك في المحراب
يُردد أصحاب البُهتان
والعسكر قد سدوا الطرقات
وقد ملؤوا كل الأركان
لكنَّ النسوة في مَلَلٍ
من طول مضاجعة الخصيان
يا قلبي الهارب من صدري
أحزأنك صارت كالبركان
والكُل يصفق للسلطان
الكل يصفق للسلطان

* * *



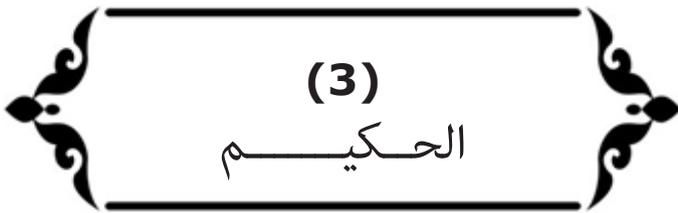
الإرهابيُّ الدجال

أعرفه أفرع من خَلْقَتِهِ
أراه لا أخطئ في هيئته
تدُّني عليه أفعاله
لا ما رواه الناس عن سيرته
أعرف ما يُخفيه في قلبه
لا كُلاً ما يُبديه من طبيته
يرفع في دعوته مصحفاً
ويحمل المدفع في بُردته
ويُظهر التُّقى أمام الورى
ويعبد الطاغوت في خلوته
وكلما ينظر نحوي أرى
علامة الكفر على جبهته
يريد أن يُخفي أفعاله
فتقطر الدماء من لحيته
ومن قديمٍ وهو لا ينثني
يعيش في ضلال أسطوره

والقتل والإفساد في هذه
الأرض طريقُهُ إلى جَنَّتِهِ
ما زال في محبسه قابلاً
يعقد في حبال أنشوطتِهِ
الكذبُ والتدجيل من طبعهِ
والغدرُ والخسة من شيمتِهِ
يجادل الناس ببهتانهِ
فيدخل السُّدج في ملَّتِهِ
يعف كالناسك في ضعفهِ
ويستبيح الكونَ في قوتِهِ
أخوُّ دجالٍ كذوب اللسان
يحمل البوار في جعبتِهِ
ويجلب الدمارَ أنى مضى
ويزرع الأغمام في سكتِهِ
هذا هو الدجَّالُ مهما بكى
وأظهر الخشوعَ في سجدتِهِ

أعرفه أعرف أوصافه
وأعرف التضليل في دعوته
وأعرف الكفر الذي أُلِيسَتْ
تكبيره الإيمان في صحته
واليوم ذا موعده قد أتى
ليحرق العالم في فتنه
يشايح الشيطان في سره
ويخدع الناس بأكذوبته
يحمل في يمناه سيفاً ويسراه
تعد الحَب في سبحته

* * *



الحكيم والحقيقة

في أرضك العريقة
حكاية عتيقة
حكاية الحاكم
والكاهن والحقيقة
تكررت فصولها
من أول الخليقة
وبدلت أشكالها
طريقة طريقة
مخفية وراءها
أخطارها المحيقة
ولم تزل باقية
سطورها الدقيقة
النوء فيها عاصف
في أرضك الغريقة
وصوحت رياحها
أغصانك الوريقة

وضل في شعابها
من اهتدى طريقه
فالغدر فيها قدر
والظلم بالسليقة
والفجر باب موصد
أقفاله عتيقه
يحرسه عساكر
نفوسهم حنيقه
وكُلُّ فردٍ مارد
ورأسه حليقه
يسبق في رئاته
زفيره شهيقه
ويكتم الغراب من
خشيتهم نعيقه
ويحبس الضفدع في
ضلوعه نقيقه

وَلَمْ تَعُدْ خَافِيَةً
أَحْزَانُكَ الْعَمِيقَةَ
وَلَمْ تَعُدْ تَرْحَمْنِي
أَفْكَارِي الطَّلِيقَةَ
أَسْمَعُهَا خَلْفَ الْمَدَى
فِي صِرْخَتِي الْخَنِيقَةَ
* * *

(4)
الشاعر

الشاعر والحيرة

في عالمٍ من رياء
العيشُ مثل القنَاء
وحولِي القهر والظلم
والأسى والعناء
ولم يزل يحجب الليلُ
جوهرَ الأشياءِ
أنى ذهبْتُ فإني
أشم ريح الدماءِ

* * *

الشاعر المجنون
قد حيرته الظنون
وعاش حرًا وحيدًا
في عالم مسجون
ومزقتة الليالي
وضيّعتة السنون
فنصفه فيه عقل
ونصفه مجنون

* * *

يأيها الإنسان
تعيش كالحيوان
للقتل والسلب آناً
والنَّزْوِ والأكل أن
تريد أن تملك الكون
من قديم الزمان
لقد خُلقتَ جباناً
وسوف تبقى جباناً

* * *

تريد أو لا تريد
فذاك أمرٌ بعيدٌ
مُنْقَلًا خَطَوَاتٍ
حدودها اللاحدودُ
فأنت حُرٌّ طليقٌ
في عالمٍ من قيودٍ
وما فقدتَ ثمينٌ
وما مضى لا يعودُ

* * *

أريد أن اتكلم
لكنني ألعثم
ماذا أقول وما بين
الناس حيي يفهم
سئمتُ كل مقالٍ
وكل من يتكلم
فلذتُ بالصمت ما دام
الصمت لحر أكرم

* * *

رَأَيْتُ أَهْلَ الْغَرَامِ
عِيُونُهُمْ لَا تَنَامُ
وَيَشْتَكُونَ جَمِيعًا
مِنَ الْجَوِّ وَالْهُيَامِ
وَلَيْسَ فِي الْكُونِ مَا قَدِ
يُدْعَى هَوًى أَوْ غَرَامًا
لَكِنَّهُ دَاءٌ نَفْسٍ
كَثِيرَةُ الْأَوْهَامِ

* * *

أحيا ولكن أموتُ
في دولة الطاغوتُ
فمسكني هو قبري
وملبسي التابوتُ
مللتُ طول سكوتي
وملّ مني السكوتُ
إلى متى يرهب الناسُ
ذلك الجبروتُ

* * *

أقول للأوغاد
تحكموا في البلاد
وسلطوا كل سيف
على رقاب العباد
وليس أعجب من هذا
اللس في بغداد
لكن في أرض مصر
فرعون ذا الأوتاد

* * *

يأبها الجبار
المُلك ليس انتصارُ
لكنما المُلك عبءُ
والتاج جذوة نارُ
ما عاش في الأرض مَلِكُ
بسيفه البتَّارُ
متى جلستَ على العرش
كان ذاك انتحارُ

* * *

على صليب الرياء
أموت كل مساء
وفي يدي غصن زيتون
لَطَّخْتُهُ الدماء
والناس حولي جميعًا
تضرعوا للسماء
يرددون بيأس
أُنشودةً بلهاء

* * *



الأسد المجنون

في الغابة ليثٌ مجنونٌ
يتحدى في الأرض القِرْدَه
قد كان قويًّا مرهوبًا
تخشاهُ شياطين المَرْدَه
ومن الأشبال لهُ جيشُ
لا يعرف مخلوقٌ عَدَدَه
سيفتش كل نواحي الأرض
عن المطلوب ولن يجدَه
ويحاكم كل سباع الغاب
ويصدق فيهم ما وعَدَه
ويزلزل كل ربوع الأرض
وينشر في الدنيا مَدَدَه
وسيقتل آلاف الأنعام
عساهُ يحل بها عُقَدَه
وسيزبح آلاف الخرفان
ليملأ في البرد المَعِدَه

قد عاش ظلومًا جبارًا
لا يملك أن يخفي حقدَه
حكم الأحرار سنين طوَالًا
كان القهر بها سَنَدَه
سيظل غبيًّا مَأْفُونًا
لا يملك في أمرٍ رَشَدَه
ويحاول رغم الجهل الثَّارَ
ويخلق من عدمٍ نِدَه
ويظل يحارب أعوامًا
لتطول على الأرض الشُّدَه
وسيضرب في كل الأرجاء
بنفس القوة والجِدَه
ويصير كطوفان عاتٍ
لا يملك مخلوق رَدَه
وقديمًا كانوا قد قالوا
مَن يبحث عن جنٍّ وجدَه

* * *

السقوط 2003

فَتَحَتْ بِأَبْهَالِ التَّتَارِ
لَمْ تُطَقْ أَنْ يَطْوِلَ الحِصَارُ
أَسْلَمْتُ أَرْضَهَا عَنْ يَاقِينِ
بِأَنَّ الهَزِيمَةَ عَارُ
جَنَحْتُ وَحدهَا دُونَ دَاعٍ
إِلَى السَّلْمِ قَبْلَ التَّتَارِ
قَطَعْتُ أَلْسِنَ الرِّافِضِينَ
بِهَا أَنْ تَضِيحَ الدِّيَارُ
عَقَدْتُ مَعَ أَعْدَائِهَا
الصَّلْحَ فِي الحَالِ دُونَ انْتِظَارِ
قَبِلْتُ كُلَّ مَا فَعَلُوهُ
وَمَا سَبَبُوا مِنْ دِمَارِ
وَأَقَامْتُ لَهُمْ حَفْلَةً
لِلتَّغْنِي بِحُسْنِ الجَوَارِ
دَخَلُوا أَرْضَهَا آمِنِينَ
وَعَادُوا بِأَكْلِيلِ غَارِ

واستعاذت من الرد بالمثل
في الحرب نازًا بنازُ
واستراح الجنود من
الكر والفر ليل نهازُ
هكذا شاء سلطانها
والطَّغام الرَّعاع الشُّرازُ
كلما دخلوا قريةً
حل فيها الشقا والبَوازُ
إنهم جنَّبوا نفسهم
شر خوض الوغى والغمازُ
واستكانوا لأعدائهم
دونما ضررٍ أو ضرارُ
إنها حكمة المَلِكِ
المُفتدى وهو حامي الذُّمارُ
صدَّق الناسُ ما قد دعاهم
لَهُ ومشوا حيث سارُ
حكمة الغاب إن ذهب
الليث عنها ليبقى الحمارُ

* * *

النهاية

سقطت طِروادةً دون صمودٍ
وجنودك فئرانٌ وقروذُ
ملعونٌ يومٌ صرت بهِ
سلطاناً مخشياً معبودُ
فبنيت قصوراً لا تُحصى
وحشدت جنوداً تلو جنودُ
تتمثل أياماً ذهبت
وتظن الماضي سوف يعودُ
والماضي العباسيُّ مضى
لم يبق سوى الرايات السودُ
وفررت مهيناً مذلولاً
تتحسس حول يديك قيودُ

تحدى المحنة في يأسٍ
وتسير على دربٍ مسدودٍ
لتطيل بقاءك أيامًا
ومصيرك معلومٌ مرصودٌ
وتحاول أن تنجو منه
بذكاءٍ منقوصٍ محدودٍ
وجيوشك عند النكبة فرّت
دون قتالٍ دون صمودٍ
والآن تجرّع كأس الذل
وكأس الخزي بغير حدودٍ
فجموع السوقة قد هدمت
تمثالك في اليوم المشهود

والنَّوْءُ المُنْذِرُ بالإعْصَارِ
يَهْبُ بِرَوْقَاتِهِ ثُمَّ رَعْوَدُ
فَسْتَسْقِطُ بِعَدِكَ كُلِّ مَمَالِيكَ
الزَّمَنُ المُرَّ المُنْكَوَدُ
الوَاحِدِ تَلَوَّ الآخِرِ مِثْلُ
بَقِيَّةِ حَبَاتِ العُنُقُودِ
وَالشَّعْبِ الرَّاسِفِ فِي الأَغْلَالِ
وَيَنْتَظِرُ اليَوْمَ المَوْعُودِ
سَيَرَى تِمْثَالًا تِمْثَالًا
مَرْبُوطًا بِالحَبْلِ المَشْدُودِ
لَكِنَّ الأُذُنَابَ الحَمَقَى
لَمْ تَفْهَمْ مَا المَعْنَى المَقْصُودِ

* * *

إلى روح الدكتور سيد القمني المفكر الكبير والشجاع
كان صديقاً عزيزاً
وإن كنا نلتقي على فترات متباعدة
بسبب وجودي خارج مصر
وبفعل مشاغل الحياة
ولإن كان الموت قد غيبه عنا
فإن أفكاره ومؤلفاته لن تغيب

فلروحه السلام

إلى الدكتور سيد القمني

كَلِمَاتُكَ فِي الْأَذَانِ صَلَاةٌ
تَقْبِلُهَا كُلُّ الْأَدْيَانِ
وَجِهَادُكَ بِالْأَقْلَامِ نَشِيدٌ
تَسْمَعُهُ كُلُّ الْأَرْكَانِ
وَمِدَادُكَ فِي الْأُورَاقِ دِمَاءٌ
تَفْضُحُ أَسْفَارَ الْبَهْتَانِ
وَصِرَاخُكَ فِي الْبَرِّيَّةِ صَوْتُ
يَتْلُو تَارِيخَ الْإِنْسَانِ
قَدْ جِئْتَ الْيَوْمَ بِبَلَا وَعَدٍ
كِي تَهْدِمَ أَرْكَانَ الطَّغْيَانِ
تَتَحَدَى وَحْدَكَ فِي صَمْتٍ
وَتَقَاوِمُ إِرْهَابَ الْكُهَانِ
إِعْصَارًا يَتَّبِعُ إِعْصَارًا
بُرْكَانًا يَتْلُوهُ بُرْكَانُ

وتُقدم نفسك قرباناً
كي يبقى الحق على الأزمان
وكشفت حقيقة سر الهدنة
بين الكاهن والسلطان
وفضحت الظلم فضحت الجهل
فضحت الكُتَّاب الخصيان
من باعوا الأرض وباعوا الناس
وباعوا تاريخ الأوطان
فالحُر يعيش بلا خوفٍ
لا يخشى السجن ولا السجنان
والساسة مازالت تهوى
ألعاب السُّلَم والثعبان

* * *



من أوراق الغربية



رؤيا التَّيه

ضاربٌ في التَّيهِ لا أرعوي
عابرٌ عند الدُّجى سُبُلَه
خلفي الماضي اللعين الذي
حَمَل القلب بما حَمَلَه
وأمامي اليأس والحزن في
طُرُقَات السكك المُقْبِلَه
ذاهبٌ فيها وتحملني
خُطواتٌ في السُّرى مُثْقَلَه
أسأل الأفلاك عن سكتي
وأجوب الطُّرُق المُهْمَلَه
شاعرٌ أسكره حُزنه
ذاق من خمر الأسي أرذَلَه
ضَيَّع العُمُر عليه سُدَى
في جميع السكك المُقْفَلَه

تَخِذَ الصَّبْرَ رَفِيقًا لَهُ
وَهُوَ يُخْفِي فِي الدُّجَى وَجَلَّهُ
قَاصِدًا أُسْطُورَةَ الْفَجْرِ فِي
عَالَمِ اللَّيْلِ الَّذِي ضَلَّه
أَيُّهَا السَّائِرُ فَلْتَتَّئِدْ
لَيْسَ يَجْدِي السَّعْيَ وَالْهَرُونَ
لَيْسَ يُفْضِي السَّيْرَ لِلنُّورِ بَلْ
سَوْفَ يَفْضِي بِكَ لِلْمِقْصَلِ
حَوْلَ الشَّكِّ حَيَاتِي جَحِيمًا
وَأَذْكَى فِي الْحَشَا شُعْلَةً
وَالْأَمَانِيَّ الَّتِي رُمْتُهَا
زَلَزَلْتَنِي أَيَّمَا زَلَزَلَةٍ
بَلَبَلْتُ كُلَّ كِيَانِي وَلَمْ
يَسْلَمْ الْعَقْلُ مِنَ الْبَلْبَلَةِ

فحبستُ الدمع في مقلتي
وعلا صوتي بالولولهُ
ماعسى يصنعهُ شاعرُ
في زمان البزل والبرطَلهُ
كل ما يمكنني فعلهُ
ربأتُ نفسي أن تفعلهُ
لي فؤادُ هدَّه الدهر لَمَّا
رأهُ ناسجًا أمَلهُ
ورماهُ بالصروف التي
قد أصابت كُلهما مقتله
طعنات الغدر في مهجتي
شهدتُ أن الورى خذله
ودماء الصلب في جسدي
فضحتُ كل الذي قتله

ما عسى يفعلهُ شاعرٌ
في زمانٍ أهْلُهُ قَتَلَهُ
ولقد جاؤوا مساءً وكل
خسيسٍ حاملٌ مُنصَلَهُ
غرزوا في القلب أنيابهم
ويهوذا قَبَلَهُمْ قَبَلَهُ
وأننا سُئِلَ لساني فصرتُ
أداري عنهمُ شَلَلَهُ
كل ما أملكهُ كِلْمَةٌ
والخطاب اليومَ بالقُنْبَلَهُ
ذلك الوهم الذي عشتُهُ
يخلط المأساة بالمهزلة

* * *

رؤيا السّجن

تمضي الليالي والسنون
مُبطئاتٍ مُسرَعَه
وذلك المكان لا
ضيقٌ بهِ ولا سَعَه
تشابهتُ في أرضه
كل الفصول الأربَعَه
وسقطتُ في ليله
عن الوجوهِ الأقرنَعَه
أحلم بالفِرارِ لِكِنَّ
رؤايَ مُفزعَه
وذلك الحزن الذي
أحصدُه لأزرَعَه
عشَّش بين أضلعي
في مهجتي المُرقَعَه

والقلب صار داره
والصدر صار مرتعه
وهو يداري في الظلام
بؤسه وجزعه
تهب فيه ريحه
زوبعة فزوبعه
هذا هو الحزن الذي
أهـرأه وأفزعاه
يصنع من طمي الأسي
في داخلي مُستنقعاه
وراح ما بين الحشا
يُرقص فيّ ضفدعاه
وذا صراخي الذي
أكتمه لأسمعاه

تجىء من خلف المدى
أصدأؤه المُرَجَّعَهُ
وردَّدْتُهُ داخلي
أحشائي المُمَزَّعَهُ
أسمعه كهممات
ناسكٍ في صومعه
يدعو السماء والسماء
دأبها أن تسمعهُ
يصيح في عزلته
رفقاً بنفسي المُوَجَّعَهُ
وتلك أشباح رؤاي
ذاهلاتٌ فزعَهُ
أبصرها خلف المدى
مُرَوِّعاتٍ هلعَهُ

وبيننا التّيهُ الذي
تريدني أن أقطعه
وأصبحثُ رُوحِي ما
بينهما مُوزَّعه
فيا زمان الهلوسات
والرؤى المُروَّعه
كل رؤاك خادعاتُ
والمُنَى مُضِيَّعه
وفي فؤادي خافقُ
ليس يداري جَزَعَه
كم صرخةٍ تحبسها
جدرانُ سجنِي الأربَعَه

* * *

المُحال

أبحث عن نفسي ولكن سُدىً
في ذلك الكون الكئيب الرديء
وَكُلُّ دَرَبٍ خُضَّتْهُ شَائِكٌ
وكل مرعى في طريقي وبيء
وَكُلُّ ما لاقيتُ في سكتي
أَمات في نفسي بقايا الهدوء
عشتُ حياتي كلها لم أذق
في حانة الأيام كأسًا هنيء
وبعتُ عُمْري كُلَّهُ كي أرى
في هذه الوجوهِ وجهًا بريء
ولي فؤادٌ كُلُّهُ حَيْرَةٌ
ولي خيالٌ بالأمانِي مليء

فَعَشْتُ عُمْرِي شَارِدًا حَالِمًا
يَذْهَبُ بِي حُلْمٌ وَحُلْمٌ يَجِيءُ
مَا أَحْمَقُ الشَّاعِرَ فِي كُونِنَا
يُرِيدُ أَنْ يَحْيَا كَطِفْلِ بَرِيءٍ
وَأَثَرَ الْمَوْتِ عَلَى عَيْشِهِ
لَمَّا رَأَى وَجَهَ اللَّيَالِي الْقَمِيءِ
قَدْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا عَلَى رَغْمِهِ
تَزِيدُهُ الْأَيَّامُ ظُلْمًا وَسُوءَ
قَدْ سَأَمَ الْحَيَاةَ مِنْ حَوْلِهِ
نَاسٌ خَسَّاسٌ وَزَمَانٌ مُسِيءٌ
وَسَاءَتِ الْأَيَّامُ حَتَّى اسْتَوَتْ
حَيَاةُ شَاعِرٍ وَمَوْتُ بَطِيءٍ

* * *

على صليب الاغتراب

جسدي على هذا الصليب
سَفُرَ من الألم الرهيبِ
سَفُرَ من الألم العتيِّ
حروقُهُ ومن النحيبِ
وعذابُ روحٍ لم تُطقْ
عبث الأمانى بالقلوبِ
عُمُرَ أطاح به الضياعُ
من الشروق إلى الغروبِ
نساءً ضلوعي بالجروح
ونساء قلبي بالخُطوبِ
حَمَلْتُهُ ما لا يُطيق
فلم يكف عن الوجيبِ
وجرت دمائي في العراء
وسال دمعي في السُّهوبِ
أنهكتُ روحي بالسُّرى
وملأت قلبي باللهيبِ

قَدَرْتُ جِشْمُنِي الْمَسِيرَ
ولا سبيلَ إلى الهروبِ
سككُ تقود جميعُها
لليأس والشجن الكئيبِ
سافرتُ آلاف السنين
وجُبتُ آلاف الدروبِ
وحملتُ رحلي لا أبالي
أين يُلقيني نصيبي
أمضي أحتُ خطيَّ ثقلاً
في مدى الكون الرهيبِ
أمضي تحاصرني الرياح
ولا تكُف عن الهبوبِ
أمضي لتلقاني الأماكن
بالصراخ وبالنعيبِ
فمن الجنوبِ إلى الشَّمالِ
إلى الشَّمالِ إلى الجنوبِ

ومن الجحيم إلى العذاب
إلى الضياع إلى الكروبِ
راح النهار ولم يَعدْ
لم يَبْقَ منه سوى المغيبِ
وأناس جين الليل
والظلماءِ والأمل الكذوبِ
وعبرتُ تيهًا ثم تيهًا
في دُجى الليل العجيبِ
الجدبُ أهراً مهجتي
فحننتُ للزمن الخصبِ
وإذا نهاية رحلتي
تُلقي عصاي على صليبي

* * *

تَمْرُد

عشرون عاماً وبالإظماء تُرويني
وأطعمُ السُّمَّ في الزيتون والتينِ
وفي فؤادي نيرانَ مُحَرَّقَةٍ
لَمْ تُبْقِ إلا رمادًا في شراييني
أحرقْتُ قلبي قربانًا لترحمني
من اللهب فلم تقبل قراييني
خَلَفْتُ قلبي جريحًا فوق مذبحها
وسرتُ وحدي شريدًا في الميادينِ
عشرون عاماً ولا يأسٌ ولا أملٌ
ولا انتظارٌ ولا ذكرى تُسَلِّيني
وتارةً في بحار الشك تقذف بي
وتارةً في جحيم الظن ترميني
أصحو وأغفو ولا رِيٍّ ولا ظمًا
في سكة رحى أطويها وتطويني
أمضي أنقل أشلاءً ممزَّقةً
والدربُ حولي مليءٌ بالشياطينِ

تفرقوا في نواحي الأرض وانتشروا
وصوّحوا الزهر في كل البساتين
ما زلتُ أركض محمولاً على خطرٍ
في سكة الوهم ما بين الأظانين
روحٌ مُعذِّبَةٌ من طول ما حُبستُ
تضج من أسر ذاك الماء والطين
عقلٌ تُشتتُهُ الأفكارُ صرتُ به
لا أطمئن إلى شتى البراهين
سئمتُ كلَّ الدساتير التي كُتبتُ
وما تسن البرايا من قوانين
وفي ضميري آلامٌ مُبرِّحةٌ
وفي حشاي بقايا النار تكويني
ولي فؤادٌ كأنَّ الدهرَ حَمَلَهُ
آلامَ كلِّ الضحايا والمساكين
وحاصرتهني أفاعي الأرض واغتنمتُ
أني وحيدٌ هنا في العالم الدون

تلك الأفاعي التي قد مزقت جسدي
ولم تُخلّ دماءً في شراييني
وسكةٍ في طريقي رحّتْ أقطعها
يُميتني تيهها طُورًا ويُحييني
وحدي هنا في ظلام الكون منفردٌ
أفر من أرقمٍ طاغٍ لتئينِ
حتفٌ توجُّلهُ الأحداثُ مُنتظرٌ
يسعى وراء المدى حتى يلاقيني
أكاد أبلغُهُ حينًا ويبلغني
والسيرُ يُعدني منه ويُدنيني
ماذا دهاني فلمْ أعبأ بما حملتْ
لي الريحُ من نُذرٍ بالشر تُنبيني
مسافرٌ في طريقٍ لا انتهاء لهُ
يلوح لي الآل من حينٍ إلى حينِ
أكاد أدنو إلي سَفَر الخروج وما
بلغتُ بَعْدُ المدى في سَفَر تكويني

* * *

في مدى اللانهاية

أمضي وتخذلني خُطايَه
ويكاد يُنكرني مدايَه
وتنوء بي قدماي من
تحتي فيدفعني رجايَه
وأسيرُ في الأنحاء لا
أدري متى أُلقي عصايَه
أمضي على درب الضياع
أسيرُ فيه لِّلنهايَه
مُتلفتًا شرقًا وغربًا
ليس لي في السير غايَه
أستنطقُ القَلَك اللعين
فلا يردُّ علي نِدايَه
وأسائل الليل البهيم
فلا يجيب سوى صدايَه
جرَّبْتُ آلاف الرُقَى
عبثًا وما أجدتُ رُقايَه

وحبستُ في صدري الصراخَ
عن الـورى فعلا بكايته
ألمٌ يهزُّ جوانحي
وجوئى يئج به حشايته
دنيا تحاول أن تكون
ولن تكون على هوائيه
ومنى تُبدها الليالي
كي تزيد بها أسايته
والياسُ والماضي الحزين
وذكره سفكوا دمايته
وغدا طعامي من حصي
والخلُّ صار لي السُّقايته
ثارت عواصفُ جوائح
حطمتُ لحنى ونايته
هبتُ عليّ ثلوجها
وتجمدتُ فيها يدايته

وأتى ضبابٌ كاسحٌ
 قد شُوشت فيه رؤايَه
 واليأس أنهك مهجتي
 والريح قد هدَّت قوايَه
 وغياهبٌ في مدها
 لم أدرِ أرضي من سمايَه
 وذهبتٌ وحدي لا أبالي
 أين تُلقيني خُطايَه
 فتلوتُ سفراً للغرام
 وللجمال تلوتُ آيَه
 وحملتُ وعثاء السنين
 بلا كلالٍ أو شكايَه
 وبنيتُ صرحاً من خيالٍ
 لم يعش فيه سوايَه
 وأمامي الطُرقاتُ لا
 تُفضي لغير الانهايَه
 * * *

الانتظار في كُوة الليل

طال انتظارك ها هنا
في كُوة الليل البهيم
أحصيت آلاف الحصى
وعددت آلاف النجوم
تهفو لذكري قد مضت
وتفر من حزنٍ مقيم
وتننوء بالآلام
والأشواق والماضي الأثيم
تمضي خُطاك المثلقات
من الجحيم إلى الجحيم
والجسمُ أعياهُ السُرى
والقلبُ ضجّ من الهموم
تُلقي بنفسك طائعا
في ساحة المرعي الوخيم

صار الضياءُ بلا ضياءٍ
والنسيمُ بلا نسيمٍ
ووقفتَ وحدكَ لا تبالي
بالعواصفِ والهزيمِ
ووراءكَ الدربُ الحزينِ
يقود للماضي الأليمِ
دربٌ من الأحزانِ
والحسراتِ واليأسِ العظيمِ
وأمامكَ الأفقُ المُكفَّنُ
بالزوابعِ والغيومِ
والريحُ تحملُ هسهساتِ
الشؤمِ والجنِ الرجيمِ

تتلو عليك رموزها
أسطورة الأمل العقيم
عبثت بروحك في الدُّجى
عبثت العواصف بالهشيم
والأرض ملىء بالأفاعي
الظلمات إلى الهجوم
ترمي عليك سهامها
وتصيبُ روحَكَ في الصميم
وتصبُّ نحوكَ غيظها
المشحونَ بالحقد القديم
ظُمأى إلى دمك الذي
قد أترعتهُ بالسُّموم

* * *

الروح الطليقة

أمضي وتدفع أقدامي مقاديري
وأذرع الأرض من دورٍ إلى دورٍ
أفتشُ الكونَ والأفلاكُ ترقبني
وأسأل الفجر عن أسطورة النور
أمضي ولا وطنٌ لي كي أسيرَ له
وليس خلف المدى غيرُ الدياجيرِ
من ألف عامٍ ولي دنيا أعيش بها
خَلَقْتُهَا من خيالاتي وتصويري
فلست أقصد أرضًا غيرَ نائيةٍ
ولست أسلك دربًا غيرَ مهجورٍ
وفي فِواديِ آلامٍ مُبرَّحةٍ
وفي حشايِ بقايا الطهر والنورِ

أصغي إلى ما تصوغ الريح من قصصٍ
وما تقصُّ الليالي من أساطيرِ
وما تُرددهُ الأصداءُ غاضبةً
على لحون السوافي والأعاصيرِ
تركتُ أسفارَ كُتُبٍ ضلَّ شارحُها
ورحتُ أقرأ سِفراً غيرَ مسطورِ
يا نَفْسُ لستُ هنا في الليل منفرداً
ولي به ألفُ هادٍ من تصاويري
أمامك الأفقُ والأرجاءُ واسعةٌ
فحلّقي في سماء الوهم أو طيري

* * *

قلب الشاعر

فؤادٌ من الأحزان والحسراتِ
ودنياهُ دنيا فُرقةٍ وشتاتِ
يداعب طيف الأمنيات وتارةً
يهيم مع الظلماء في الفلواتِ
يزور دياراً ليس يعرف أهلها
ويُنفق كَنزَ العُمُرِ في السَّفَرَاتِ
يحنُّ إلى ما فات من أمسِ عُمُرِهِ
ويخشى من الأيام ما هو آتِ
لَهُ في سكون الليل أنّات حائرٍ
وإطراقةُ الذكرى مع الخطراتِ
على سَفَرٍ لا يستقرُّ قرارُهُ
يخوض دجاجيه بغير أناةٍ
فماضيه أوهامٌ وحاضرٌ عيشه
كتابٌ من الأخطاء والهفواتِ
تَخطُّ به الأيامُ ما ليس يشتهي
ويُملي هو الأحزانَ في الصّفحاتِ

لَهُ أَمَلٌ مَا زَالَ يَسْعَى وَرَاءَهُ
يَعْدُّ لَهُ الْأَيَّامَ وَالسَّنَوَاتِ
يَعَانِقُ نَوْرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ طَلْعَةٍ
وَيَأْنَسُ عِنْدَ اللَّيْلِ بِالخَلَوَاتِ
وَيَضْرِبُ فِي الظُّلْمَاءِ وَاللَّيْلِ شَارِدٌ
كَفَيْفُ الدِّيَاجِي حَائِرِ الطَّرِيقَاتِ
يَخُوضُ ضَبَابَ الكَوْنِ وَالنَّجْمِ كَاسِفٌ
وَتَبْدُو لَهُ الْآفَاقُ مُشْتَبِهَاتِ
بِهِ نَزَقُ الْمُجَّانِ وَالكَأْسُ حَاضِرٌ
وَنُسْكُ كَأَهْلِ الزَّهْدِ فِي الصَّلَوَاتِ
لَهُ أَلْفَ عَامٍ تَائِهَةِ الْفِكْرِ هَائِمٌ
يَعِيشُ عَلَى ذِكْرِ الْمُنَى الْعَطِرَاتِ
يَنَادِي زَمَانًا لَا يَلِينُ لِسَائِلِ
وَدَهْرًا لَيْمَمَ الطَّبَعِ لَيْسَ يُوَاتِي
يَضِجُ مِنَ الْأَحْزَانِ وَالذَّعْرِ رُوْعُهُ
فِيْمَلَأَ سَمْعَ الكَوْنِ بِالصَّرَخَاتِ
تَحِيْطُ بِهِ الْأَخْطَارُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَيُسْرِعُ فَوْقَ الدَّرْبِ بِالخُطُوَاتِ
وَحِينَ يَنَالُ الْيَأْسَ مِنْ جَدِّ عَزْمِهِ
يُوْوبُ مَعَ الْأَحْزَانِ بِالحَسْرَاتِ

* * *

نهاية شاعر

شاعرٌ أنتَ لم يزل
يعشق العطر والظلال
ذو فؤادٍ مشرِّدٍ
وأمانٍ من الخيال
ضيِّع العُمُرَ لاهيًّا
يعبد الحُبَّ والجَمال
خَلَقَهُ اليأس والضياع
وقُدَّامَهُ المُحَال
ومضى فوق دربه
مُثَقِّلَ الخطو في اعتلال

ورأى الموتَ حوله
عن يمينٍ وعن شمالٍ
مادت الأرض تحتَهُ
وهوت فوقهُ الجبالُ
وقضى وهو لَمْ يَكُنْ
ومضى وهو لا يزالُ
نقش الدهرُ إثرهُ
بدماءٍ على الرمالِ
«هكذا تنتهي الفنون
وتمضي إلى زوالٍ»

* * *

على ضريح النهار

حَطَّمْتُ كُلَّ جِدَارٍ
بَيْنِي وَبَيْنَ النَّهَارِ
وَلَمْ أَزَلْ فِي طَرِيقِي
أَصَارِعُ الْأَقْدَارِ
فَنَصَفَ عُمْرِي ارْتِحَالًا
وَنَصَفَ عُمْرِي انْتِظَارًا
الْتِيَّهُ كَانَ انْتِحَارًا
وَالسَّيْرُ كَانَ اخْتِبَارًا
وَهَكَذَا أَسْلَمَتْنِي
الْأَسْفَارُ لِلْأَسْفَارِ
وَتَمَّ بُوْمٌ وَعُزْبٌ
نُوحَاهَا جِبَارًا
قَدْ أَنْذَرْتَنِي بِالشُّؤْمِ
وَالوَبَا وَالْبَبَاوِ
وَلَمْ أَكُنْ بَعْدُ أَدْرِي
خَطْوَةَ الْإِبْحَارِ

وهأ أنا أتهأوى
ففي رحلة الأخطار
وففي ضميري لحن
وففي يدي مزمأر
يدلني كيف أمضي
ويكشف الأسرار
حملت قلبًا ذبيحًا
عروقتة أوتأر
أبكي فيبكي ولكن
دموعته أشعار
سجنته في ترابي
ولم يكن لي اختيار
حملته هم نفسي
فضج منه وثار
شقت وحدي طريقي
في لجة التيار

وعندما جرفتنني
دوامة الإعصار
تلفني حول نفسي
كأنها لي مدار
مكبلاً في قيودي
لا أستطيع الفرار
أحرقته روعي فلماً
كويته بالناز
صارت دخاناً كثيفاً
يطير منه الشرار
ثم استحالت صواناً
مهدم الأحجار
دنوت منه فلماً
أزحمت عنه الغبار
رأيت صورة وجهي
على ضريح النهار

* * *

عَوْدَةُ سِنْدِبَادَ

صَدَقَ الْوَعْدَ وَعَادَ
وَطَوَى سِفْرَ الْعِنَادِ
بَعْدَ أَنْ مَلَّ ارْتِحَالًا
وَاجْتِرَابًا وَانْفِرَادَ
طَالَمَا سَارَ وَلَمْ يُلِقِ
عِصَاهُ سِنْدِبَادَ
إِنَّهُ مِنْ أَلْفِ عَامٍ
لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الرُّقَادِ
وَلِيَالِيهِ الَّتِي قَدْ
نَقَصَتْ مِنْهُ فِزَادَ
قَدْ تَحَدَاهَا طَوِيلًا
وَأَرَادَتْ وَأَرَادَ
خَاضَ فِي رِحْلَتِهِ حَتَّى
أَتَى الْوَقْتَ فَعَادَ

جَابَهَا أَرْضًا فَأَرْضًا
وَبِلَادًا فَبِلَادًا
ضَارِبًا فِي كُلِّ تِيهٍ
هَائِمًا فِي كُلِّ وَادٍ
كَلِمًا مَلَّ دِيَارًا
امْتَطَى ظَهَرَ الْجَوَادِ
سَارَ فَوْقَ الْمَاءِ فِيهَا
وَمَشَى فَوْقَ الْقَتَادِ
فَلَهُ الْأَفُقُ غَطَاءٌ
وَلَهُ الْأَرْضُ وَسَادٌ
يَنْقُضِي عَامٌ فَعَامٌ
وَهُوَ صَلْبٌ كَالْجِمَادِ
وَلَكُمْ سَطْرٌ أَسْفَارًا
وَمَا جَفَّ الْمِدَادُ
عَادَ مَهْمومًا وَلَكِنْ
لَمْ يَزُلْ فِي الرَّحْلِ زَادُ
لَمْ يَخْفَ بَرْدًا وَجوعًا
إِنَّ لِّلْسَهْمِ ارْتِدَادُ

لَمْ يَسِرْ فِي الْأَرْضِ يَوْمًا
وهو منهوك الفؤادُ
رابطُ الجأشِ قويُّ
لَمْ يَنْلِ مِنْهُ السُّهَادُ
لَمْ يَنْوُ بِالسَّيْرِ يَوْمًا
إنما زاد اشتدادُ
ثابتُ الخطو أبيُّ
فِيهِ بِأَسْ وَعَتْدَادُ
لَمْ تَزُلْ بَيْنَ حِشَاهُ
جمرةٌ تحت الرمادُ
إنها بغدادُ حتى
لوفشا فيها الفسادُ
وأتى في موسم القحط
على الزرع الجرادُ
واشتكى التجار في
الأسواق من طول الكسادُ
هكذا ألقى عصاهُ
في ثراها سندبادُ

* * *



المرأة الحلم



المرأة الحلم

قَدَرِي شَاءَ أَنْ أَسِيرَ إِلَيْكَ
وَأَحْسَّ الْحَيَاةَ بَيْنَ يَدَيْكَ
وَأَنَا مَثَلَمَا عَهَدْتِ وَلَكِنْ
أَكْتَفِي مِنْكَ بِاشْتِيَاقِي إِلَيْكَ
أَصْطَلِي لَوْعَتِي وَصَدُّكَ بَيْنِي
أَلْفَ سِدِّ أَرَاهُ فِي عَيْنَيْكَ
يَا لَهَا جَفْوَةً وَقَسْوَةَ نَفْسٍ
تَتَحَدَى الْحَنَانَ فِي نَظْرَتَيْكَ

* * *

الحلم السّرمدى

السُّرى الملعونُ والظمأُ
غربّاني عنكِ يا سبأُ
أنا أشلاءُ مَمَزَقَةٌ
تتهاوى قبل تنكفى
خُطواتُ كلها زَلَلٌ
وحياةُ كلها خطأ
جسدُ أتعبته بالسُّرى
وفؤادُ كعاد يهترى
عربد اليأسُ به فغدا
وهو بالحرمان ممتلئ
فمتى ألقى عصايَ بأرضٍ
بها ظلٌ ومُتَّكأُ
خلفي الماضى يطاردني
وأمامي الأُلُ والحَمأُ

أرَهَقْتُ رُوحِي مَسَالِكُهُ
فِي لَيَالٍ سِيرَهَا لَيْكِي
ثُمَّ لَيْلٌ بَارِدٌ صَرِدٌ
وَهَجِيرٌ صَاخِدٌ وَبِي
وَالْحَصَى الْمُنْثُورُ فِي سَكْتِي
جَمَمٌ بِالنَّارِ تَمْتَلِي
هَسَّاتُ الرِّيحِ فِي أُذُنِي
عَلَّمْتَنِي كَيْفَ أُجْتَرِي
سَفَرٌ فِي إِثْرِهِ سَفَرٌ
يَنْتَهِي بِي حَيْثُ يَبْتَدِي
مَزَّقْتَنِي وَرَمْتُ جَسَدِي
حَيْثُ لَا مَاءٌ وَلَا كَلْبٌ
مِثْلَ مَصْبَاحٍ تَوَهَّجَ فِي الرِّيحِ
حِينَئِذٍ يَنْطَفِي

وحياتي كُلُّها أَصْبَحْتُ
ظَمًا مِنْ بَعْدِهِ ظَمًا
أَسْمَعُ الْغَرِيْبَانَ نَاعِقَةً
وَيَنْوِحُ الْبُؤْمُ وَالْجِدَا
هَدَّنِي السَّيْرَ بِلا هَدْفٍ
وَبِرَانِي الْجَوْعُ وَالصِّدَا
وَالْأَفَاعِي أَحْدَقْتُ بِي فِيهِ
فَكَيْفَ الْآنَ أَخْتَبِي
وَارْتِحَالَ فِي مَجَاهِلِهِ
يَتَسَاوَى السُّقْمُ وَالْبُرُؤُ
وَجَرَّاحُ كَلِمَا التَّأْمَتِ
عَاوَدْتَنِي وَهِيَ تَنْتَكِي
وَصَنُوفُ السِّدَاءِ مُحْدَقَةٌ
وَالْأَذَى وَالسُّمُّ وَالْوَبَا

* * *

هكذا يعشق الشعراء

حبيبتي لا تجزعي
من ولعي ولهفتي
ومن ضياع عُمُري
في اللهو والعربدة
فقد خُلقتُ هكذا
أطيع أمر الرغبة
أقطع عُمُري شاردًا
من نـزوةٍ لنـزوةٍ
الحُب صار جِرفتي
والشُّعر صار صفتي
والليلُ محرابي الذي
أعبد فيه ربتي
والصبر لا يزال فيَّ
بـذرةً لم تنبتِ

زرعتُها من ألفِ عامٍ
في ثنايا رئتِي
فإن أردتِ حدّثِي
وإن أردتِ فاصمتِي
وخاطبيني بعدها
بقُبلَةٍ في شفتِي
أبلغَ من بلاغتي
ومن حروف اللغَةِ
يا كل شيءٍ في الوجودِ
ناطقٍ بالروعةِ
ينطق كل ما بهِ
بالسحر والعذوبةِ
عيناكِ قد أصبحتا
تُمزقان مُهجتي

وتُشعلان النارَ في
حشايَ والأوردةِ
وتعصران ألمي
وتخنقان شهوتي
ضيّعتُ فيكِ سفهي
ثم أضعتُ حكمتي
ما بين شعيرِ مائجٍ
أطرافهُ تَلَوَّتِ
وبين خصرِ طيّعٍ
مُهفهِفِ الحاشيةِ
لكنَّ نهديكِ اللذين
أسرفا في الخفةِ
قد حاربا إرادتي
وهزما رجولتي
أخطأتُ في حقهما
فحاولا تبرئتي

وقرَّباني من معينِ
ساحرِ الرأحَةِ
أجعبتا عطرِهما
باقٍ على الأزمنةِ
وشفتاكِ قطعةً
من سُكَّرِ مُفتتِ
أنثى تباع للرجال
مثل كل سلعةٍ
تحوم حول مُخدعي
من رحلةٍ لرحلةٍ
كأنها فراشةٌ
في خفة الحركةِ
يا جسداً دماؤه
من شبقٍ وشهوةٍ
قد صرختُ أعضاؤه
في غضبٍ وثورَةٍ

امـرأةٌ فلتعترفُ
بكل معنى الكَلِمَةِ
أرقص رقصة الحياة
مرةً في السنةِ
وتستبيح اللمساً
جسدي وعفتي
وأنفث التبغ دُخَانًا
غائم الأبخرةِ
أريد أن أحيَا على
الـدوام في حريّةِ
أجيد صيد البائسين
في حبال النظرةِ
ياليت أني همسةٌ
من شَفَاةٍ لشفةِ
تحمل سرَّ العاشقين
خِلْسَةً في الظلْمَةِ

أيتها الأسطورة التي
محت أسطورتني
ستكتبين بالدموع
أسطرًا في قصتي
يا صنمي ومعبدي
مُقَدَّسَ الأعمدةِ
تفننتُ في صنعهِ
كُلُّ قوَى الآلهةِ
فلتدخلي هواجسي
ولتصبحي أُحجيتي
ولترقدي بداخلي
ولتسكني أنسجتي
وضيِّعي عُمْرَكَ في
الصراخ والولولةِ

* * *

أنشودة الغرق

أنتِ والليْلُ والأرقُ
ذكرياتٌ من القلقِ
كَبَلْتُ قلبي الحزين
بقيدٍ من الحُرْقِ
ثُمَّ خَلَّتْ رمادهُ
وقتما شاء أحترق
تركْتَنِي ولوعتي
أمزج السهد بالأرقِ
وتحدثتُ إرادتي
فأحالت هـواكِ رِقِ
فاسألني عني الجوى
لا شبابي الذي احترق
كنتِ حُلماً مسيطراً
كُلَّ أحلامي استرقِ

كُنْتُ طَيْرًا مَحَلَّقًا
فِي سَمَاوَاتِكِ انْطَلَقُ
بِفِؤَادٍ مَشْرَدٍ
وَجُنَاحِينَ مِنْ وَرْقٍ
هَدَّبَ الشَّوْقُ طَبَعَهُ
وَدَعَاهُ الْهَوَى فَرَقَ
خَاضَ بَحْرًا مِنَ الظَّلَامِ
لِبَحْرِ مِنَ الْأَلْقِ
كَثُرَ الطَّيْرُ بَعْدَهُ
وَعَدُوا إِثْرَهُ فِرَقَ
وَهُوَ فِي اللَّيْلِ تَائِهٌ
قَادَهُ الْحُمَقُ وَالْخَرَقُ
مَزَّقُوا قَلْبَهُ الصَّغِيرَ
وَأَبَقُوا بِهِ رَمَقُ

كم جـسـورٍ بـكِ التـقى
وهـو بـالـمـلتـقى أحـقُّ
زادَهُ عـنـكِ أنـهُ
خـشـي الغـل والشـرقُ
ودنـا مـنـكِ بـعدـما
دلَّهـُ النـور والعـبـقُ
ثم مـادـت بـه السـماء
ومـن فـوقـها زلـقُ
وهـوى بـعد أن شـجـاكِ
بأنـشـودـة الغـرقُ

* * *

في هواكِ أغتال الشباب

هيئي الكأس ولكن
لا تذيقيني شرابا
لا تُذيقيني إياها
أذيقيني العذابا
واجعلي نارِي تزداد
اشتعالًا والتهابا
واتركيني أذرع الأرض
مجيئًا وذهابا
ثم أمضي لطريقي
أقتفي فيه السرابا
أقطع العُمر مع الآلام
حزنًا واكتئابا
ماعسى يشعر قلبُ
صار قفُورًا وخرابا

وغدت كل أمانيه
سراباً ويبابا
ورأى أحلامه كيف
تهاوت فأنابا
في ليالٍ عاشها ما
تركت فيه صوابا
هكذا جاء إلى الدنيا
لكي يشقى اغترابا
فخذي ماشئت من
عُمري الذي ضاع انتهابا
ودعيني في هواك
اليومَ أقتال الشبابا

* * *

ليلةٌ قبل اللقاء

ليلةٌ بيننا تمر ثوانيها
بِطَاءٍ كأنها أعوامٌ
ليلةٌ تصدق الرؤى في دُجائها
وتصح الأحلام والأوهامُ
ليلةٌ أصبحتُ إليكِ طريقي
سوف تجتازها بي الأحلامُ
ليلةٌ بعدها ستعرف روعي
كيف صَلَّ الهوى وضاع الغرامُ
ليلةٌ بعد أن تمر وتمضي
سوف تُمحي الذنوب والآثامُ
فَرِحْ باللقاء طَوْرًا وطَوْرًا
يعتريني الإقدام والإحجامُ
شاردٌ بين ليلتين هما العُمُر
الذي إن مضى فليس يُرامُ
كيف يدنو الجليد من جذوة النار
ويدنو من الضياء الظلامُ

تتناجى عيوننا حين ألقاك
وتعيا اللُغى ويعيا الكلامُ
ويموت الظما وينتحر الجوع
ويفنى العذاب والآلامُ
إيه يا من أتت لتنعش قلبًا
أتعبتهُ السنون والأيامُ
أنتِ أيقظتِ في فؤادي أمانيه
فغئى الهوى وغئى الغرامُ
هذه الجذوة التي في فؤادي
أنتِ أججتها وأنتِ الضُّرامُ
صوتك العذب لا يزال صدهُ
نغمًا لا ترقى له الأنغامُ
أنتِ دنيا من العذوبة والسحر
سواءً حلالها والحرامُ
سوف ألقاك ساعةً ثم أمضي
وعلى الحُب والشباب السلامُ

* * *

سنلتقي بعد حين

سنلتقي بعد حين
وبعدَ مرَّ السنينُ
فالآن قد هداً الشوق
والهوى والأنينُ
وكاد أن يسقط الفارس
الذي تعرفينُ
ما بين وطء الليالي
وبين حزنٍ دفينُ
وأصبح الحُب ذكراً
والذكريات رنينُ
ولم تنزل بعدُ ذكراكِ
في الفؤاد الحزينُ
تروح فيه وتأتي
وتختفي وتبينُ
ولم يزل فيَّ شيءٌ
من الأسى والشجونُ

لكنني صرتُ حرًّا
وكنْتُ قبلُ سجينُ
هل تذكرين عذابي
أم أنت لا تذكرين
قد كنتُ جذوة نارٍ
وأنتِ لا تشعرين
كانت تمر الليالي
عليّ مثل السنينُ
وبعد أن صدَّق الغدرُ
في هـواكِ الظنونُ
وبعد أن سكنتُ ثورة
الأسى والجنونُ
ولم يَعدُ فيكِ شيءٌ
يثير فيّ الحنينُ
ثم التقينا غريبين
في الزمان اللعينُ
سنلتقي ذات يومٍ
سنلتقي بعد حينُ

* * *



ورقة سكندرية



ريشةٌ في عُباب البحر

واقفٌ عند شاطئِكَ مساءً
أكتم الشوق والضميرُ يبوحُ
وقفةً تنطق المدامع فيها
حين يعيا اللسان وهو فصيحُ
جئتكَ اليوم بعد طولٍ غيابٍ
وجناني عن غيِّهِ مكبوحُ
ها هنا كنتُ في ابتداءِ شبابي
خالي البال يزدهيني الجموحُ
وأنا اليومَ عائدٌ خطواتي
مُثَقَّلَاتٌ قد مات فيها الطموحُ
فأنا مثل موجةٍ في عُبابٍ
أبعَدَتْها ريحٌ وأدنتُ ريحُ
كشفت سرها عليَّ الليالي
وتعرَّى وجهُ الزمان القبيحُ
جئت أستاف من نسيمك عطراً
طالما منك في المساء يفوحُ

فتذكرتُ للبراءة والأحلام
عهداً والقلبُ بَعْدُ صحيحُ
حينما كنا نلتقي في الليالي
عند شاطئيكَ والنجوم تلوحُ
وحكاياتٍ للغرام تَوَلَّتْ
وبها طاح الدهر فيما يطيحُ
نخطف اللهو من أكفِّ زمانٍ
قلَّما اللهوَ والسرورَ يُتِيحُ
وإذا أحلامي كوابيس نومٍ
والهوى خنجر وقلبي ذبيحُ
إيه يا بحرُ إن سئمتُ حياتي
فإلى شاطئيكَ تهفو الروحُ
أنت ما زلتَ سلوتي في شقائي
وطبيبي إذا عَرَّتَنِي الجروحُ
فيك أودعتُ ذكرياتي وسري
فطواها العُباب وهو يروحُ

* * *



ورقة حزينة



رثاء شاعر

أَسْلَمَ الرُّوحَ نُمَ غَابَ
وَطَوَى صَفْحَةَ الْعَذَابِ
وَأَمَّحَى كُلَّ مَا أَتَى
خَطَأً كَانَ أَمْ صَوَابِ
قَلْبُهُ كَانَ جَمْرَةً
مَلَأَتْ رَوْحَهُ التَّهَابِ
لَمْ تُطَقْ حَزْنُهُ الرَّهِيْبِ
فَشَابَتْ أَسْوَى وَشَابِ
عُمُرُهُ كَانَ قِصَّةً
مِنْ ضَبَابٍ وَمِنْ سِرَابِ
وَاللَّيَالِي الَّتِي قَضَاهَا
مَعَ الْحَزْنِ فِي اغْتِرَابِ
غَرَزَتْ فِي كِيَانِهِ
أَلْفَ ظَفْرِ وَأَلْفَ نَابِ
طَالَمَا كَانَ يَسْكِبُ الْحَزْنَ
فِي قَلْبِهِ انْسِكَابِ

وليالٍ مضت سراعاً
إلى لحظة الغياب
وحياةً تَبَدَّدَتْ
وغدت كلها يباب
ضاع ما بين وطئها
وأمانئِهِ الكِذاب
أنهكتُ قلبَهُ وهَدَّت
قـواهُ بلا حساب
سئم العيش والحياة
التي عاشها عِقاب
أكمَل الرحلة التي
ملأتُ قلبَهُ عذاب
واستراحته ظنونهُ
لا شجونٌ ولا اكتئاب
ومضى مثلما أتى
مسرع الخطو في اضطراب

أَبْصَرَ الدَّرْبَ خَلْفَهُ
ثُمَّ أَلْقَى العَصَا وَغَابَ
أَيُّهَا الرَّاحِلُ الَّذِي
لَيْسَ يُرْجَى لَهُ إِيابُ
غَرِقَ الأُفُقُ فِي الظَّلامِ
وَعَمَّ المَدَى الضُّبابُ
غَايَةُ الشَّمْسِ أَنْ تَغِيبَ
وَكَوَلُّهُ إِلَى تَرابِ

* * *

ديوان
لا تُعَارِضُ

ديوان لا تُعارضُ

صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام 2007 عن
مركز الحضارة العربية بالقاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٧/١٩٠٤٥

ISBN 977-291-852-8

لا تُعارضُ

لا تُعارضُ بغير سَبَبٍ
والزَمِ الآنَ حَدَ الأدبِ
نحن قومٌ نُحِبُّ الرياءَ
وَنَعشَقُ قولَ الكَذِبِ
ونجيد الخضوع بلا
سببٍ فلماذا العجبُ
وَنُجِلُّ كلامَ الأميرِ
ونحفظ عنه الخُطْبُ
وحكايا ملفةً
عن زمانٍ جميلٍ ذهبِ
قد رضينا بحكم الطغاة
ففيهم الأسى والغضبُ
والذين لهم مهَّدوا
لقبَّوهم بكل لقبِ
من خليفة رب الورى
لخليفة رب الطَّربِ

فالإمام الذي غاب ثم
الإمام الذي لم يغب
وملوك ذوي نَسَبٍ
وملوكٍ بغير نَسَبٍ
وأتابكة* في البلاد
سلاطين عند الطلب
من ممالك أو تركمانٍ
ومِن عجمٍ وعربٍ
كُلُّهم سييءٌ فعلُهُ
سييءٌ ما جنى وارتكب
والذي قد أتى ثائرًا
والذي قد أتى مُنتخبٍ
ظَلَّ ينتظر الوقت حتى
أتى دورُهُ فوثبَ

* الأتابكة: جمع أتابك، وهو لقب تركي يعني مرئي الأمير وكان يُطلق في عهد المماليك على من تُعهد إليه إمارة العسكر، وكان منهم عماد الدين زنكي.

والذي سيفُهُ صارمٌ
كالذي سيفُهُ من خشبٍ
أعمل السيفَ ثم أتكا
فوق منبره وخطبٍ
فالزم الآن حد الأدبِ
لا تُعارضِ بغير سببٍ
فالأميرُ الذي لم يجرىءُ
كالأمير الذي قد ذهبُ
والذين له سجدوا
جعلوه أميرًا وربُّ
والمسيحُ الذي بيننا
قبل أن يَصْلِبوه صُلبٍ
فارض بالصمت في بلدٍ
أدمن الصمت منذ حَقْبٍ
واحفظ الدرس من مرةٍ
لا تكن من مثيري الشغبِ
واختر الآن ما بين
سيف المُعزِّ وبين الذهبِ

* * *

شهرزادُ تتحدّث بعد صمت طويل

نطقْتُ بعد صمتها شهرزادُ
فالحكايَا المكَرَّراتُ تُعادُ
عادَتِ الآنَ شهرزادُ إلى القصرِ
وعادَ السيفُ والجلادُ
وعلى العرشِ جالسٌ شهرِيارُ
يملأُ الكأسَ والجواري تُقادُ
ولهُ في أحضانهنَّ فتوحُ
ولهُ في فراشهٍ أمجادُ
يضربُ الدفَّ حولهُ خادماهُ
ويغني وزيـرهُ القوَادُ
عادَتِ الآنَ شهرزادُ إلينا
فليالينا كُُلُّها أعيادُ
رجعتُ بعد ألفِ عامٍ لتروي
كيف زالت من الوجودِ بلادُ
هكذا عُدتِ بعد طولِ غيابٍ
فهنيئًا بالعودِ يا شهرزادُ

نحن ما زلنا نسأل الطفلَ البالي
ونَبكيه كيف بانَت سعادُ
عربد التُّرك والمماليك فينا
وفشا الغش بيننا والفسادُ
والسلاطين كلهم شهریارُ
والولايات كُلهَا بغدادُ
وجميع الملوك كانوا طغاةً
والمماليكُ كلُّهم أوغادُ
هكذا بادت جُرهمٌ وسَدومٌ
وانتهت قبلنا ثمودٌ وعادُ
نحن خُطَّتْ عن الشقاء الحكايا
من دمانا ولم يجف المدادُ
والليالي مرَّت علينا كئيباتٍ
بطاءً وطالت الآمادُ
فخذي عن عذابنا لتقصي
فتصح المتون والإسنادُ
ها هنا راجت سوق كل فسادٍ
وفشا الفقرُ واستدام الكسادُ
هذه الأرض عربد الظلم فيها
من قديمٍ وعربد الإفسادُ

وجميع السنين فيها عجافٌ
وجميع الفصول فيها شِدادٌ
ها هنا بارك الشيوخُ السلاطينَ
رياءً ونافقَ الزُّهادُ
إن هذا الذي جنيتِ علينا
وجنأه قوامك الميَّادُ
فأعيدي إذا أردتِ الحكايا
إنَّ سِفرَ الخضوعِ سِفرُ مُعادُ
كفكفتُ دمعها الكذوبُ وقالتِ
ليس يُجدي مع الملوكِ العنادُ
إنما شهريارُ لم يتركِ العرشِ
وما زالتِ حولهُ الأجنادُ
وجميع الورى عبيدٌ لديه
وكما شاء أمرهُ تنقادُ
فأقيموا على البلاءِ قليلاً
كلُّ شيءٍ لوقتهِ ميعادُ
سيجيءُ الخلاصُ يوماً إليكم
فالتواغيثُ حوصروا أو كادوا
* * *

خُرطوم الفيل

مولاي المنصور المعصوم
من يفخر بالجيش المهزوم
لا تُغلقُ بابك في وجهي
أو تهزأ من شخصي المحروم
مولاي اعذرني في هلعي
إذ جئتكَ بالخبر المشؤوم
لا تَحْسَبْ أني شمتانُ
أنا مثلك مُرتاعٌ مصدوم
قد جئتكَ مسرورًا فرحًا
وتركتك حيرانًا مغموم
وذهبتُ وعقلي مشغولُ
وحملتُ همومًا فوق هموم
تفسير الرؤيا يا مولاي
كلامٌ مجهولٌ معلوم
الناس جميعًا تعرفه
ومصيرك معلومٌ محتوم

من يوم وَلِيَتَ الْمُلْكَ غدا
محفوظًا في سِفْرِ مَخْتومٍ
ونهاية مُلْكِكَ قد حانت
وطيور الشؤم عليك تحوم
قد حاول قبلك مَنْ ذهبوا
فلتقنع بِالْقَدَرِ المَقْسومِ
فوزيركَ خادِمَكَ الملعون
يسير على النهج المرسوم
ويعد العدة في صمتٍ
ويُجَهِّزُ خنجرهُ المسموم
وسيجلس بعدكَ في زهوٍ
يتفاخر بالمجد المزعوم
أعداؤُكَ قد صاروا كُثْرًا
وخلقتْ خصوصًا تلو خصوصوم
فالقاضي العادل قد سوَّى
ما بين الظالم والمظلوم

لَمْ يَنْصَفْ مَظْلُومًا يَوْمًا
وَيَرِدُ لَهُ الْحَقُّ الْمَهْضُومُ
وَالنَّاسُ تَحَاوَلُ أَنْ تَشْكُو
لَكِنَّ لِسَانَ الْخَوْفِ كَتُومُ
وَالشَّيْخُ النَّاسِكَ مَأْجُورُ
وَالْحَبْرُ الزَّاهِدُ لَيْسَ يَقُومُ
وَقَدِيمًا كَانُوا قَدْ قَالُوا
الْمُلْكُ الْجَائِرُ لَيْسَ يَدُومُ
تَفْسِيرُ الرَّؤْيَا يَا مَوْلَايَ
كَلَامٌ مَجْهُولٌ مَعْلُومُ
فَلْتَبْحَثْ عَنْ رَجُلٍ غَيْرِي
لِيَفْسِرَ ذَا اللُّغْزِ الْمَفْهُومُ
فَنَبِوءَةٌ خَلَعَكَ فِي رِقِّ
تَرَعَاهَا أَفْلاكُ وَنَجُومُ
لَكِنَّكَ قَدْ تَنْجُو مِنْهَا
لَوْ سَارَ الْفِيلُ عَلَى الْخُرْطُومِ

* * *

النواطير والثعلب

في انتظار الغائب المُرتَقِبِ
ملاً الظُّلمُ كتابَ الغضبِ
سقطتْ أسطورة الصبر وقد
نسخ الشك سطور الكذبِ
وتداعت رُقية السحر وكلُّ
التعاويذ التي في الكُتبِ
والأعاصيرُ التي ما هدتْ
كشفت في الليل كل الحُجبِ
وأتى النوء بريحٍ صرصرِ
وتوالت غائمات السُّحبِ
دخل الأفقُ على آثارها
في خضمِّ مائجٍ مضطربِ
تحت أنواء ظلامٍ مُطبِقِ
قاذفاتٍ باللظى واللهبِ
ورجال الدين لَمَّا بُرطلوا
من سلاطين الزمان الخربِ

عبدوا المال على الأرض ولم
يسجدوا قط لغير الذهب
حرّموا كل حلال طيب
خلطوا الجِدَّ بهزل اللّعبِ
ثم صلّوا كل يوم مئة
لسلاطين الهوى والطرب
والقرايين التي ما قبلت
دُبْحتْ للرب فوق النُّصبِ
رجع الأخبار عن أقوالهم
وجثا الكهان فوق الرُّكبِ
هكذا كانوا جميعًا دائمًا
فرجال الدين تحت الطلبِ
رفع الجند نشيدًا صامتًا
للقاء القادم المُحتجبِ
ورمًا صُنِعَتْ من ورقٍ
وسيوفا صُنِعَتْ من خشبِ
وجموع الناس لمّا فزعوا
أطلقوا سيقانهم للهربِ
والنواطير نيامٌ بينما
يسرق الثعلبُ حقل العنبِ

* * *

السقوط في سرير الطواشي

سقطت من قديم الزمان
أسلمت نفسها للهوان
تركّت جسمها نُهبَةً
للممالك والتُّركمان
بعدها نضجت واستدار
على صدرها الناهدان
قدّمت نفسها في سرير
الطواشيّ والدَّيْدَبان
رقصت لهما رقصة
العُهر في غنجٍ وافتنان
خلعت ثوب عفتها
قطعةً قطعةً في امتهان
ورمت حليها بعد أن
خلعت قبله الطيلسان
ثم راحت بلا هداةٍ
تتلوى كما الأفعوان

ثُمَّ رَأْسٌ مِّنْكَسَّةٌ
ثُمَّ عَيْنَانِ مَعْصُوبَتَانِ
وَيَدَاهَا مُقَيَّدَتَانِ
إِلَى الْخَلْفِ مَشْدُودَتَانِ
بَاعَدْتُ قَدَمَيْهَا وَنَامَتْ
كَمَا تَسْتَكِينُ الْقِيَانَ
كَشَفَ الْعَبْدُ عَوْرَتَهَا
فَاسْتَجَابَتْ لَهُ فِي ثَوَانِ
حِينَ هَمَّ بِهَا خَشَّ بَتْ
جَسْمَهَا ثُمَّ لَانَتْ وَلَانَ
سَقَطَتْ سَقَطَةً بَعْدَهَا
أَطْلَقَتْ لَهَا الْعِنَانَ
ثُمَّ أَعْجَبَهَا حَالُهَا
فِي هَوَى كُلِّ وَغْدٍ جِبَانِ
بَيْنَ أَحْضَانِهَا نَالَ كُلَّ
الطَّغَاةِ الْبَغَاةِ الْأَمَانِ
نَزَفُوا مَاءَهَا التَّهْمُوا
زَرَعُوا سَرَقُوا الصَّوْلَجَانَ
وَتَتَالَتْ هَزَائِمُهَا
فَإِذَا كُلُّ مَا كَانَ كَانَ

* * *

المزاد

نصب العسكرُ في السوق المزادُ
والمماليكُ يبيعون البلادُ
بدأ البيعُ بفلسٍ واحدٍ
فاغنموا الفرصة في عام الكسادُ
وقف التجار والجنود معاً
ورجال الدين نادوا في المزادُ
وأتى السلطان في موكبه
بارك الله سلاطين الفسادُ
هذه القصة صارت ها هنا
قصةً لا تنتهي حتى تُعادُ
قصة التجار والجنود التي
سَطَّروها بدماننا لا المِدادُ
كل شيءٍ شَحَّ في السوق سوى
الجوع لا ينقص لكن في ازديادُ
جفَّ ماء النيل فيها وأتى
آخرَ العام على الزرع الجرادُ

ومضت سبعُ صعابٍ وأتت
بعدها سبعة أعوامٍ شِدادُ
زرع الناس فلماً حصدوا
جمعوا الفاقة في فصل الحصادُ
بدأ البيعُ بفلسٍ واحدٍ
ورجال الدين نادوا في المزادُ
والطواشيون لماً بُرطلوا
أرجؤوا الأقساط في عقد السدادُ
هكذا بيعت لمن لا يشتري
قسمةً ضيزى وحقٌ لا يعادُ
والمماليك يبيعون البلاد
المماليك يبيعون البلادُ

* * *

صهوة الخيل والنعال

امتطينا صهوة الخيل
على أرض الخيال
وامتشقنا سيفنا المكسور
في وجه الموحال
وجمعنا مالدينا
من رماح ونبال
ومضينا دون هادي
من نضال لنضال
فأتانا النصر بعد
النصر في كل نزال
حمل الرُّوم علينا
فصمدنا كالجبال
ولقينا الفُرس بعد
الرُّوم لكن لم نبال

وجعلناهم عبيدًا
من نساءٍ ورجالٍ
دفعوا الجزيةً أفواجًا
وجاؤوا بالغلالِ
وفتحنا الأرض بالرهبة
من غير قتالٍ
وأقمنا مجدنا الغابر
في كل مجالٍ
مثلما كنا ملوكًا
في ليالينا الخوالي
فامتطينا سهوة الخيل
على أرض الخيالِ
وبنينا في نواحيها
قصورًا من رمالِ

وانطلقنا في الفيافي
صوب آلِ بعد آلِ
فخشينا الرُّخَّ فيها
وأخافتنا السَّعالي
خرج الجِن علينا
من جنوبيِّ وشمالِ
وأفقنا بعد أحقابِ
وأعوامِ طِوالِ
ورضينا بعد لأيِ
بالرضاء عن كل حالِ
فجُلدنا ألفَ سوطِ
وَضربنا بالنعالِ

* * *

آخر ما قال الحاكم بأمره قبل اختفائه

أحسُّ بأنِّي قد جُننتُ ومسنِّي
من الجنِّ مَسُّ قد أضع صوابي
وأن حياتي كلها لم تكن سوى
تهاويل حُلْمٍ مُسرِعٍ بذهابِ
وتسمع أذني في المساء وساوسًا
وأبصر في المرأة وهمَّ ضبابِ
وأحسب أن السُّكْرَ ينهي وساوسي
فأبصر أشباحًا تريد خطابي
يقولون إنِّي قد بلغتْ نهايتي
وشمسُ حياتي آذنتْ بغيابِ
وإنَّهُمُ قتلَى سيوفي وصولتي
يعيشون مثل الآل لَمَعِ سرابِ

فأنذب حراسي وجندي وعسكري
ولا أحد منهم يريد جوابي
فأذكر سلطاني وبأسي وعزتي
وأبكي على عرشي وعض شبابي
وأنى حكمتُ الناس بالسوط والعصا
وضلّ ثوابي فيهم وعقابي
وأسمع صوتًا هاتفًا يسبق المدى
وأعدو وراء الصوت دون إيابِ
سأركض خلف الوهم أستبق الخطى
إلى أن ألقى الحين ساء عذابي

* * *

الرقص فوق المَحْرَقه

أشعر أني بائسٌ
يرقص فوق محرّقه
أرى أمامي هازئًا
مِشْنَقَتِي المُعلِّقه
لم يَبْقَ إلا القهر فوق
أرضِي المُحترِقه
ولم تعد تُخدعني
آمالي المُنسحقه
ولم تعد تُطربني
أشعاري المُنمَّقه
فالحزنُ بين أضلعي
يثور دون شفقه
يسكب سُمانقًا
في خمري المُعتَّقه
يحبس ما بين ضلوعي
صرختي المُختنقه

يملؤني كآبةً
يصهرني في بؤتقه
وكل ما أعيشه
أكذوبةً مُخلقةً
تبعني لعنتها
منطقةً فمِنْطَقَه
والليل بابٌ موصلٌ
أقفاله مُخلقه
أضرب في عرائه
بخطواتي المُرَهَقَه
ولا أرى سكونه
ولا أشمُّ عبقه
قد أصبحتُ ظلماًؤه
تنسج حولي شرنقه
تملؤني وساوساً
وذكرياتٍ قَلِقه

تعقد حولي قيدها
حَلَقَةً فَحَلَقَهُ
وتطفئ النور الذي
في روحي الموثَلِقَهُ
والجنند يطلبونني
والعسكر المُرتزِقَهُ
ويحلمون أن يروا
أشلائي المُمزَقَهُ
ويعرفون دربهم
وسط الدماء المُهرَقَهُ
ويخلقون كل يومٍ
تَهْمَةً مُلقَقَهُ
ويحملون مَعَهُم
مِقْصَلَةً وَمِشْنَقَهُ
ويأخذون من شيوخ
القتل فتوى الهرطَقَهُ
لكنني أهزمهم
بقلمٍ وورقَقَهُ

* * *

الشاعر الصالح

أحلم أن أعيش مثل الجميع
راضياً في عيشة راضية
فربما أخرج من عزلتي
وربما أبرأ من دائية
وقد أكف عن جنوني وعن
بحثي عن نفسي وعن ذاتية
وأعلن الآن لكم أنني
أتوب عن أفكاري العاصية
وعن قصائد الضلال التي
صمّنتها ضلال أفكاريه
وألعن الشيطان إذ ساقني
وعاث في عقلي ووجدانيه
وأسأل الله لسلطاننا
دوام ذي الصحة والعافية
أقنع أن أنال بعد الممات
جنةً قُطوفها دانيه

وَأَنْ أَكُونَ شَاعِرًا صَالِحًا
أَرْضَى بِمَا يَرْضَاهُ سُلْطَانِيَهُ
وَحَيْثَمَا ذَهَبْتُ أَسْعَى لِكِي
أَرْضِي رِجَالَ الْقَصْرِ وَالْحَاشِيَةَ
وَاسْتَسِيخُ مِنْ كَلَامِ الرِّوَاةِ
قِصَّةَ الذَّنْبِ مَعَ الْمَاشِيَةِ
وَأَنْ أُجِلَّ الْفُقَهَاءَ الْعِظَامَ
نَاشِرِي ثِقَافَةَ الْبَادِيَةِ
وَأَنْ أُجِلَّ كُلَّ آرَائِهِمْ
وَأَنْ أَطِيعَ الشَّيْخَ وَالِدَاعِيَةَ
وَأَنْ أُسَمِّيَ الْغَزْوَ فَتْحًا وَأَنْ
أُبَارِكَ الْجَرَائِمَ الدَّامِيَةَ
وَأَنْ أَكُونَ الْعَرَبِيَّ الْأَمِينَ
حَارِسَ الْعَرُوبَةَ السَّامِيَةَ

وَأَنْ أَجِيدَ الشَّجَبَ وَالسَّبَّ
وَالدِّفَاعَ عَنْ أَفْكَارِي الْبَالِيَةَ
كَيْمَا أَعِيشَ فِي سَلَامٍ وَكِي
أَسِيرَ مِثْلَكُمْ إِلَى الْهَاوِيَةِ
وَكَي أَنْوَحَ مِثْلَكُمْ نَادِبًا
حَضَارَةَ الْغَلَامِ وَالْجَارِيَةِ
أَسْتَصْرَخُ الْكُونَ وَأَبْكَي عَلَى
أَنْدَلِسٍ وَأَرْضِهَا النَّائِيَةِ
أَكُونَ قَدْ صرْتُ كَمَا شِئْتُمْ
طَاغِيَةً يَحْكُمُهُ طَاغِيَةَ
ثُمَّ نَصِيرَ فِي هَدْوٍ مَعًا
أَعْجَازَ نَخْلِ كُلِّهَا خَاوِيَةَ
فَرَبَّمَا يَبِينُ لِي كَيْفَ أَخْصِي
الْبَيْتَ وَالرَّوْيَ وَالْقَافِيَةَ

* * *



قصائد من نشيد الاغتراب



النداء المكتوم

يا نداءً عشتُ أكتمه
كاد أن يجري على شفتي
أتحدى الكون في ثقةٍ
بأناشيدٍ مُهَلِّهَةٍ
إنني قد ضعتُ في سكتي
وأنأ أبحث عن صفتي
صرت أشلاءً مُمَزَّقَةً
فوق أشلاءٍ مُمَزَّقَةٍ
لم تَعُدْ تحملني قدمي
وبرى الترحال منسأتي
والأعاصيرُ التي احتدمتُ
أطفأتُ بالريحِ مبخرتي
والبراكين التي اشتعلتُ
أحرقْتُ بالنار أوردتي

يا زمان القهر حتى متى
تكتنم الصرخة حنجرتي
شارحُ للناس فلسفتي
وأنا أجهل فلسفتي
لم أعُدْ أسمع إلا
عويلي وتهويلي وغمغمتي
وصدىً في الليل مرتفعًا
لتراتيلي وهممتي
وكانَّ الكونَ يقرأ لي
سِفْرَ أخطائي المُكْرَرِ
والمدى الملعون مُحتجبٌ
بغِياماتٍ وأبخرةٍ
وأعاصيرٍ مُدممةٍ
حطمتُ في الليل مَرَكبتي

وهـمـومٍ عـشـتُ أحمـلها
مـلأتُ بـالـسُّم أنـسـجـتي
فـإلام السـيـرُ مـنـفـردًا
فـي المـتـاهات المـضـلـلـة
بـخـطـيٍّ مـا عـشـتُ أـقـطـعها
نـحو آـمـالٍ مـضـيـعةٍ
فـي دروبٍ رُحـتُ أسـلـكها
صـوب آفـاقٍ مُقـفـلةٍ
وأمامي أـمـلٌ ضـائـعٌ
بـين آهـاتي وولـوتي
وورائـي عُـمـرٌ ضـيـعـتـه
حـماقتي وعـربـدتي
سـفـرٌ مـن بـعـده سـفـرٌ
فـمـتـى ألقـي بـمـنـسـأتي

* * *

صليب البرحاء

أرهق الفكر أظانيني
وأضناني الرجاء
كل ما في الكون وهمم
كل ما فيه هُراء
لم يعد يُطربني اللحن
ويشجيني الغناء
والأناشيد التي رتلتها
دومًا عُثاء
ولكم مرَّ خريف
ولكم مرَّ شتاء
كلما جاء صباح
تلعن الأرض السماء
كل أيامي سواء
ولياليَّ سواء

وشجونٌ علّمتني
كيف يبكي الشعراءُ
الأسى والحزن
والقسوة فيها والشقاءُ
وانتحابٌ فانتحابٌ
وبكاءٌ فبكاءُ
وخطوبٌ ذكّرتني
أنني طينٌ وماءُ
ولكم ناديتُ لكن
لم يُعُدْ يُجدي النداءُ
والمدى المقطوع وهُمُ
والمدى الآتي خواءُ
فَشَّتِ القسوة فيه
وفشا فيه الرياءُ
ومساءً فصباحُ
فصباحُ فمساءُ

وأمامي الحزن واليأس
ومِن خلفي الفناء
لَمْ يَعْذُ فِي الرَّحْلِ زَادٌ
لَمْ يَعْذُ فِي الرَّحْلِ مَاءٌ
كُنَّا فِي هَذِهِ الْأَرْضِ
جَمِيعًا غُرَبَاءُ
لِلرِّيَّاحِ الْهَوِجِ ضَوْضَاءُ
وَلِلصَّمْتِ عَوَاءُ
لَيْسَ فِي الدَّرْبِ ابْتِدَاءُ
لَا وَلَا فِيهِ انْتِهَاءُ
وَعَلَى ظَهْرِي صَلِيبٌ
نَصَبَتْهُ الْبُرْحَاءُ
قَبْلَ أَنْ يُصَلِّبَ جَسْمِي
نَزَفَتْ مِنْهُ الدَّمَاءُ
وَالسُّرَى الْمَلْعُونِ حَتْمٌ
وَالْأَسَى الْعَاتِي قِضَاءُ

* * *

بلا أملٍ أسير

بلا أملٍ أسيرُ إليك
من حينٍ إلى حينٍ
لترسل لي ملائكةً
تُباركني وتحميني
وتملاً سكتي بالماء
والزيتون والتين
وتدركني إذا طالت
وكاد السير يعينني
أمامي دربي الممتدُّ
أطويه ويطويني
ويُدنيني ويُبعدني
ويُبعدني ويُدنيني
تُضللني مسالكُه
فأضرب في الميادين

وتلفحني هجائره
وبالنيران تكويني
ويبقى من دمي فيها
رماً في شراييني
ومن خلفي زمان الجذب
قد أفنى رياحيني
وصوّح كل أزهارني
وعربد في بساتيني
أسيرُ إليك منهوً
والأمي قرابيني
أجرُّب كل أوجاع
الضحايا والمساكين
وأبكي ثم أبكي ثم
أضحك كالمجانين

ومن حولي نواحي الأرض
مَـلَأَى بِالشَّيَاطِينِ
وأشْبَحُ تَلاحِقنِي
وأطِيفُ تَنادِينِي
تَطاردنِي لتقتلنِي
وتقتلنِي لثُحِينِي
لِيَبْقَى عَقْلِي المَسْجُونُ
فِي مائِي وَفِي طِينِي
وتنبش قلبِي المَحْبوسَ
فِي صَدْرِي فَتُدْمِينِي
تفتش كل أَفكارِي
وتقرأ سِفر تَكوِينِي
وتبحث فِيهِ عَن إِسْمِي
وعن وَطَنِي وَعَن دِينِي
ولكني أَسِيرُ إِلَيْكَ
مِن حِينِ إِلَى حِينِ

* * *

ذبول الأفاعي

ضائعٌ في مجاهل الكون لا
يدري إلى أين سوف يفضي الطريقُ
يلعن الليلَ والنهارَ ويبكي
وهو في لُجَّةِ السرابِ غريقُ
أوَّلُ السيرِ في مدهُ هروبٍ
بين شرٍّ جرى وشرٍّ يحيقُ
يتلظى على لهيبِ خُطاهُ
وهو يعدو فكلُّ نبضٍ حريقُ
يحجب الغيمُ فوقه كُلاً نورٍ
والطريقُ الذي احتواه يضيقُ
ألفُ عامٍ في رحلة التيهِ مرَّت
والمدى بَعْدُ في سُرَاهُ سحيقُ

وتمُرُّ السنون فيه سِراعًا
يتوالى غروبُها والشروقُ
كَبَلَتْهُ الأيامُ شيئًا فشيئًا
بقيودٍ تـؤوِّدُهُ وتَعوقُ
كلما حاولتْ خُطاهُ فكاغًا
أحكمتها فالقيدُ دومًا وثيقُ
يملأ الكونَ في المساءِ بهمسٍ
يتعالى وصوتُهُ مخنوقُ
مِلاءِ سمعِيهِ قهقهاتِ السعالي
وحواليهِ كلُّ جنٍّ طليقُ
أورق الجذبُ في رُؤاهُ زهورًا
ذابلاتٍ قد جفَّ منها الرحيقُ
والطريقُ الذي يسير عليه
مَهْلَكٌ واسعٌ وليلٌ عميقُ

والشظايا التي يمر عليها
خَلَفْتُهُ وفي حشاهُ حروقُ
وهو في محنة الضياع وحيدُ
جسدٌ مُنْهَكٌ وقلبٌ رقيقُ
كثُر الغيمُ دون ماءٍ وهبَّت
دون جدوى رعوده والبروقُ
لم يزل يحمل الهمومَ ويمضي
في مدهاهُ مُستغرِقًا لا يُفِيقُ
شاردٌ في مدالج التيهِ يسري
وهو فيه مُغَيَّبٌ مسحوقُ
حَمَلْتُهُ الدروبَ حِمْلًا ثَقِيلًا
وخطاهُ ناءت بما لا تُطيقُ
عصرتُ جسمه ذبولُ الأفاعي
ورعته حتى تجفَّ العروقُ

* * *

وساوس خريفية

في ذلك الجذب المخيفُ
ووحشة الليل الكسيفُ
أخاف أن يسقط قلبي
مثل أوراق الخريفُ
يمتص مَخلُهُ رُواء
غصني الرطب الوريثُ
تصفر أحشائي ويذروها
الأسى العاتي العنيفُ
وكنت قبلُ حاملاً
من كل زهرة رفيفُ
يجعلني الجذبُ حريقَ
الجوف ظمآن الطُروفُ
يُذبلني لهيبه
أصير شاحباً ضعيفُ

أصبح خائر القوى
يؤودُ ساقِي الوقوفِ
وبعدما يأتي الشتاء
حاملاً بَرْد الحُتوفِ
تكثُر في أيامه
حول وُرَيْقاتي الكُفوفِ
وفي لياليه الطُّوال
يملأ الكونَ العزيفُ
فالحزنُ صاحبُ الدجى
والليلُ للحزن حليفُ
أغصانه يَخْطُ فيها
القَطْر مُبهمَ الحروفِ
يقرؤها في الصبح
والمساء روضه الطريفُ

وبعدھا یمحو سطورھا
بصیّب وکیف
یسخر کانونی السخیف
من حُزیرانی اللطیف
مهما طغت أشجان نيسان
فوطؤها خفيف
وعُمُرُ أتراحى به
عن عُمُر زهري لا يُنيف
لكن أحزان الشتاء
ريحها عاتٍ مخيف
ما بين صبحٍ باهتٍ
وليل أحزانٍ كثيف
أعيش عُمُرِي لا أرى
كالليل جبارًا كفيف

* * *

كان يُغني

شاعرٌ كان يغني
في هـدوءٍ وسكينته
هدّه الكُرهُ من الناس
وأعيتهُ الضغينه
باحثٌ عن أملٍ تاهَ
على أرضٍ حزينه
قد أضلته خُطاهُ
في دهاليز المدينه
سالكٌ كلَّ دروب
اليأس في الأرض اللعينه
ثم داسته نعالُ
الناس بُغْضًا وضغينه
جسمه صار سجينًا
نفسه صارت رهينه

وغدا يبحث عنها
وهو لم يفقد سكونه
سأل الناس فردوه
وقد ظنوا جنونه
وأتى الليلُ وقد
عانى شجاءه وحنينه
وأتى الصبحُ وقد
زاد بلاهً وشجونه
يسأل الأيامَ والأيامَ
بالرد ضنينه
ومضى يُنشد شعراً
ردد الكونُ رنينه
صاغه من وحي
أحزانٍ وآلامٍ دفينه
وإذا ضجَّ بشكوى
رجَّع الليلُ أنينه

* * *

خَلَفَ القَوَافِي

إلى متى أنت تسعى
خلف القوافي العنيدَه
تسير من غير هَديِّ
مُهرولًا كالطريدَه
تجوب تيهًا فتيهًا
نحو المعاني الجديدَه
تصوغها في أناءٍ
أنشودةً أنشودةً
يعصيكَ معنىً عنيدٌ
لم تستطع تحديدهُ
ولستَ تياسُ منهُ
حتى تُقيمَ عمودهُ
وعندما تتخطى
حواسِّكَ المحدودهُ

يكون قد بلغ الفِكرُ
ما اقتضته القصيدة
وحينها تتراخي
أعصابك المشدودة
فاهدأ قليلاً ورفقاً
بروحك المهدودة
فالقلبُ ظمآنٌ صادٍ
والروحُ صرعى شريده
والماءُ عذبٌ فراتٌ
لا تستطيع وُروده
وأنت تمضي وتمضي
في سكةٍ مرصودة
وتزرع الخيرَ فيها
ولست تجني وُروده
حسبتَ أنك تدنو
من جنةٍ مفقودة
الطهر والحُب فيها
والرحمة الموعودة

ولا تراها ولكن
تظنها موجوده
وما أضعت كثير
وما مضى لن تعيده
وما أردت وحققت
في غدٍ لن تريده
ما زلت تحلم دومًا
بالأمنيات البعيدة
تظل تشواق للفجر
والظلال المديدة
وكم أصابك جرح
لم تستطع تضميده
وقد حثت الخطى في
دروبك المسدود
والأفق يُنذر بالشؤم
والليالي الشريده
تسير فيه وتجتاز
مُنتهاهُ وبيده

وحاصرتك أفاعيه
والمسوخ المريدَه
ولست تفزع منه
ولا تخاف وعيدَه
تجوبه لست تخشى
بُروقَه ورُعودَه
والصيفُ صار شتاءً
يُذيب فيك جليدَه
تسرَّبت منك فيه
أيامك المعدودَه

* * *

اعتراف

عانيتُ بَعْدَكَ من جوعٍ ومن ظمأٍ
وجفًّا مائي ودَبَّ المَحْلُ في كَلَّي
تعثرتُ قَدَمي من طول ما ركضتُ
في سكة البَحْث عن ظلٍّ ومُتَّكأٍ
خَلَّفْتَنِي لِبُغَاث الطير يأكل من
زادي ويُلقى بقاياهُ على الجِدِّاءِ
وللخفافيش في الظلماء تطرقي
وتستبيح حِمى نَفْسي على المَلَأِ
وللأفاعي التي قد مزَّقت رِئتي
وأرسلتُ سُمها في جوفِي الصدى
أظل أعدو وحيدًا في غياهبها
أستخبر الليل والأفلاك عن نبأ

أمضي أنقل أعضاء مُمَزَّقة
 من طول ما خَوَّضْتُ في بركة الحمأ
 وها أنا ذا غريقٌ ضاع مَرَكِبُهُ
 في زاخرٍ من بحار الظن مُمْتَلِيءٍ
 أحصى النجومَ التي من حولي انطفأت
 قبل انطفائي أنا في سيرِي اللَّكِيءِ
 أصحو وأغفو ولا ريٌّ ولا ظمأً
 على رمادٍ مُمْتَلِيءٍ كالفحم منطفئ
 أصحو وأغفو ولا ريٌّ ولا ظمأً
 وكلُّ ما أَمَلْتُهُ النفس لم يجيء
 طريدةً في فضاء الأرض منفردً
 أضيِّع العُمُرَ بين الجوع والصدأ
 أسير فيها على الأشواك منعزلاً
 والشمس مُحْرِقَةٌ تَرَوِي على ظمئي
 ما زلتُ أركض والواحات نائيةً
 حتى رجعتُ بقلبٍ متعبٍ هَرِيءٍ

حَمَلْتُهُ فِي مَسِيرِي فَوْق طَاقَتِهِ
وَعُدْتُ أَحْمَلُ مِنْهُ شِلْوُ مُهْتَرِيءِ
قَدْ حَاصَرْتَنِي وَحَوْشُ الْأَرْضِ وَاعْتَنَمْتُ
أَنِي وَحِيدٌ هُنَا فِي عَالَمِ الْوَبَاءِ
أَسْتَنْشِدُ الصَّبْحَ وَالْآفَاقَ أَغْنِيَةً
فِيُنْشِدُ الْكَوْنَ حَوْلِي قِصَّةَ الْخَطَا
أَعُودُ مِنْ حَيْثُ جِئْتُ الْآنَ لَا عَجَبٌ
أَنْ أَشَبَّهَ الْمُنْتَهَى فِي السَّيْرِ مُبْتَدئِي
وَكَلَّ شَيْءٍ غَدَا سَيَّانٍ فِي نَظْرِي
فَاللَّيْلُ مِثْلُ الضَّحَى وَالسَّقْمُ كَالْبُرُؤِ
فَأَعْيُنِي غَيْرَ هَذَا الْآلِ مَا نَظَرْتُ
وَأَرْجُلِي غَيْرَ هَذَا التَّيِّهِ لَمْ تَطَّأِ
فَلَا أَبَالِي إِذَا مَا سِرْتُ دُونَ عَصَا
أَوْ هُدَّهْدِي مَاتَ أَوْ إِنَّمَا أَجِدُ سَبئِي
لَا ظِلٌّ لِي غَيْرَ مَا قَدْ كُنْتُ تَبْسِطُهُ
وَلَيْسَ إِلَّا عَلَى زَنْدَيْكَ مُتَّكئِي

* * *

الشاعر المجنون

اسخروا من هواجسي وظنوني
واهزؤوا من عذاب قلبي الحزين
أنا ما بينكم غريبٌ وحيدٌ
شاردُ الفكر مُستطارُ الظنونِ
فأريقوا إذا أردتم دمائي
واصلبوني على صليب الجنونِ
قد تحررتُ من إساري ولكن
لا تزالون في إسار الطينِ
أنا سَفْرُ الحنين في الأرض يُتلى
بعد سَفْرِ الخروج والتكوينِ
كل حزن السماء والأرض لا
يعدل حزني ولا يساوي شجوني
لي ثلاثون حجةً في عذابِ
بين وطاء الأسي وحزني الدفينِ

كم أنادي ولا يرد ندائي
غير صمت المدى ورجع السكون
أعبر الدرب في الظلام ولا
يصحبني غير أدمعي وأنيني
أنا في ذلك الطريق طريق
لست أدري إلى متى يحتويني
قاطعًا دورة المسير التفاقًا
حول نفسي وسرها المكنون
ضاربًا في العراء أتلو نشيد
الجوع والبرد والظما والحنين
مثقل الخطو مستهائمًا كئيبًا
لا ملاذ من شره يحميني
أتحدى الحياة في كل صوب
باحثًا عن يقينها ويقيني
كلما جئت موردًا رحمت كي
أنهل من مائه فلا يُرويني
عنكبوت الظلام عَشَّش حولي
ناسجًا خيط بيته الملعون

وحواليّ ألف جنّ مريدٍ
وشياطينُ كُلهَا تلتقيني
وإذا ما أتى الشتاء وعمّ
البردُ والغيمُ في الفضاء اللعينِ
يصبح البردُ صورةً من كياني
والهزيمُ الذي يُدوّي رنيني
كان كانونُ موطني وإذا بي
سرتُ من كانونٍ إلى كانونٍ
وورائي تسعى إليّ السَّعالي
والأفاعي بسُّمها ترميني
لم تزلْ تقرأ الأساطيرَ من حولي
وتحكي حكاية التُّنينِ
فاسخروا مثلما تشاؤون مني
وصفوني بالشاعر المجنونِ

* * *

قَلَق

قَلَقُ مَا بَعْدَهُ قَلَقُ
وَحَيَاةُ كُلِّهَا أَرَقُ
رَحْلَةٌ لَا تَنْتَهِي أَبَدًا
وَالْمَدَى الْمَلْعُونُ مَنْغَلَقُ
وَدُرُوبٌ لَسْتُ أَعْرِفُهَا
وَحُطَيٌّ فِي التَّيْهِ تَنْطَلِقُ
وَهِيَ تَزْدَادُ مُقَاوَمَةً
كَلِمَاتِ هَوِي وَتَنْزَلِقُ
وَأَسَاطِيرُ مُكَرَّرَةٌ
وَحِكَايَا كُلِّهَا مَالِقُ
فِي مَتَاهَاتٍ مُضَلَّلَةٍ
مَا لَهَا شَكْلٌ وَلَا نَسَقُ
وَأَعَاصِيرَ مُدْمِئَةٍ
يَخْتَفِي مِنْ وَطْئِهَا الْأُفُقُ

هَارِبًا مِنْ عَالِمٍ زَائِفٍ
كُلِّ مَا يَحْوِيهِ مُخْتَلَقٌ
رَحْتٌ أَجْتَازُ مَسَالِكَهَا
خَلْفَ مَنْ مَرُّوا وَمَنْ سَبَقُوا
خَلْفَ مَنْ جَاءُوا كَمَا ذَهَبُوا
وَوَطَوْتَهُمْ بَعْدَهَا الطُّرُقُ
مَنْ أَضَلَّتْهُمْ خُطَاهُمْ وَمَنْ
عَبَدُوا الْوَهْمَ الَّذِي اخْتَلَقُوا
وَاسْتَبَانَتْ لِي حَقِيقَتَهُمْ
وَبَغِيرِي صَرْتُ لَا أَثَقُ
مَنْ رَجَالَ كُلِّهِمْ صَوْرٌ
وَنَمُورٍ كُلِّهَا وَرُقٌ
سِكَّةٌ وَحَدِيدٍ سَاقَطَعَهَا
حَيْثُ لَا نُورٌ وَلَا عَبَقٌ

كاتمًا في ظلماتِ الدُّجى
صرخةً في الصدرِ تختنقُ
حاملاً قلبًا مهيض القوى
لم يَعُدْ في عُمُرِهِ رَمَقُ
أَكْمِلِ السَّيْرَ بلا هُدَاةٍ
وهو بالأحزانِ يحترقُ
لست أدري هل براني السُّرى
أم براني اليأس والقلقُ
ووراء الآل ما أبتغي
عالمٌ بالنورِ مُؤْتَلِقُ
وأحسُّ الخطو لا أرعوي
كلما يدنو لي الألقُ
ربما يتلو النهارُ الدُّجى
ولعل الفجرِ ينبثقُ

* * *

السَّوافي الهُوج

صَرَخَاتُكَ قَدْ صَارَتْ أَشْلَاءَ
تَتَبَعَثَرُ فِي كُلِّ الْأَنْحَاءِ
أَمَالُكَ ضَاعَتْ مُذْ زَمِنِ
وَشَرِبْتَ كَوُوسَ الْيَأْسِ مِلاءَ
وَالْقَلْبُ الْخَافِقُ فِي صَمْتِ
قَدِمَاتِ أَسِيرًا فِي الْأَحْشَاءِ
كَمْ عَشْتِ عَلَى الْأَوْهَامِ وَكَمْ
لَبَّيْتَ نَدَاءَ بَعْدِ نَدَاءِ
لِتَضِيعِ لِيَالِي الْعُمْرِ سُدىً
وَيَمْرَ شَتَاءٍ إِثْرَ شَتَاءِ
اللَّيْلِ طَرِيقُ تَقْطَعُهُ
وَالصَّبْحُ سَرَابٌ فِي الْأَرْجَاءِ
سَكَكَ لَا تَشْبِهُهَا سَكَكَ
تَتَشَابَهُ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ
تَتَمَاثِلُ كُلُّ مَجَاهِلِهَا
وَسَوَاءٌ كُلُّ الطُّرُقِ سَوَاءِ

والكونُ أمامك ممتدٌ
لكنَّ وجودَكَ فيه هباءٌ
لا معنىَّ حولك تفهمهُ
وهُراءُ كلِّ القولِ هُراءُ
كَمْ صغَتْ نَشِيدًا تِلْوَ نَشِيدِ
بَدَدَهُ صَمْتُ الْأَصْدَاءِ
وحملتَ رحالكَ في صمتٍ
لتجوب الأرضَ صباحَ مساءً
أَيَّانَ ذهبَتِ غدتَ تَعْلُو
من حولِكَ أصواتُ بَلْهَاءِ
من تِيهِ سَرتَ إِلَى تِيهِ
ومن الصَّحراءِ إِلَى الصَّحراءِ
أَقْدَامُكَ فِيهَا قَدْ خانتَكَ
لتسقطَ من طولِ الإعياءِ
وخطاكَ بلا هَدْيٍ صارت
أخطاءٌ تتلوها أخطاءُ

تتسارع تحتك حين تفر
من الرّمضاء إلى الرّمضاء
قد عشت غريبًا مقهورًا
وحملت بلاءً بعد بلاء
ودماؤك سالت في الطُّرقات
ونوّحك يملأ كل فضاء
ظلماتٌ تحجب عنك الشمس
وغيمٌ يحجب كل ضياء
وتثور عليك عواصفها
وتهب سوافيها الهوجاء
مجنونٌ أنت ولا شك
تتحدى العالم والأحياء
وتحاول أن تحيا حرًا
وتعيش حياتك دون رياء
وتمرُّ الشُّدة إثر الشُّدة
بعد عناءٍ إثر عناء
والموتُ مصيرٌ محتومٌ
والجذبُ تمكّن في الأنحاء

* * *

الدرب الأخير

أمضي على الدرب الأخير
أبكي وأضحك من مصيري
أمضي أحتُّ حُطًى كِسَاحًا
في دُجى الليل الضريرِ
وأروح كي أستشرف
الآمال بالبصر الحسيرِ
الصبحُ ناءٍ عن مدايِ
وإن حثتُ له مسيري
والأفقُ مُغْبَرٌ كئيبِ
الوجهِ مشؤوم السُّفورِ
نسي ابنُ آدم أنه
قد صيغ من طينٍ حقيرِ
والكونُ أفسدُهُ الخنا
والأرضُ عَجَّتْ بالشرورِ

وكأنما برد الشتاء
وثلجته سَكنا ضميري
فغدوتُ أحيًا كالجماد
بغير روحٍ أو شعورِ
هَبَّتْ عواصفُ عاتياتُ
هَدَمَتْ بالريحِ دُوري
ورمتني الريحُ العَتِيَّةُ
بالشظايا والصخورِ
وغزت سَمائي بالضباب
وهيَّجتُ كُلَّ البحورِ
وأتى ظلامٌ لم تَذرُ
جَنَبَاتُهُ نُقْبًا لنورِ
تشدو الليالي في الدُّجى
أُنشودةَ اليأسِ المريرِ

والحزنُ يسكنُ في الحشا
والياسُ يسكنُ في الصدورِ
كُلُّ الدروب تشابهتُ
وتشابهتُ كُـلُّ العصورِ
ليضيع منِّي العُمُرُ لا
أدري السنين من الشهورِ
أمضي ويحدوني الرجاءُ
من السعيرِ إلى السعيرِ
وأروح أُحصي ما الذي
أبقيتُ من عُمرِ القصيرِ
وكانمالي قصةً
في مسرح الكون الكبيرِ
حتى تحين نهايتي
بنهاية الفصل الأخيرِ

* * *

أَرْضِ الْمَعَادِ

إِسْكَندريَّةُ يَا عَرُوسَ
الْبَحْرِ يَا أَرْضَ الْمَعَادِ
أَنَا فِي فِرَاقِكَ عَاشِقٌ
تُضْنِيهِ أَلَامُ الْبِعَادِ
وَتَكَاثَرَتْ أَحْزَانُهُ
كَالنَّارِ مِنْ تَحْتِ الرَّمَادِ
مَا زَالَ يَمْضِي فِي الطَّرِيقِ
وَلَيْسَ يَدْرِي مَا اسْتَفَادِ
طَالَ التَّغْرُبُ وَالْغِيَابُ
وَلَمْ يُحَقِّقْ مَا أَرَادِ
وَإِذَا رَجَعْتُ إِلَى ثَرَاكِ
فَإِنْ لَسْتُ لِيهِمْ ارْتِدَادِ

حَمَلْتَنِي ثِقَلَ الْهَوَى
فَتَخَذْتُهُ فِي الْقَلْبِ زَادُ
لَمَّا أزلُ أَحْيَا عَلَيْهِ
وَلَيْسَ يَدْرِكُهُ النِّفَادُ
أَنَا مُذْ تَرَكْتُكَ مَا هَدَأْتُ
وَلَمْ أَذُقْ طَعْمَ الرِّقَادُ
وَحَمَلْتُ وَعَثَاءَ السِّنِينَ
وَعَشْتُ أَيَّامًا شِدَادُ
وَذَهَبْتُ وَحَدِيَّ شَارِدًا
بَلْ هَائِمًا فِي كُلِّ وَاذُ
وَتَرَكْتُ رُوحِي فِي ثِرَاكِ
وَرَحْتُ أَضْرِبُ فِي الْبِلَادُ

يا منتهى أملي ويا
مهّد التمرد في الفؤاد
لم أجن من هذا السرى
إلا سُهادًا وانفراد
يا قصةً بين الحشا
بالدمع تُكتب لا المِداد
فيها الترحل والرجوع
تتابعاً فصلاً مُعاد
يا رحلةً لا تنتهي
إلا بعودة سندباد

* * *



رُبَاعِيَاتُ الزَّمَانِ الرَّدِيِّ



رُبَاعِيَاتِ الزَّمَانِ الرَّدِيِّ

اِخْتَلَطَ الْحَابِلُ بِالنَّابِلِ
فَأَصْبَحَ الْعَالِمُ كَالْجَاهِلِ
انْتَبَهُوا فَكَلِّمُوا غَافِلًا
وَالْمَوْتُ عَنْكُمْ لَيْسَ بِالْغَافِلِ

* * *

الْعَاقِلُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ
يَحْيَا صَرِيحَ الْحُزْنِ وَالْيَاسِ
تَرَاهُ مَا بَيْنَهُمْ شَارِدًا
يَضْرِبُ أَخْمَاسًا بِأَسَدَاسِ

* * *

إِبْلِيسُ مِنْ نَارٍ وَجَبْرِيلُ نَوْرُ
وَأَدَمٌ مِنْ طِينِ أَرْضٍ حَقِيرِ
عَنَاصِرُ قَدْ حَارَبَتْ بَعْضَهَا
وَجَلَبَتْ لِكُلِّ الشَّرُورِ

* * *

يعيش من يغترُّ في العالمين
مُصعِّراً من خدهِ والجبين
مهما علا الإنسانُ في قَدْرِهِ
يجذبهُ للأرضِ ماءً وطينُ

* * *

بين المَجَرَّاتِ وبين الجُرومِ
تُولدُ أنجَمٌ وتفنَى نجومُ
تسيرُ أفلاكُ وفي سيرها
توجدُ أسبابُ الشقا والنعيمِ

* * *

قد خُط ما جنيتهُ قي كتابِ
يقرؤه الرحمن يومَ الحسابِ
سطورهُ خُطَّتْ بآلامنا
لكنما مِدادُهُ من عذابِ

* * *

يا نائمًا والنومُ موتٌ قصيرُ
لا فرقَ بين مهدنا والحفيزِ
تُبعثُ في الصباحِ أرواحنا
كأنما اليَقظةُ هذا النُّشورُ

* * *

مثلُ الحديدِ المرءُ في محرَقه
تَضهرُهُ آمالهُ المُحرَقه
ما بينها وبين أيامه
يصارعُ السُّندانَ والمِطرَقه

* * *

يسعى الفتى لغايةٍ مُهلِكه
حتى إذا ما سعيُّه أهلكه
يموتُ ربُّ الدُّفِ في غيِّه
ميتةً ربُّ السيفِ في المعرَكه

* * *

عجبتُ للسُّلافِ رَوْقَتُها
وفي ظلامِ القَبو عَتَّقَتُها
وكلما ضُبِتْ بكاساتنا
يسطع في الزجاجِ ياقوتُها

* * *

نعيش بين الذلِّ والكبرياءِ
وبين عقلنا وبين الغباءِ
نصارع الأضداد في نَفْسنا
وينتهي العيش بنا للَفناءِ

* * *

جئت لأمر لست أدريه
لكنني وحدي أقاسيه
قد عشتُ عُمري فيه مستغرقًا
وسوف أمضي حائرًا فيه

* * *

النَادِبُ الحَزِينُ مِثْلَ الطَّرِبِ
كِلَاهِمَا مِنْ ضِدِّهِ مُقْتَرِبُ
قَدَمَاتٍ بِالعَوِيلِ أَهْلَ البِكَاءِ
وَمَاتَ بِالسَّرورِ أَهْلَ الطَّرِبِ

* * *

النَّاسُ صَارُوا مِثْلَ إِبْلِ مِئَةٍ
تَشَابَهُوا فَكُلَّهُمْ فِي فِئَةٍ
اِخْتَلَفَتْ فِي الخَلْقِ أَشْكَالُهُمْ
وَاتَّفَقُوا فِي الشَّيْمِ السَّيِّئَةِ

* * *

أَصْحُ لُصُوتِ الدِّيكِ عِنْدَ السَّحَرِ
كَأَنَّهُ فِينَا رَيْنِ القَدَرِ
صَاحُ لِمَنْ نَامُوا لَهُمْ قَائِلًا
مَاتَ الظَّلَامُ هَاهُنَا وَانْتَحَرَ

* * *

قد شكر الناس صنيع السماء
وأكثرُوا من مدحها والدعاء
واختلف الجميع في دينه
ما بين ما جاء به الأدياء

* * *

أقول للناسك في الصومعة
أسأت فهم الدين يا إمعة
إن كان قد أفزعه عيشنا
فعيشه أولى بأن يُفزعه

* * *

قد يَجْمُل الإنسان في وجهه
لكنَّ حُسن المرء في كُنْهه
يُعجبني الطاووس في شكله
لكنني أنفر من تيهه

* * *

قد جَمَلْتُ حواءَ من شكلها
وبالغتُ في المشي من دلِّها
وأظهرتُ زينتها للورى
لكنها ظَلَّتْ على جهلِها

* * *

أشْبَهُ النملة في رعيها
بهذه المومس في سعيها
قد شابهتُ ذي تلك في جهدها
وخالفتُ ذي تلك في بغيها

* * *

لا فرق بين مومسٍ أو حَصانٍ
كلتاهما في الأرض كالأفعاون
لا تصرع المرءَ بانيابها
لكنها تصرعه باللسان

* * *

أعجبُ من حواءَ في بائها
نصفُ كيان المرء من مائها
لا أعشق المرأة لكنني
أبحث عن نفسي بأحشائها

* * *

ما أتعس المرء وما أضيعه
أيامه تمضي به مُسرعه
لابد للإنسان من رقدة
ينام فيها جاهلاً مضجعه

* * *

عجبتُ من نفسي ومن أمرها
وحرْتُ طول العُمُر في سرها
فتارةً أعجبُ من خيرها
وتارةً أفزعُ من شرها

* * *

حواءُ أُمِّي وَأَبِي آدَمُ
وَالطَّيْنُ مِنْهُ عَنصْرِي الْآثَمُ
لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ صِرَاعُ فَمَنْ
فِي دَاخِلِي لَضَدِّهِ هَازِمٌ

* * *

إِبْلِيسُ ضِجُّ مَنْ فَعَالَ الْبَشَرُ
قَدْ نَافَسُوهُ فِي الْخَنَا وَالْأَشْرُ
تَفُوقُ الطَّيْنُ عَلَى نَارِهِ
لِيَمْلَأَ الدُّنْيَا فِسَادًا وَشُرُ

* * *

قَدْ حَرَّتْ فِي أَمْرِ الضَّحَى وَالْمَغِيبِ
كَلَاهِمَا لِدَيٍّْ أَمْرٌ غَرِيبُ
فَقُلْ لِمَنْ يَرِيدُ مِنَّا الْبَقَا
الشَّمْسُ أَحْرَانَا بِأَلَا تَغِيبُ

* * *

لا تترك الفرض لكره الصلاة
لكنها قد فُرضت للعصاة

قد يئسوا من عفو رحمانهم
فَعَفُّوا أنوفهم والجِباة

* * *

يا نادبًا من قد ثوى في الحفيرِ
موتُ الغنيِّ مثل موت الفقيرِ

اختلف الأنام في عيشهم
لكنهم تشابهوا في المصيرِ

* * *

آدمُ كان مثلنا عاجزا
ضيِّع ما كان به فائزا

أغرته حواء بما قد غدا
كل عجبٍ بَعْدَهُ جائزا

* * *

يا باكيًا على أخٍ أو خليلٍ
نَفْسُكَ أُولَى بالبكا والعويلِ
عُمْرُكَ هَذَا كُلُّهُ سَاعَةٌ
فلا تُضَعِّها في البكاء الطويلِ

* * *

أقول للزاهد في عزلته
أشبهت إبليسَ على خسِّته
يئستَ من رحمة مَنْ عَفُوهُ
يُطْمَعُ مَنْ يعصيه في رحمته

* * *

قد عبد النارَ غُلاةَ المجوسِ
وكلهم في الغيِّ أضحى يجوسِ
قد حسبوا في نورها قوَّةً
فطأطؤوا الهامَ لها والرؤوسِ

* * *

العمر كنزٌ كُلُّهُ مِلْكِيَّةُ
أَنْفِقْهُ كَمَا اقْتَضَى عَيْشِيَّةُ
حتى إذا أدركتُ شيخوختي
أحصيتُ كم أنفقتُ من كَنْزِيَّةِ

* * *

جئنا لأمر ليس منه خلاصٌ
ولو بلغنا في الفرار النَّصَّاصُ*
نعيش في الدنيا على رغبنا
ونبحث العُمَرَ لنا عن مناصُ

* * *

لا أملٌ في سعيكم لا أملٌ
حدتم عن الحق بشتى النَّحَلِ
وكلكم في رأيهِ جاهلٌ
وليس يدري أنه قد جهلُ

* * *

* النَّصَّاصُ: بلوغ أقصى سرعة للجري.

عجبتُ من أحمقٍ قد بايعوه
وفي جميع أمرهم طاعوه
حتى إذا ما ظن في نفسه
عقلاً وفي نفوسهم صافعوه*

* * *

قد بالغ المجوسُ في غيِّهم
وجاوزوا الحدودَ في بغيهم
وكل ما في الكون من حاجةٍ
للنور والظلمة في رأيهم

* * *

نمضي ولكن ما لنا من مآبٍ
يأكلنا طعامنا والشرابُ
ما أتعسَ الإنسانُ في سعيه
فكلُّ ما يجمعه للترابُ

* * *

* كان الصُّفَاعُ أو المصافعة من لعب اللهو بين المُجَانِ في العصر العباسي فكانوا يتصافعون أي يصفع بعضهم بعضاً للمزاح.

المرءِ مِقْوَالٌ فدعهُ يقولُ
كلامُهُ خَاوٍ كجوفِ الطَبْوَلِ
حادٍ عنِ الحقِّ وعنِ دربهِ
وحادٍ عنِ فطرتِهِ والأصوَلِ

* * *

أرواحُنا الخمرُ ونحنُ الدُّنَانُ
قد عَتَقْتُ فينا لأمرٍ فكَانُ
في كلِّ يومٍ قَدْرُهَا ناقصٌ
تخرجُ معَ أنفاسنا كالِدُّخَانِ

* * *

تزوجِ الداءُ الردى وانتظِرِ
ليكتبِ الدهرُ كتابَ المَهْرِ
الزيجةُ النَّكْرَاءُ يا ويحها
قد أنجبتُ كلَّ رُفَاتِ البَشْرِ

* * *

يا راقداً ودهرُهُ صاحي
صريعَ أحزانٍ وأتراحِ
لا تنه ساقِي الخمر بل قُلْ لَهُ
قُمْ واملأ الأقداح يا صاحِ

* * *

عجبتُ للبخيلَ لم يثنيه
أنَّ الذي حصَّلَ لم يُغنيه
فكم بني بانٍ وما شادهُ
آلٍ إلى آخرَ لم يبنه

* * *

بالمال يسمو المرء في أهله
رغم الذي يبين من جهله
ويصبح السيّد في قومه
من كان لا يُعرف من بغله

* * *

عاش أبو العلاء في حبسه
عيشةً من ثار على جنسه
لم يجن بعده على غيره
يكفيه ما جنى على نفسه

* * *

أرواحنا حبيسةً في زجاج
قد أحدثت فيه مئات الشجاج
والموت مثل الوحش في إثرنا
وكلنا من بطشه غير ناج

* * *

يا واضع الخمر على المائدة
أيامنا زائلةً بأئدته
الخمر مكرهٌ ولكنه
في ليل كانوا له فائدته

* * *

نظرتُ يومًا في الظلام المديدُ
كأنه عَفْرِيْتُ جَنِّ مَرِيدُ
بين جناحه وأرواحنا
علاقةُ فإن طـوَاهُ نبيدُ

* * *

اجتمعوا على القلى والدَّخَنُ*
وافترقوا في كل أمرٍ حَسَنُ
قد عاش بالرياء أهلُ القُرى
وعاش بالتدليس أهلُ المُدنُ

* * *

من يرزق العصفورَ في عشِّه
لا يرزق المحتالَ من غشِّه
ما أنفعَ المالَ سوى أنه
لا يصحب الإنسانَ في نعشِه

* * *

* الدَّخَنُ: الفساد.

تأمل الطيورَ فوق الغصونُ
وما يثير شدوها من شجونُ
إن كان في غنائها متعةً
فإن فيها بهجةً للعيونُ

* * *

أريد أن أرجع طفلاً بريءً
يذهب بي حُلْمٌ وحُلْمٌ يجيءُ
قد بقي الكونُ على حاله
ونحنُ أبلانا الزمانُ الرديءُ

* * *

نظرتُ للسماء عند المغيبِ
أريدُ أن أكشف سرَّ الغروبِ
رأيتُ كيف الشمسُ تغفو وكيف
يدرك الضياءُ فيها اللُغوبِ

* * *

انظرُ إلى البحر وشطآنه
واسمغُ صُراخِ موجِ خُلقانِه
فلن يجيء الفجر حتى ترى
ما خُط في رمالِ شطآنِه

* * *

الليلُ والنهارُ مثلُ البَشْرِ
بينهما في الكونِ كَرٌّ وفرٌّ
كلاهما ينال مِن ضدهِ
ويملاً الدنيا صراعاً وشرّاً

* * *

أنهكني ركضي خلف السرابِ
وعُمري الذي تقضى اغترابِ
بدأتُ فيه رحلتي يافعاً
ولم أعُد حتى أضعُ الشبابِ

* * *

زلزلةٌ في إثرها زلزلةٌ
بَلْبَلَةٌ من بعدها بَلْبَلَةٌ
إن حياتي كُلُّها محنةٌ
آخرُها مشابهٌ أوَّلُه

* * *

ما أشبهَ الدنيا وأربابَها
بمومسٍ تقتل أحبابَها
تخدعهم بالدَّلِّ والغَنجِ كي
تغرز في قلوبهم نابَها

* * *

قد حرتُ في شأنِ الورى والخلودِ
نفوسهم تحلم ألا تبيدُ
انطفأ النجمُ ولمَّا تزلُ
صورتهُ باقيةً في الوجودِ

* * *

مَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ أَنْ يَنْطِقًا
لَمْ يُؤْتِهِ الْحِكْمَةَ وَالْمَنْطِقًا
فَعَاشَ فِي الدُّنْيَا بِلَا غَايَةٍ
وَوَظَلَ فِي الْأَوْهَامِ مُسْتَغْرِقًا
* * *

مِثْلِي ذَا الطَّائِرُ فِي سَجْنِهِ
يُغَالِبُ الْأَحْزَانَ فِي فَنِّهِ
يَشْدُو فَيُشْجِي النَّاسَ لَكِنَهُ
يَحْلُمُ أَنْ يَشْدُو عَلَى غَصْنِهِ
* * *

أَصْخُ إِلَى الرَّعْدِ الْقَوِيَّ الشَّدِيدُ
وَانظُرْ إِلَى الْبَرْقِ وَرَاءَ الْحُدُودِ
فَالْبَرْقُ مِنْ حَيَاتِنَا صُورَةٌ
وَالرَّعْدُ فِي الْكُونِ رَنِينَ الْوُجُودِ
* * *

لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَلَا آلِهَا
يُضِلُّ النَّاسَ سَنَا آلِهَا
يَفُوزُ بِالرَّاحَةِ فِي عَيْشِهِ
مَنْ يَعْشُقُ الدُّنْيَا عَلَى حَالِهَا
* * *

يغرد العصفورُ فوق الشجرِ
ويرقد الدودُ سجين الحُفْرِ
كلاهما بعيشه قانعٌ
قد اطمأن بألئه واستقر

* * *

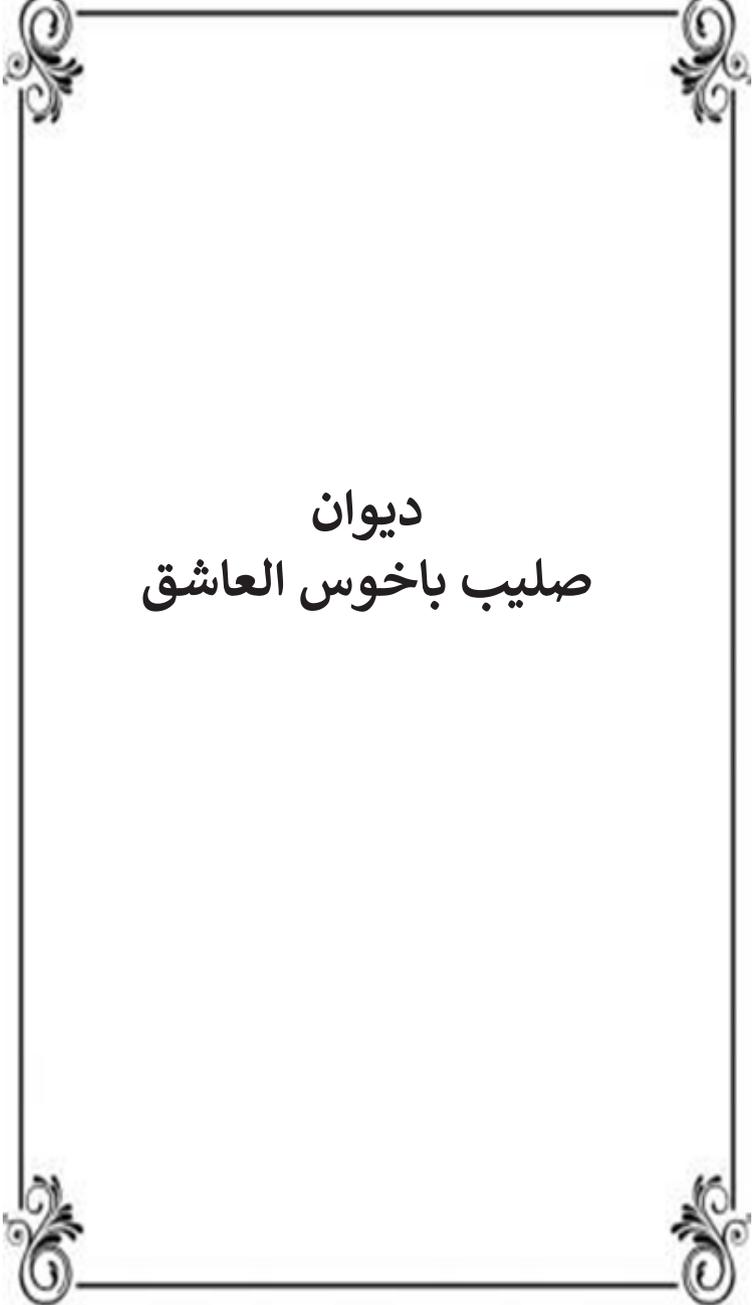
تصوّف الناس وعافوا الملاذ
لم يلبسوا قطنًا ولا بُرد لاذٌ*
ونفُسهم للشرميَّالة
فما لهم من مهرٍ أو ملاذ

* * *

عجبتُ للشاعر بين الأنام
يحيا صريعًا للهوى والغرام
فشأنه في صبحه شأنهم
لكنه في ليله لا ينام

* * *

* اللاذ: ثياب من الحرير.



ديوان
صليب باخوس العاشق

ديوان

صليب باخوس العاشق

صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام 2022

عن مركز الحضارة العربية بالقاهرة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٢/٢٢٧٩٤

ISBN 978-977-496-580-7

إهداء

إلى العقولِ الحرةِ والقلوبِ الحائرةِ

إلى الإنسانِ حُرّاً حائرّاً

قلِّقاً باحثاً عن الحقيقةِ

ساعياً إلى العدلِ

طالباً للحريةِ



هكذا دارت الدائره
وانتهت حربنا الخاسره
وانتصرنا على نفسنا
في اناشيدنا الهاديه



سقوط الأقنعة

(2013)

سَقَطَتْ كُلُّ أَقْنَعَتِكَ
فَاذْهَبِ الْآنَ فِي سِغَاتِكَ
بِالزَّبِيْبَةِ فِي جَبْهَتِكَ
وَالْخِضَابِ عَلَى لِحْيَتِكَ
فَالدَّمَاءَ عَلَى حَرْبَتِكَ
أَجْبَرْتَنَا عَلَى بَيْعَتِكَ
أَزْعَمَ الزُّهْدَ فِي رُكْعَتِكَ
وَاعْبُدِ الْكُفْرَ فِي سَجْدَتِكَ
وَالْتِهَافِمْ فِي خَطْبَتِكَ
تُرَّهَاتٌ عَلَى شَفَتِكَ
لَمْ يَعْذِبْ بِطَشِ آلِهَتِكَ
يُخْضِعُ النَّاسَ فِي دَوْلَتِكَ
أَظْهَرَ الْحَقْدُ فِي غَضْبَتِكَ
زَيْفًا مَا قِيلَ عَنْ حِكْمَتِكَ

والأساطير عن طيبَتِكَ
سُحِقَتْ تحت غطرسَتِكَ
فاجلس الآن في خيمَتِكَ
واحسب الحَبَّ في سِبحَتِكَ
واغسل الدم عن جبَّتِكَ
وابك ما ضاع من هَيَبَتِكَ
والعن العجز في فِطرتِكَ
والغباء على سِحنَتِكَ
واذهب الآن في سِكتِكَ
سوف تخرج من جنَّتِكَ
وضحايك في سطوتِكَ
يبصقون على جُثَّتِكَ

* * *

(فيرنيه فولتير، فرنسا، 25 فبراير 2013م)

دَيْدَنُ الْجَرَادِ

نزلوا أرضنا كالجراد
كعاصفةٍ عاتيةٍ
بسيوفٍ بلا مقبضٍ
وعلى قدمٍ حافيةٍ
شَمَّروا عن سواعدهم
في ثيابهم البالية
وصدورهم قد بدت
كحقيقةٍ عليهم عاريةٍ
فأقاموا الصلاةَ وضمنوا
على مَعْدَةٍ خاويةٍ
كلما جُبيت جزيَّةٌ
فرضوا جزيَّةً ثانيةً

أحرقوا نهبوا دمروا
اختلقوا قصصًا واهيئه
والصدي لا يرُدُّ سوى
صرخاتهم العالیه
حملوا معهم حقدهم
كوحوشٍ سعت ضاریه
عندما دخلوا أرضنا
دخلت قسوة البادیه
والزروع التي اقتلعوا
خلفت تُربةً جاسیه*
والحقول التي وطئوا
أنبتت دمنًا باکیه

* جاسية: جاسئة أي صلبة ويابسة، مع قلب الهمزة ياءً للتخفيف..

هكذا أصبحت أرضنا
مثلهم فظنة قاسية
لم تعد ترقص القُبَّرات
على نغم الساقية
فالقرون التي انصرفت
لم تزل روحها باقية
كلما راح طاغية
جاء من بعده طاغية
هكذا عقلنا هكذا
مات بالضربة القاضية
والجموع التي ورثت
هذه الغزوة الدامية

أصَبَحْتُ تَدَّعِي أَنهَا
وَحَدَّهَا الْفِرْقَةُ النَّاجِيَّةُ
بِأَحَادِيثٍ سَازِجَةٍ
وَبِأَسْطُورَةٍ فَنَائِيَّةِ
وَالَّذِينَ لَهُمْ سَلَمُوا
بِذُؤَا الْجَوْلَةِ الثَّانِيَّةِ
وَالْهَلَاكُ لِمَنْ صَدَّقُوا
لُغْبَةَ الشَّيْخِ وَالِدَاعِيَّةِ
يَتَّقُونَ نَهَايَتَهُمْ
وَهِيَ آتِيَّةٌ آتِيَّةُ

* * *

بُشْرَى مَشْؤُومَةٌ

قالوا لنا نحن النهار
نضيء في الليل البهيم
جئنا إليكم بالخلص
لننشر الخير العميم
ونُعيدَ أيام الرخاء
ونبعثَ المجد القديم
لا تجزعوا منا فإن
إلهنا ربُّ رحيم
نحن الذين نُرتِّل
الآيات بالصوتِ الرخيم
ونُقيم في الليل الصلاة
ونحفظ الذِّكْرَ الحكيم
اليوم سوف نُطهر
الدنيا من الكفرِ المُقيم

نقضي على كل الشرورِ
وكل شيطانٍ رجيمٍ
وندق أعناق العُصاة
وكلّ زنديقٍ أثيمٍ
وسيوّفنا فيها الشفاء
لكل أفاقٍ لئيمٍ
قلنا نُجرّب أن نفر
من الجحيمِ إلى الجحيمِ
لتطير أشلاء الرجالِ
وتدخل القفصَ الحرّيمِ

* * *

الدائرة

هكذا دارت الدائرة
وانتهت حربنا الخاسرة
وانتصرنا على نفسنا
في أناشيدنا الهادرة
مات أعداؤنا كمداً
من حماستنا النادرة
واكتفينا بأوهامنا
وأساطيرنا الغابرة
قد نسفنا إرادتهم
بإرادتنا القادرة
تحت قصف صواريخنا
فهي قاهرة ظافرة
وكتائبنا عزبادت
في ربوعهم العامرة

ومدافعنا تركتُ
كل أسوارهم خائره
خَطب الشيخُ مستنفرًا
بسماحته الباهره
فليُعد كل ما قاله
نحن قومٌ بلا ذاكـره
فأقمنا له مـولـدًا
بين بيروت والقاهره
وانتظرنا كراماته
من دمشق إلى الناصره
ودعا الله أن يكتب
النصر للفئة الصابره
قد بنا الشيخ مسجده
فوق أشلائنا الطائره

فَأَتَى الْمَدَدَ الْمُرْتَجَى
بِالْمَلَائِكَةِ الطَّاهِرَةِ
وَالَّذِينَ قَضَوْا نَحْبَهُمْ
لَهُمُ الْخُورُ فِي الْآخِرَةِ
وَكَفَى أُننَا قَدْ عَلَوْنَا
عَلَى الطُّغْمَةِ الْكَافِرَةِ
فَهَنِيئًا لَنَا الْفَقْرُ
وَالْجُوعُ وَالْفَرَحَةُ الْغَامِرَةُ
وَهَنِيئًا لَنَا الْبُذُلُ
وَالْجَهْلُ وَالنَّظْرَةُ الْقَاصِرَةُ
وَهَنِيئًا لَنَا النَّصْرُ فِي
الْحَرْبِ بِالْخُطْبِ السَّاحِرَةِ
فَالرُّؤُوسَ الَّتِي سَجَدَتْ
وَهِيَ حَامِدَةٌ شَاكِرَةٌ
سُحِقَتْ تَحْتَ أَقْدَامِهِ
كُلَ أَفْكَارِهَا الْحَائِرَةِ
هَكَذَا هَكَذَا دَائِمًا
تَنْتَهِي حَرْبِنَا الْخَاسِرَةَ

* * *

وَهُمُ الْخَازِقُ

الْغَافِلُ الْجَاهِلُ مَا أَحْمَقَهُ
يَعِيشُ فِي الْوَهْمِ الَّذِي صَدَّقَهُ
أَفْكَارُهُ بِالْيَةِ قَدْ عَفَتْ
وَرَوْحُهُ حَبِيسَةٌ مُوثَقَةٌ
يَعِيشُ فِي الْأَوْهَامِ مُسْتَغْرَقًا
وَفِي دِهَالِيزِ الرُّؤْيِ الضَّيِّقَةِ
يَظُنُّ أَنَّ الرَّبَّ فِي صَفِهِ
وَيَمْلِكُ الْحَقِيقَةَ الْمُطْلَقَةَ
يُؤْجِجُ الْإِخْفَاقَ أَحْقَادَهُ
وَجِقْدَهُ بِنَارِهِ أَحْرَقَهُ
يَسِيرُ فَوْقَ الْأَرْضِ مُسْتَكْبِرًا
يَمْلَأُهُ غَرُورُهُ وَالثَّقَنَةُ
وَيَسْتَجِلُّ النَّهْبَ وَالْقَتْلَ كِي
يَفْرُضُ حَادُّ سَيْفِهِ مَنَاطِقَهُ

وكلما أمعن في جهله
يظن ما خالفه هرطقه
يُصدّق الشيءَ وأضدادَه
وجهلُهُ ظلامه طَوَّقَه
هذا الذي جَنَّتْ عليه به
ثقافة الخازوقِ والخوزقة
والعقلُ والتفكيرُ في عُرفه
زندقةٌ ما بَعدها زندقة
وكلما جَمَّمل أفعاله
يفضحهُ الدمُ الذي أهرقه
يغفل عن آثارِ أعماله
ويجهل المخاطرَ المُحدِقة
ولا يرى الطوفانَ مِنْ حوله
ولا يرى السيلَ الذي أغرقه
يعيش مسجونًا ولكنّه
يحسب أن سجنه أعتقه

وكلما حَلَّتْ بِهِ نَكْبَةٌ
أَحْكَمَ حَوْلَ ذَاتِهِ شَرْنَقَهُ
يَجَادِلُ النَّاسَ وَأَفْعَالُهُ
قَدْ أَفْقَدَتْ كَلَامَهُ رَوْنَقَهُ
وكلما حَاصِرُهُ خَصْمُهُ
يَحْفَرُ فِي خِيَالِهِ خَنْدَقَهُ
يُؤْمِنُ بِالْكِتَابِ لَكِنَهُ
يُجِلُّ مَنْ بَسِيفِهِ مَزَقَهُ
قَدْ حَوَّلَ الْأَرْضَ إِلَى غَابَةِ
وَحَوَّلَ الْكَوْنُ إِلَى مَحْرَقَهُ
وَيَجْلِبُ الْخِرَابَ أَنْى مَضَى
وَيَزْرَعُ الشُّقَاقَ وَالتَّفْرِقَهُ
وَمَنْ قَدِيمٍ وَهُوَ فِي مَحْنَةٍ
أَحْزَانُهُ هَائِلَةٌ مُطْبِقَهُ
مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ آمَالِهِ
يُصَارِعُ السُّنْدَانَ وَالْمِطْرَقَهُ

* * *

اختلال

الكِفَّةُ مالتُ في الميزانُ
والكل يتاجر بالأديانُ
والشيخُ الناسكُ في المحرابِ
يـردُّ آيات البُهتانِ
والقسُّ الراهبُ في الأسواقِ
يبيع صكوغًا للغفرانِ
والحَبْرُ الأعظم بين الناسِ
يقول الإفك بألف لسانِ
ووقفت حزينًا قبل الفجرِ
تصوغ الشعرَ بغير معانِ
تحدى العالمَ في ثقةٍ
وتحاول أن تبقى إنسانِ
تألمُ دومًا في صمتِ
وتعيش غريبًا في الأوطانِ

ويضيع العُمُرُ بلا ثمنٍ
فتغني في كلِّ الأحيان
ويمر الليلُ وراء الليلِ
تُـرَدُّدُ آلاف الأَلحانِ
وتقاومُ وَحَدك في يأسٍ
وتحاربُ وَحَدك في الميدانِ
وستبقى دوْمًا محصورًا
ما بين السُّلْمِ والثعبانِ
والجَدْبُ تمكَّن في الوديانِ
الجَدْبُ تمكَّن في الوديانِ
والعُمُرُ طريقُ موصولٍ
ما بين الرغبةِ والجِرمَانِ
والعالمُ حولك موبوءٌ
والظلمُ فشا في كلِّ مكانِ

حتى الأجسام خَلَّت فيه
من كل أحاسيس الإنسان
أحضان نساء الأرض غَدَتْ
لا تبعث دفئاً في الأبدان
وكانك عند مجيء الليل
تضاجع في الليل الأوثان
تتحسس قييدك في غضبٍ
عُرياناً جوعاناً ظمآن
والأرض الغَضَبَى قد ثارت
طوفاناً يتبعه طوفان
وسيولاً من ماءٍ عفنٍ
وزلازل تضرب في الأركان

وتَهْبُّ عليك هواجرها
وتعدُّبُ روحَكَ بالنيرانُ
وتُقطِّعُ جسمَكَ أشلاءً
شرياناً يتلوهُ شريانُ
فنهاية أمرِكَ قد حانت
لتسيل دماؤك في الأركانُ
بحروفٍ من لهبٍ صيغت
وتلَّتْها البومُ على الغربانُ
بمدادِ دمائك قد كتبتُ
في الليلِ على كل الجدرانُ
«المجدِ لِمَن يحيا حُرّاً
ويقاوم إرهابَ الطغيانُ»

* * *

حَثْمِيَّة تَارِيخِيَّة

أَغْمَدَ السَّيْفَ وَبَاعَ الْفَرَسَا
وَبَكَ بِالْأَدَمِ مُلْغًا دَرَسَا
يَقِفُ الْآنَ عَلَى أَطْلَالِهِ
لَيْتَهُ مَا كَانَ فِيهِ جَلَسَا
وَصَحَا مِنْ سَكْرَةِ الْمَاضِي لَكِي
يَحْصِدُ الْحَقْدَ الَّذِي قَدْ غَرَسَا
ذَلِكَ الْمَغْرُورُ فِي أَيَامِهِ
لَقِيَ الْآنَ مَصِيرًا تَعَسَا
وَارْتَضَى الْعَيْشَ ضَعِيفًا بَعْدَ أَنْ
كَانَ جَبَارًا قَوِيًّا شَرَسَا
صَارَ كَالْفَأْرِ جَبَانًا بَعْدَمَا
كَانَ وَحْشًا كَاسِرًا مُفْتَرَسَا

ذلك المأفون في أحلامه
ملاً الوهم رؤاه هوسا
كان سلطاناً غشوماً ظالماً
يأمر الجند ويؤزجي الحرسا
كان شيخاً وإماماً فاجراً
يُقرئ الناس كتاباً نجساً
لم يكن يعشق إلا نفسه
لم يكن يأمن حتى الفرسا
لم يكن يسمع إلا صوته
فاعتراهُ الخوف حتى احتبسا
كم تمادى في المَلذَّاتِ وكم
عاش في شهوته مُنغمسا

عبس الدهر له في وجهه
وتولى عنه لَمَّا عبسا
ليذوق الذُّلَّ عبداً خادماً
بعدهما جار طويلاً وقسا
قاومَ النَّخَّاسَ يوماً واحداً
ثم أعطاه قياداً سلسا
أَتعبَ النَّخَّاسَ طولَ الجهد في
بيعه في السوق حتى يئسا
صار مردوداً بفلسٍ بعدما
بلغ المُلْكُ به أندلسا
ويد النَّخَّاسِ لَمَّا ارتفعتْ
عَلَّقت في أُذُنَيْهِ جرسا

* * *

الورث

أيها الزاحفُ نحو
العرشِ يُزجيه الطُّمُوخُ
يابن من عُمر فيه
فوق ما عُمر نوحُ
امش فوق الماءِ إن شئتَ
وقُلْ إنِّي المسيحُ
وكما شئتَ تَقَدِّمُ
فالمدى بَعْدُ فسيحُ
والنواطيرُ نيامُ
والعناقيدُ تلوحُ

أيها الآتي الذي مثلُ
الذي فات قبيحُ
قُلْ أنا القادمُ بالعدلِ
وبالظلمِ أُطيحُ
وأنا القادمُ باسمِ
الربِّ أغدو وأروحُ
وأملاً الكون هُراءُ
وتكلم يا فصيحُ
فكأنني بك من كان
إلى حين يصيحُ

مِثْلُهُ أَنْتَ وَلَكِنْ
فِيكَ عِيٌّ وَجُمُوحُ
تَأْخُذُ الْبَيْعَةَ بِالسِّيفِ
وَيُطْرِقُكَ الْمَدِيحُ
عَاصِفٌ جُنْدُكَ بِالنَّاسِ
كَمَا تَعَصِفُ رِيحُ
جَاءَنَا قَبْلَكَ مَنْ
فَاقوكَ قَدْرًا وَأُزِيحُوا
فَأَعِيدُوا الْحُكْمَ مُلْغًا
وَأَرِيحُوا وَاسْتَرِيحُوا

* * *

(سيني، فرنسا، 29 أكتوبر 2006م)

أمطري يا سماءً بالدم والنارِ
وخلّي الرياح تقوى وتشتدّ
ومُري البحرَ أن يثور ويغلي
كلما أرغى ماؤه أو أزبد

الزمان الخطأ

ناسكٌ في زمانٍ الخطأ
تأه بين الطوى والظمأ
عمره كله كان ليلاً
متى ينتهي يبتدى
والليالي التي عاشها
ملأته أسوأ فامتلاً
ملاً مزماره فتلاً
آية الكفر ثم صبا
كان يعلم أن الردى
قادمٌ شاء أم لم يشأ
حفر الدهر في وجهه
ألف عامٍ وعامٌ نتأ
هدأ في الليلٍ محرابه
ثم صلى صلاة الخطأ

عاش فيه يهاب الوجود
 ويخشى الورى والمالاً
 كان محرابه سجنه
 بين جدرانهِ قد نشأ
 إنها ثورةٌ بعدها
 حطّم القيد ثم هدأ
 فكّه عُقدةً عُقدةً
 وهو في سجنهِ منكفئ
 ورأى مارداً فانزوى
 ورأى عسكراً فاخبأ
 ووراء المدى بركةً
 تمثلي بالظى والحماً
 قد أتى نحوها مُجهداً
 وعصاهُ له مُتّكأ
 شاحبٌ وجهه سائلٌ
 دمه لحمه مهترئ
 وخطافكبا وعلا
 فهوى وعَداً فانكفاً

* * *

واحة الظمأ

حتى متى يا واحة الظمأ
أمضي بقلبٍ مُتَعَبٍ هَرِيئٍ
أمضي بلا عقلٍ إلى سَكِّ
مملوءةٍ بالويلِ والوَبَأِ
وأعيش محزونًا على سَفَرٍ
غيرَ اللظى قدماي لم تطأ
وأذوقُ طعمَ الحُزْنِ في ألمٍ
ومرارةَ الحرمانِ والصدأِ
أمضي على يأسٍ بلا أملٍ
وأصْحَحُ الهفواتِ بالخطأِ
لكنني ما زلت ذا ثقةٍ
في السيرِ لم أتعب ولم أنوُ
هَبَّتْ عواصفُ مَزَّقَتْ جسدي
وتركنني في واحة الظمأ

قد حَطَّمت في التيهِ مِنسأتي
قبل المسير وأنفدتُ كلئي
لأصارع الأمواج مُرتحلاً
في لُجة الأهوال والحمأ
قد ضقتُ ذرعاً في غياهبها
وملئتُ من أسطورة النبأ
وتتأبُعُ الأنواء يُبعدني
في الليل عن سكني ومُتَكئي
تتبدلُ الأوقاتُ مُسرعةً
في سكتي والصبحُ لم يجئ
أتحمّلُ الأحزانَ في جلدٍ
إلا عذابَ النأيِ عن سبأ

* * *

الصليب اختيار

طال انتظارك يا يسوع ولم نَزَلْ
نقضي الليالي فالليالي في انتظارك
ونضيء في الليلِ الشموعَ ونسأل
الرب الهداية والرعاية في ديارك
أنت الذي تمضي وتَبْعُكَ الملائكُ
عن يمينك والملائكُ عن يسارك
يا أيها الروحُ المُقَدَّسُ هل غيابك
كان قسرًا أم غيابك باختيارك
كم ذا سجدنا في خشوعٍ وابتَهَلْنَا
كي يُباركنا الإلهُ فلم يُبارك
أُمَّمٌ أضلتها المعاصي والخطايا
والذنوبُ وأبَعَدَتْهَا عن مَسَارِكِ
دمويةً تحيا على سفكِ الدماء
ولا تملُّ من الحروب ولا المعارك

مَهْمَا تَضَرَّعْنَا وَأَعْوَلْنَا وَصَلِينَا
فَلَسْنَا نَسْتَحِقُّ سِوَى احْتِقَارِكُ
لَا يَنْفَعُ النَّدْمُ الذَّنَابَ الْكَاسِرَاتِ
وَلَا تَلِيْقُ بِهَا الْحَيَاةُ إِلَى جَوَارِكُ
يَا أَيُّهَا الرُّوحُ الْمُعَمَّدُ بِالطَّهَارَةِ
نَحْنُ مِنْ خَذْلُوكَ فِي وَقْتِ احْتِضَارِكُ
مَا زَالَ فِيْنَا الْغَدْرُ وَالْحَقْدُ الدِّفِينِ
وَلَوْ بِكَيْنَا يَوْمَ عَيْدِكَ لِادِّكَارِكُ
نَقَاتُ مِنْ ثَمَرٍ تَلَطَّخَ بِالدَّمَاءِ
وَبِالدَّمِوعِ وَلَسْنَا نَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِكُ
سِرْنَا عَلَى سُبُلِ الظَّلَامِ الْحَالِكَاتِ
فَكَيْفَ يُوصلُنَا الْمَسِيرُ إِلَى نَهَارِكُ
فَاغْفِرْ خَطَايَا ثَلَّةٍ خَذَلْتِكَ مَصْلُوبًا
وَمَقْتُولًا وَلَمْ تَأْخُذْ بِشَارِكُ
وَإِغْفِرْ خَطَايَا مَنْ سَقَّوْكَ الْخَلَّ لَا
الْمَاءَ الْقَرَّاحَ لَكِي يَضَاعِفُ مِنْ أُوَارِكُ
فَلِإِنْ شَهِدْتَ الْيَوْمَ مَا نَجْنِيهِ مِنْ
أَفْعَالِنَا لَصَلَبَتْ نَفْسَكَ بِاخْتِيَارِكُ

* * *

زيت الفتيل

أمضي على دربي الطويل
يُنكرني في الدُّجى سبيلي
وقد جَرَّتْ فوقه دمائي
في كلِّ شبرٍ وكلِّ ميلِ
أمضي أحتُّ الخُطى خِفافاً
على ترابِ السُّرى الثقيلِ
وأرتمي مُنهكاً عليلاً
بلا رفيقٍ ولا دليلِ
أجوبُ كلِّ الدروبِ سعيًا
من مستحيلٍ لمستحيلِ
أضيِّع العُمَرَ وهو كنزُ
لم يَبْقَ منه سوى قليلِ
أنهكني السيرُ ألفَ عامٍ
وهدّني العيشُ ألفَ جيلِ
ونال من جدوتي زماني
وجفَّفَ الزيتَ في فتيلي

قد مَحَتِ الرِّيحُ حِينَ هَبَّتْ
أُنْشُودَةَ البَلْبَلِ الجَمِيلِ
والعندليبِ الذي شجاني
قد شَنَقْتُهُ على النخيلِ
تَمَلَّك اليأسُ من كِياني
ودبَّ في جِسمي النخيلِ
حتى غناء الطيورِ حولي
لم يَبْقَ منه سِوى العويلِ
أنا الذي صاغني إلهي
بلا نظيرٍ ولا مثيلِ
ذهبت أبكي على بلادِ
قد أَقْفَرْتُ من ذوي العقولِ
وعُدت أبكي على بلادِ
أَسْلَمها الفرس للمغولِ

* * *

صليب الشتاء

لِيَّ خَمْسُونَ شِتَاءً
فِي عَنَاءٍ وَبَلَاءٍ
وَعَلَى ظَهْرِي صَلِيبٌ
مِنْ دَمِ مَوَاعِدٍ وَدَمَاءِ
أَنَا فِي الدُّنْيَا وَحِيدٌ
فَأَقْدُ كُلَّ رَجَاءِ
فَقَنَائِي كَوَجُودِي
وَوَجُودِي كَالْفَنَاءِ
كُلُّ أَدْوَاءِ اللَّيَالِي
ذُقْتُهَا دَاءً فَدَاءً
وَأَكَلْتُ التُّرْبَ خَبْرًا
وَشَرِبْتُ الخَلَّ مَاءً
عَشْتُ فِي الدُّنْيَا مَسِيحًا
لَمْ تُبَارِكْهُ السَّمَاءُ

أحمل العهدَ وآلاماً
بها قلبي ناء
سالكٌ كُلُّ دروب
اليأس في أرضِ الشقاء
وعلى عقلي غشاءٌ
وعلى القلبِ غشاءٌ
والحواريون من حولي
جميعاً جنبنا
وأنا مَيِّتٌ مُسَجَّى
بينهم قبل العشاء
ثم ألقيتُ بنفسي
بين أحضان النساء
بعد أن مَزَّقْتُ أسفار
كتابي في الخفاء

* * *

أبابيل الغبار الأسود

أنا روحٌ أَبَتْ وعقلٌ تَمَرَّدُ
في إسارٍ من الترابِ مُقَيَّدُ
جسدٌ قَيِّدَتْ خُطَاهُ الليالي
وهي تسمو فوق الوجود وتصعدُ
حاملاً في حشايَ طفلاً كبيراً
طالما صال في الحياة وعربدُ
صَحِبَ الحزنَ والشقاءَ وعانى
الغدرَ واليأسَ والأسى وتجلَّدُ
عقد العزمَ أن يسيرَ وحيداً
ورأى دربهُ فلمْ يترددُ
كم رأى الحُلْمَ يستحيلُ سراباً
والأمانِي أمامهُ تتبددُ
وتصيرُ الحياةَ حالاً فحالاً
والليالي تمرُّ كالجزرِ والمَدِّ

يَمَلَأُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ غِنَاءً
وَكَمَا مَرَّ الْأَمْسَ يَمْضِي بِهِ الْغَدُ
ذَهَبَتْ هَذِهِ السَّنُونَ وَمَرَّتْ
وَهُوَ الْآنَ صَخْرَةٌ مِنْ جِلْمَدُ
يَرْفُضُ الظَّلْمَ وَالْخُنُوعَ وَيَأْبَى
أَنْ يُرَائِيَ اللَّئَامَ أَوْ يَتُودِدُ
كَانَ فِيمَا مَضَى يَصُوغُ الْأَغَانِي
وَعَلَيْهِ الْبَخُورُ وَالْمِسْكُ وَالنَّدُ
وَرَأَى أَنْ يَعِيشَ حُرًّا طَلِيقًا
فَبَنَى مَعْبَدًا لِيَهْدِمَ مَعْبَدُ
يَقْطَعُ الدَّرَبَ هَادِنًا لَا يُبَالِي
وَهُوَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مُهْدَدٌ
فَأَنَا الشَّاعِرُ الَّذِي عَشِقَ الْحُسْنَ
وَصَلَّى مِنْ أَجْلِهِ وَتَعَبَّدُ

خَلَّفَ الْحُزْنَ فِي ضُلُوعِي حَرِيقًا
وَلَهِيًّا فِي دَاخِلِي لَيْسَ يَخْمَدُ
عَشْتُ لَلْفَنِ رَاهِبًا عَبْقَرِيًّا
حَائِرَ الْفِكْرِ مُسْتَهَامًا مُشْرَدًا
وَحَوَالِي تُرَّهَاتٍ سِخَافًا
وَأَسَاطِيرُ مِنْ قَدِيمٍ تُرَدَّدُ
وَحَكَايَا تَلُوكَهَا أَلْسُنُ النَّاسِ
وَتُتْلَى فِي كُلِّ حِينٍ وَتُسْرَدُ
خَلْفِي الْجَدْبُ مُحَكَّمٌ وَالْفِيَا فِي
وَأَمَامِي الْفُضَاءُ وَالْتِيهُ مُمْتَدُّ
كَلِمَا صَرْتُ لِلضِّيَاءِ قَرِيبًا
يُصْبِحُ النُّورُ عَنْ عَيْونِي أَبْعَدُ
أَمْطَرِي يَا سَمَاءَ بِالْدمِ وَالنَّارِ
وَخَلِّي الرِّيحَ تَقْوَى وَتَشْتَدُّ

ومُـرِي البحر أن يثور ويغلي
كلما أرغى ماؤه أو أزيد
واجعلي الصبحَ مظلمًا كالدياجي
واجعلي الأفقَ بالغيوم مُلبَّد
أرسلني طيرك الأبابل ترمي
الأرضَ بالنار والغبار الأسود
وافتحني كُـوَّةَ الجحيم عليها
كلما غننى طائرٌ أو غرَّد
فالأناشيدُ لن تضيع هباءً
وسيبقى الغناءُ دومًا يُردِّدُ
يضحك المرءُ تارةً ثم يبكي
وتثور البحار حينًا وتهمدُ
* * *

انطلاق

حطّم قيودك وانطلق
فالأفق مفتوحٌ مديدٌ
واجعل شعارك في الحياةِ
هو الحياةُ كما تُريدُ
واجعل عزاءك في الوجود
هو القصيدةُ والنشيدُ
لا تخشَ شيخًا ليس يدري
ما يقول وما يُعيدُ
أو جاهلاً ذا لحيةٍ
يحيّا كما تحيا القروُدُ
لا يَخْدَعَنَّكَ مِنْهُ ذِيَّكَ
الركوعُ ولا السجودُ
سقط القناعُ عن الوجوهِ
فكُلُّهم وغدٌ حَقودُ

لا تخشَ وهمًا خادعًا
هو لا يضرُّ ولا يفيدُ
ماتت أساطيرُ الظلام
وقبلها الجن المريدُ
والنار والزقوم والغسلين
والطلح النضيدُ
قَدَرُ الكِبار هو التحدي
والتماسك والصمودُ
والسعي في طلب الحقيقة
عن طريقك لا تحيدُ
حيثُ النهايةُ مبتدئُ
واللاوجودُ هو الوجودُ
فاصرخْ بصوتك عاليًا
أنا لستُ عبدًا يا عبيدُ

* * *



ها أنا مثلما عهدتِ فعودي
واشربي نخبَ شقوتي وعنائي
واملئي قلبي الحزينَ جراحًا
وأريقي متى أردتِ دمائي



متى؟ وكيف؟ وأين؟

متى وكيف وأيننا
على الغرام التقينا
وأشعل الشوق فينا
نيرانه فاكثوينا
وولدَ العشق وَجَدًا
وعاث في قلبينا
وكم سقانا كؤوسًا
لكننا ما ارتوينا
وكان مَرَّ زمانُ
أضاع عُمْر كلينا
كأننا في ضلالٍ
والآن نحن اهتدينا

حتى إذا ما اتحدنا
قلبًا وأذنًا وعينا
وكل همسة حُبِّ
ترتد منَّا إلينا
أصحتُ أخشى الليالي
تثورُ حِقْدًا علينا
أو أن تَهْبَ رياحُ
تَهْدُمُ ما قد بنينا
ويرجع الوصلُ صَدًّا
ويُصبح القُربُ بيننا
قُلْ لي إِذَا يا حبيبي
متى وكيف وأيننا

* * *

صنم الجَمال

قلبي لـديك لـديك وحدك
لا خير في دنياي بـعدك
صنمَ الجَمال تـرفُقًا
في الحُسن قد جاوزت حدك
وسجدتُ أخشعُ في رحابك
ضارعًا ورفعتُ بـندك
فإلامَ سوف تسومني
هذا الأسى وتُطيل صدك
وحَرمتَ عـبدك دون ذنبي
جاءهُ في العِشق وُدك
كألفتنني هذا الشقاء
فليتني ما كنتُ عـبدك
يا منهلَ السحر الحلال
ظلمتني ومَنعتَ ورُدك
يا كعبةَ الحُسن المُقدَّس
من تُراهُ يكون نـدك

سبحان من خلق الورى
وبراك للعشاق وحدك
سواك كلك فتنة
وأذاب في شفتيك شهدك
ورعائك في ملكوته
وأقام في الفردوس مهدك
وسط الخمائل والكُروم
فوزدت بالحسن خدك
ورواك من ماء الطيوب
فعمدت بالعطر نهدك
لا القرب يدني ولا
الوصل الذي ترضاه وحدك
فبحق وجدي واشتياقي
الآن لست أطيع بعدك
حملتني ما لا أطيع
من الهوى ونسيت وعدك
رفقا بقلبٍ مُدنفٍ
ألقي عصا الترحال عندك

* * *

استغاثة

حبيبتى ضعي يَدَيْكَ في يَدَيَّ
وامنحيني قُبلةَ الحياه
أنا غريقٌ في هِوَاكِ كاد أن
يقضي وأنتِ زورقُ النجاه
فَحَرَ ساجدًا لَدَيْكَ ثم ألقى
خاشعًا وخاضعًا عصاه
حتى احتويتِهِ فمُبتداهُ كان
أنتِ ثُمَّ أنتِ مُنتهاهُ

* * *

حبيبي ضعي يَدِيكَ في يَدِيَّ
وامنحيني قُبلةَ الخلودِ
ومرَّريهما على قلبي الحزين
تبعثي روحي للوجودِ
عيناكِ قبلي وأنتِ كعبَةٌ
الطوافِ والخشوعِ والسجودِ
يا قُدُسي ومَعبدي وربَّتي
وسِدرَةَ الإسراءِ والصعودِ

* * *

حبيبتى ضعي يَدَيْكَ في يَدَيَّ
وامنحيني قُبْلَةَ البقاء
إنى أناديكِ وَلَمَّا أنزلقُ
هل تسمعين ذلك النداء
هل تعرفين ما العذاب والأسى
هل تعرفين ما هو الشَّقَاءُ
هذا أنا في لُجَّةٍ ملعونةٍ
أصارع الضياع والفناء

* * *

حبيبتى ضعي يَدَيْكَ في يَدَيَّ
وامنحيني قُبلة البِدَايَةِ
ولتنفخي من روحك القُدْسِي
كيما تستمر هذه الحِكَايَةُ
ثم احفظيها في حَشَاك سورةً
ورددِيها آيَةً فَأَيُّهُ
وباركِيها كي تصير قصةً
فُصولها لا تبلغ النِهَايَةَ

* * *

نفخة رُوح

نَفَخْتُ فِيَّ مِنْ رُوحِهَا
بَارَكْتُ حَوْلَ قَلْبِي الْحَزِينُ
لِمَسَّةٍ مِنْ أَنْامِلِهَا
قَدْ أَعَادَتْ إِلَيْهِ الْحَنِينُ
بِعَدَمِ خِلْتِهِ حَجْرًا
جَامِدًا لَا يَعِي أَوْ يَلِينُ
وَمَحَتْ كُلَّ آلَامِهِ
بِحَدِيثِ كَسْحَرِ مَبِينُ
وَلَجَأْتُ إِلَى قُدْسِهَا
فَاحْتَوَتْ حِكْمَتِي وَالْجَنُونَ
وَاحْتَمَيْتُ بِمِحْرَابِهَا
وَاهْتَدَيْتُ لِحِصْنِي الْحَصِينُ
وَاسْتَعِذْتُ بِهَا وَتَرَكْتُ
الْأَسَاطِيرَ لِلْأُولَيْنُ

إنها لم تكن من تُرابٍ
ولم أكن ماءً مهينُ
إنها امرأةٌ أنصَجَتْها
الليالي ومَرُّ السنينُ
واستوت بَشْرًا كاملاً
قبل هذا الفضاء اللعينُ
سَكَنْتُ داخلي صورةً
ولها في ضلوعي رنينُ
جَرَفْتَنِي عواصِفُها
لشطوط الأمان المكينُ
واختلاجاتٍ تُذَوِّبُنِي
أهلاً أهلاً كل حينُ
والهوى قَبَلَهَا كان وهماً
أنا كنتُ فيه سجينُ

باحثًا عن حقيقة نفسي
التي ضيّعَتْها الظنونُ
أيقَظْتُ داخلي شاعرًا
كان أوْشَكَ أَلَّا يَكُونُ
أَجْدَبْتُه لِيالي الخريف
وأَدَمْتُ حَشاهُ الشجونُ
عَلَبْتُه على أمره
في متاهات حُزنٍ دفينِ
تاه ما بين أنوائها
بين وطاء الأسى والأنينِ
حاصرتُهُ دياجيرها
برؤىٍ تختفي وتبينُ
فاهتديتُ لها وتركتُ
الأساطير للأولينِ

* * *

مِشْنَقَةُ الْعَنْدَلِيبِ

وحدي ذهبْتُ يا حبيبي
أحملُ في يدي صليبي
أسيرُ دون غايَةٍ
أهيمُ في كلِّ الدروبِ
ذَبَحْتُ قلبي أولاً
ثمَّ شَنَقْتُ عندليبي
وسال في الكأسِ دمي
لتشربي أعلى النُّخوبِ
أمضي وذكِّركِ التي
تَلُوبُ في قلبي الكئيبِ
أصنِّعُ من قِصتنا
أسطورةً من اللهيبِ

لأجل عَيْنِكَ الَّذِي
حَمَلْتُ مِنْ حَزْنٍ رَهِيْبٍ
وَفِي هَوَاكَ أَصْبَحْتُ
تَمَلُّاً مُهْجَتِي نَدْوِي
أَدُورَ أَلْفِ دَوْرَةٍ
مِنَ الْغُرُوبِ لِلْغُرُوبِ
بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ
وَالشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ
مَا بَيْنَ آمَالِ اللُّقَى
وَبَيْنَ أَحْلَامِ الْهَرُوبِ
لَا صَوْتَ إِلَّا صَرَخَاتِ
الْعُزْبِ تَمْكُوبِ بِالنَّعِيْبِ

وتعصفُ الريحُ حولي
في السهول والسُّهوبِ
وأصطلي النارَ التي
أشعلتِ في صدري الكئيبِ
وحدي وما أدنى السُّرى
بين شبابي والمشيبِ
وكلُّ نبضٍ في دمي
يحنُّ للماضي القريبِ
قد جفَّ ما في جعبتي
أبقيتِ من عطرٍ وطيبِ
وعُدتُ شلْوًا يائسِ
فهل صفحتِ عن ذنوبي

* * *

رِقَاءُ النَّوْءِ

سَكَنَ النَّوْءُ فِي عُبَابِ السَّمَاءِ
وَتَلَاقَيْنَا بَعْدَ أَلْفِ شِتَاءِ
هَدَأَتْ ثَوْرَةَ الْبَرُودَةِ وَالثَّلْجِ
وَذَابَ الْجَلِيدُ فِي الْأَجْوَاءِ
وَاسْتَحَالَ الضَّبَابُ صُبْحًا مَنِيرًا
وَتَلَاشَتْ سَحَابُ الْأَنْوَاءِ
كُلُّ شَيْءٍ كَمَا تَرَكَنَاهُ أَضْحَى
هَادئًا إِلَّا ثَوْرَةَ الْكِبْرِيَاءِ
وَأَنَا لَمْ أَعُدْ كَمَا كُنْتُ مِنْ قَبْلُ
وَلَا قَلْبِي عَادَ فِي أَحْشَائِي
إِنِّي اخْتَرْتُ سِكْتِي وَطَرِيقِي
سِكَّةَ الْيَأْسِ وَالْأَسَى وَالْبِلَاءِ
وَالرِّيَاحُ الَّتِي تَمُوجُ بِنَفْسِي
أَنْذَرْتَنِي بِزَعزَعِ نَكْبَاءِ

سَكَنْتُ ثَوْرَةَ الشِّتَاءِ وَلَكِنْ
بَدَأْتُ فِي أَرْضِي أَنَا وَسَمَايِي
أَنَا مَنْ كَابَدَ الْمِرَارَةَ وَالْيَأْسَ
وَلِاقَى الْعَنَاءِ بَعْدَ الْعَنَاءِ
وَالْأَعَاصِيرِ فِي الْحِشَا تَرَكْتُ فِيَّ
كَيْبَانًا مُهَدَّمِ الْأَشْلَاءِ
أَنَا لَوْلَاكِ مَا تَحَطَّمُ قَلْبِي
لَا وَلَا مَاتَ الْحِسُّ فِي أَعْضَائِي
زَلَّزَلْتَنِي الْأَنْوَاءُ نَوْءًا فَنَوْءًا
وَأَسَالَتْ صَقِيْعَهَا فِي دِمَائِي
أَنَا لَوْلَاكِ مَا تَغْرِبْتُ فِي الْأَرْضِ
وَجُبْتُ الدَّرُوبَ فِي الظُّلْمَاءِ
عَبَثًا هِمْتُ فِي الْبِلَادِ وَحِيدًا
وَاقْتَفَيْتُ السَّرَابَ فِي الْأَرْجَاءِ

وَتَخِذْتُ السُّرَى رَفِيقَ طَرِيقِي
وافتَرَشْتُ العِراءَ فِي الأَنْحاءِ
هَارِبًا مِنْكَ بَلْ إِلَيْكَ رَهِينُ
الْيَأْسِ وَالْأَيْمَنِ وَالْأَسَى وَالشَّقَاءِ
هَـأَـنَا مِثْلَمَا عَهَدْتَ فِعْودِي
وَاشْرَبِي نَخْبَ شِقْوَتِي وَعِنَائِي
وَاملئِي قَلْبِي الحَزِينَ جِرَاحًا
وَأرِيقِي مَتِي أَرْدَتِ دِمَائِي
وَاهزئي مِنْ عَذَابِ قَلْبِي وَرُوحِي
وَاسْخَرِي مِنْ مَدَامَعِي وَبِكَائِي
أَنَا أَلْقَيْتُ بِاخْتِيَارِي نَفْسِي
بَيْنَ أَحْضَانِ حَيَّةٍ رِقْطَاءِ

* * *

كأسٌ وحنٌ وبغي

شيطانة الحانِ البغي
تحيا بقلبٍ غير حي
قدمات فيها طهرها
فمات فيها كلُّ شيءٍ
تسقي السُّلافَ غيرها
ونفَسَها الكأسَ الردي
تدور حولِ مقعدي
لتُبْرِزِ الحُسْنَ الخفي
وعطرها الصارخُ يُبدي
عُهرَها الخافي الجلي
رؤيتُ منها غلَّتني
فأظمأتني بعد ربي

يَصْطَادُ مَنْ يَقْرُبُهَا
هَذَا الْجَمَالُ الْعَبْقَرِيُّ
تَبَحُّثٌ عَنْ خَلِيلِهَا
مَا بَيْنَ رُؤَادِ الْعَشِيِّ
تَقَعُّ فِي قُلُوبِهِمْ
كَالْوَحْيِ مِنْ قَلْبِ نَبِيِّ
تَنْظَرُ فِي وُجُوهِهِمْ
كَيْ تَصْطَفِيَ لَهَا غَيْبِي
تَدْخُلُ نَفْسُ خَلِّهَا
وَتَمَلَأُ الْقَلْبَ الْخَلِيَّ
تُمْيْتُ فِيهِ حُزْنَهُ
وَتَبَعْتُ الْفَرْحَ الرَّضِيَّ
وَلَا تَبَالِي بَعْدَهَا
إِنْ كَانَ فَحَلًّا أَوْ خَصِيَّ

أَلْفَ صَفِيٍّ حَوْلَهَا
وَمَالَهَا مِنْهُمْ صَفِيٍّ
وَعُمُرُهَا عُمُرُ الْمَسَاءِ
هَذِهِ الْأُنْثَى الْبَغِيَّةُ
وَنَفْسُهَا شَاخَتْ وَلَكِنْ
قَدْ هَاعَاتِ صَبِيٍّ
وَأَيْنَمَا مَضَتْ يَضُوعُ
عِطْرُهَا الطَّاعِي الزَّكِيَّ
دَنَنْتُ إِلَيْهِ قَدَنْتَا
لِي كُلُّ مَا كَانَ قَصِيٍّ
وَبَيْنَ نَهْدِيهَا صَلِيبٌ
عَلَّقْتُهُ عَسْجَدِي
يَنَامُ فَوْقَ صَدْرِهَا
بِمَهْدِ الْعَارِي هَنِيٍّ

وفيه من عبيرها
صُبابَةٌ تَأبَى الْمُضِي
أنثى يُباع جسمُها
لكلِّ فاجرٍ غَوِي
تصنعُ بالرجال ما
يصنعُ جبارٌ عَتِي
ينطقُ في عيونها
الأسى وفَرَحُها عَيِي
فاكهةٌ قد حُرِّمَتْ
وحُلِّلتْ لكلِّ حي
حواءٌ بَعْدُ لا يزال
جُرْحُها الدامي دَوِي
لا ترتوي غُلَّتْها
فجسمُها دَوْمًا ظَمِي

شَقراءُ فـوق رأسها
تـاجُ من التبر البـهي
يـسقطُ منهُ شـعرها
على جـبينِ لؤلؤي
يُضيءُ ظُلمةَ المـكان
نـورُ وجـهها الوضي
تـحملُ وجـهًا جامدًا
وجـسْمها غـصُّ طـري
كأنها ما بيننا
تـمثالُ تـلجِ مـرمري
مـاذا يـريدُ عُـرُها
من ذلـك القـلب الشـقي

* * *

إني أنا الروحُ التي
تعيشُ في الأقبيةِ
تَهِيمُ خلفَ المُنْتَهَى
أَسِيرَةُ الأَزْمَنَةِ

أحلام باخوس

أحُلْمُ يَا مِيسَاتِي
أَنْ أَرْتِـدِي قُبَّعْتِي
وَأَشْرَبَ الْخَمْرَ التِّي
لَمْ تَبَقْ فِي قِنِينْتِي
وَحِينَ يَصْبُغُ النَّبِيذُ
شَفْتِي وَلِحْيَتِي
أَجْلِسْ بَيْنَ الْأَرْضِ
وَالسَّمَاءِ فِي أَرْجُوحتِي
يِيْدَايَ حَوْلَ دَقْنِي
أُطِلُّ مِنْ شُرْفَتِي
لَا تَنْقُضِي شَبِيبَتِي
وَلَا تَشِيبْ جُمَّتِي
أَقْطَعْ عُمْرِي هَكَذَا
مِنْ مِئَةِ مِئَةِ
أُطِلُّ مِنْ سَقْفِ عَلَائِي
نَاشِرًا عَبَاءَتِي

أَصِحُّ إِلَى قَهْقَهْتِي
وَلَا تَخَفْ قَهْقَهْتِي
أَنَا إِلَهُ الْعَابِثِينَ
حِكْمَتِي فِي صَبُوتِي
كُلُّ الْأَفْعَاءِ أَصْبَحْتُ
تَرْقُصُ فِي مَمْلَكَتِي
ضَلَّالَتِي فِي رَشَّادِي
وَفِطْنَتِي فِي غَفْلَتِي
وَصِحْوَتِي فِي سَكْرِي
وَيَقْظَتِي فِي نَوْمَتِي
وَلَذَّتِي فِي أَلْمِي
وَأَلْمِي فِي لَذَّتِي
وَالصَّوْلَجَانُ فِي يَدِي
صَيَّرْتُهُ مِّنْسَاتِي
وَأَتَجَلَّى لِلْعِيَانِ
فِي بَهَاءِ طَلْعَتِي

على جوادٍ من ضباب
الوهم والأبـخـرة
وفوق ظهـره هـَقَّتْ
من ظُلمةٍ أجنحتي
وتحت أقدامي من
الـورود ألف وردةٍ
وكم عصرتُ گرمتي
فلم تجِفَّ گرمتي
لم أُحصِ بَعْدُ كم عصرتُ
للشـراب خمرتي
أحُلِّمُ يامِنسأتي
على سـرير حكمتي
بألف حُلْمٍ ليس إلَّا
في غـضون اللـيلةِ
وبالنساء كالدمى
وبالصبايا الحُلوةِ

واللهو في أيام
أعياد المُجُونِ الحُرَّةِ
والكل خلف خُطوتي
كما قَضَتْ مشيئتي
والذكريات حولهم
من حُلُوَّةٍ ومُـرَّةِ
وعندما أتركهم
أنظرُ في بُلُورتي
أقرأ طالع العذارى
في انعكاس صورتي
أسطورتني في كأسهم
لَمَّا تَزَلْ أسطورتني
وحدي أنا إلهُهم
من بين ذي الآلهةِ
والصبحُ من سَدَنَّتِي
والليلُ من كَهَنَّتِي

مملكتي شعارها
السُّكْرُ حُلْمُ الشَّفَةِ
مهما علوا في قدرهم
لن يبلغوا منزلتي
كم من إليه عاقل
يحييا صريع الحكمة
يمشون فوق النار لي
على لهيب الجمرة
من قال إنني ربُّه
أدخلتُّه في جنتي
أهمسُ في أذنيه كي
أسمعه همماتي
التيئنُ من فاكهتي
والتمرُّ من فاكهتي
والكرمُ قد تخذتُ من
عنقوده مسبحتي

عصيره أنشودتي
ولونهُ أغنيتي
أملأُ بالبَخورِ من
حبّاتِهِ مِبخَرتي
ومن عبيره شذاً
في لون كل وردةٍ
ألّف بعد سُكْرهم
أحلامهم في بردتي
أحلّمُ يا لَبّابتي
حتى تَدور مُقلتي
أحلّمُ ألاّ أحلّمَ
الأحلامَ بعض ليلةٍ
أدورُ مثل نَحلةٍ
حول رحيق الزهرةِ
أحلّمُ أني أشتفي
من ظمئي وغلّتي

إنني أنا الروح التي
تعيش في الأقبية
تهيم خلف المُنْتَهَى
أسيرة الأزمنة
في أرض «نيزا»* قد
قُضِيَتْ مُبْعَدًا طفولتي
ألعن أمسي وغدي
وما جَنَنْتُ طبيبتي
أَعُد فيها اليوم إثر
الشهر إثر السنة
حتى غَدوتُ يافعًا
واكتملتُ فُتوتِي
وهَبَنِي الأربابُ ما
فقدتُ من حريتي
ورُحْتُ أحياءًا
من بلدةٍ لبلدةٍ

* نيزا: اسم المنطقة التي نشأ فيها باخوس ويُطلق أيضًا على مرضته.

أَعْلَمُ الرِّجَالَ كَيْفَ
يَشْرَبُونَ خَمْرَتِي
وَكُلُّ مَنْ يَذُوقُهَا
يَصِيرُ مِنْ عَبَدَاتِي
ثُمَّ بَنِيْتُ مَعْبَدًا
وَمَذْبَحًا لِلْقِسْوَةِ
تُجَلَّدُ فِيهِ الْفَتَيَاتُ
أَلْفَ أَلْفِ جَلْدَةٍ
أَحْلَامُ آثِينَا الَّتِي
أَحْمَلُهَا فِي جَعْبَتِي
مِنْ قَلْبِ كُلِّ رَجُلٍ
وَقَلْبِ كُلِّ امْرَأَةٍ
وَبَيْنَمَا أُطْلِقُ فِي
عَقُولِهِمُ أَلْسِنَتِي
أَسْمَعُ فِي دِمَائِهِمْ
صَوْتَ صَفِيرِ النِّشْوَةِ

وفي عيونهم أرى
كيف انتحار الشهوة
والكل حول هيكلي
يَـدور ألف دورة
وضعتُ تحت مقعدي
قِنينةً في سألَةٍ
حَبستُ فيها كل من
لم يفهموا ترتيلتي
لكن «سيلين»* قبيح
الوجهِ دامي الخِلقَةِ
لَمَّا يَزَلُ لسانهُ
يَلهجُ بالفلسفةِ
لم يحجب النبيذُ عنهُ
الكَوْنُ بالأبخرةِ
أسيرُ خلفَ خطوهِ
وفي يدي أرنبتني

* سيلين: هو إله يوناني وكان رفيق باخوس وحدثت بينهما عداوة.

مَرَكِبَتِي مِنَ الظَّلَامِ
وَالنَّجْوَمِ صَهْوَتِي
أَسِيرٌ فَوْقَ دَرَبِهِ
مِنْ كِبْوَةٍ لِكِبْوَةٍ
دَمِي نَبِيذٌ صَاخِذٌ
يَسِيلُ فِي أَنْسَجَتِي
أَسْأَرْتُنَّهُ لَلذَّتِي
يَوْمَ تَثُورِ شَهْوَتِي
ثُمَّ تَرَكَتُ بَعْضَهُ
يَقْطِرُ فِي أَقْبِيَّتِي
لَكِنِّي فِي لَيْلَةٍ
أَسْرَفْتُ فِي الثَّرَثِرَةِ
فَقُلْتُ مَا لَا يَنْبَغِي
أَنْ يَسْمَعُوا مِنْ قِصَّتِي
وَإِنَّ «فِينُوسَ» الَّتِي
تَعِيشُ فِي جُمُجْمَتِي

مَا فَتَيْتُ تَدْفَعَنِي
عَلَى طَرِيقِ الصَّبِوَةِ
زَرَعْتُهَا فِي كَبْدِي
فَأَوْزَقْتُ فِي مُهْجَتِي
سَقَيْتُهَا النَّارَ الَّتِي
تَسِيلُ فِي أَوْرَدَتِي
بِذَرْتُ فِي تَرَابِهَا
كُلَّ بَذُورِ لَوْعَتِي
وَنَبَتَتْ فِي جَسْدِي
يَا لَيْتَهَا لَمْ تَنْبُتِ
وَأَطْرَحْتُ أَغْصَانَهَا
مِنَ الْأَسَى وَالْحَيْرَةِ
أَسْطُورَةً مِنَ اللَّهَيْبِ
أَخْرَقْتُ أَسْطُورَتِي
وَضَرَبْتُ جَذُورَهَا
فِي خَلْدِي وَنُهِيتِي

أَدْخَلْتُهَا مَمْلَكَتِي
فَأَصْبَحْتُ أَمِيرَتِي
خَلَّضْتُهَا مِنْ سَجْنِهَا
فِي دَاخِلِ اللُّؤْلُؤِ
حَمَلْتُهَا عَلَى جَنَاحِ
اللَّيْلِ فِي مَرَكَبَتِي
غَسَلْتُهَا بِأَدْمَعِي
مِنْ مِلْحِ بَحْرِ الظُّلْمَةِ
شَمَمْتُهُ فَبَقِيَتْ
آثَارُهُ فِي رِئَتِي
تَجِفُّ فِي دِمَائِهَا
مِثْلَ حَفِيفِ الْحَيَّةِ
لَهَا نَطَاقٌ سَاحِرٌ
يَحْمِلُ كُلَّ صِفَةٍ
لَمَّا رَأَيْتُ ثَدْيَهَا
جَعَلْتُهَا مُرْضَعَتِي

أَنْفَاسُهَا مِـدْفَأْتِي
وَصَدْرُهَا مِـلْحَفْتِي
عَيُونُهَا الْخَضْرَاءُ قَدْ
جَعَلْتُهَا جَزِيرَتِي
أَجْلَسُ فِيهَا مُنْهَكًا
عَلَى شَطْوَطِ الْجَنَّةِ
وَأَرْتَمِي عَلَى يَدَيْهَا
مُـلْقِيًّا مِـنْسَأْتِي
وَفِي رَمَالِ أَرْضِهَا
أَغْرَزِ سِنَ حَرْبَتِي
وَعِشْتُ فِي مَدِينَتِي
أَنَا وَ«فِينُوس» الَّتِي
لَمَّا تَزَلْ تَفْتِنُنِي
فَلَا أَمَلُ فِتْنَتِي
غَرِيْمَتِي لَمَّا تَزَلْ
رَغْمَ الْهُوَى غَرِيْمَتِي

ما زلتُ أخشى غدرها
كما تخاف سَطوتي
أحلام عُمري أوشَّكتُ
تضيحُ في الولولةِ

* * *

مختارات من ديوان
«أزهار الشر»
للشاعر الفرنسي «بودلير»

ترجمة
الشاعر ياسر يونس

(الطبعة الأولى: الهيئة المصرية العامة للكتاب)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٩٩٥/٢٨٣٨

ISBN 977-01-4304-9

(طبعة ثانية مزيدة ومنقحة: مركز الحضارة العربية)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٣/٤٥٢٣

ISBN 978-977-496-585-2

صدرت الطبعة الأولى من هذه الترجمة عام 1995 عن الهيئة المصرية العامة

للكتاب

وصدرت الطبعة الثانية المزيّدة والمنقحة عام 2023 عن مركز الحضارة

العربية بالقاهرة

وقد حاولت فيها أن أعيش تجربة «بودلير» في كتابة كل قصيدة من القصائد المختارة وأكتبها شعراً عربياً مع الالتزام بدقة النقل عن النص الأصلي. وصدرت الترجمة بدراسة موجزة عن بودلير وعصره، كما عقدت مقارنة سريعة بينه وبين أبي نُوَاس الشاعر العباسي الغني عن التعريف. وآمل أن أكون قد وُفِّقْتُ في تلك التجربة. وأعيد نشرها هنا مزيّدة ومنقحة تحتوي على ترجمة لعددٍ من القصائد التي لم تُنشر في الطبعة الأولى. كما أضمتُها بعض التنقيحات التي اقتضاها مر السنين واكتساب الخبرات.

تمهيد:

كانت تجتاح أوروبا في القرن الماضي عاصفة فكرية لا مدى لها غيرت كل ما كان سائدًا فيها من أفكار سياسية وعلمية ودينية وأدبية.

كانت ثورة بكل ما تحويه الكلمة من معان، ولن نخوض في تفاصيل يمكن أن تخرجنا من مجال ما نحن بصده، ولكن يكفي أن نذكر أن خلال القرن التاسع عشر تم اكتشاف قوانين "جول" الكهربائية واختراع التلغراف، وصدر كتاب داروين «أصل الأنواع»، و«رأس المال» لكارل ماركس، والكثير مما لا يتسع المجال لذكره. فكل هذا كان محررًا ملزمًا للعقول والنفوس بل الأرواح، ومصدرًا باعثًا على التطوير والتجديد والإبداع في مجالات العلوم الإنسانية والفنون كافة.

وعلى مدار حياة شاعرنا بودلير (1821 - 1867) صدرت مجموعة من المؤلفات لا شك في أن الشاعر اطلع عليها وكان لها أبعد الأثر في تكوين ثقافة ووجدان كُتاب ذلك العصر ومفكره وشعرائه ولا سيما شاعرنا.

وأهم هذه الإصدارات: "البؤساء" لهوجو، و "رأس المال" لكارل ماركس، و"الكونت دي مونت كريستو" لأكسندر دوما، و"غادة الكاميليا" لأكسندر دوما الابن، و"اعترافات آكل الأفيون" لتوماس دي كينسي. كما كان لكتابات الأمريكي "إدجار بو" أثر سياسي كبير وصدى واسع في أوروبا وقتئذ.

ولا ننسى أن الفصل بين الكنيسة والدولة كان قد حرر العقول وأطلق الأفكار قبل هذا الزمن، وهو الذي مهد لهذه الحركة الفكرية

العقلية التي يعيش العالم حتى الآن على ما أنتجته عقولها وأبدعته. لكل ما سبق ذكره لم يكن بغريب أن يظهر شاعر مثل شاعرنا، فيجيء شعره هو الآخر ثورة في كل شيء: ثورة في الأفكار والصور واللغة، وثورة على القيم الأخلاقية القديمة الراسخة في المجتمع الأوروبي حتى القرن التاسع عشر، فقد أباح شاعرنا لنفسه ما لم يكن يُباح لشاعر قَبْلَه، فوجد في شعره الحديث صراحة عن مفاتن المرأة، والتركيز العميق في تصويرها؛ فالمرأة وجسدها والمتعة ثلاثة محاور لا تنفصل في قصيدة الغزل عند بودلير وسوف نُفصّل القول في ذلك عند تعرُّضنا لدراسة شعره.

حياته:

وُلد شارل بودلير في التاسع من أبريل عام 1821 لأب يُدعى فرانسوا بودلير، وكان يعمل لدى إحدى الأسر النبيلة؛ فأتاح له عمله مخالطة النبلاء والأشراف والتأدب بأدبهم وكان أيضًا عاشقًا للفنون ويهوى الرسم، وعلى الرغم من أن فارق السن بين أم بودلير «كارولين دي فاييس» وبين أبيه كان كبيرًا كانت مُقبلة على الحياة عاشقة للزينة وحياة الترف والأبهة، مرهفة الحس، متوقدة المشاعر شديدة الإحساس بأنوثتها شأنها شأن سائر الفرنسيات من بنات عصرها فلم تلبث أن تزوجت بعد موت فرانسوا بودلير وشاعرنا بعد لايزال طفلًا تُعوزه رعاية الأم وحنانها.

وكان شارل بودلير في مرحلة دراسته الأولى أقرب إلى الانطواء منه إلى الانفتاح على صحابه، وبعد أن صار يافعًا ألقى بنفسه في أحضان عاهرات باريس وساقطاتها، وأصبح شديد الولع بالنبذ والأفيون.

وفي عام 1841 سافر إلى جزيرة "بوربون" وزار بعض المستعمرات الفرنسية فبهرته هذه الأماكن بجمال طبيعتها وسخائها وعبقها وبنساء يعشن على السجية ويختلفن عن نساء فرنسا المُرَقَّهات، ولعل معظم الشعراء على اختلاف لسانهم وتباين بيئاتهم يُولعون بالمرأة الطبيعية ويرون فيها سحرًا لا يجدونه في بنات الحضرة (المدن) وها هو أبو الطيب المتنبي يلخص مشاعره ويفصح عن رأيه في هذه القضية فيقول:

حُسن الحضارة مجلوبٌ بتطريةٍ

وفي البداوة حُسنٌ غير مجلوبٍ

وقد أدرك بودلير بعد المتنبي بمئات السنين ما في المرأة الطبيعية، العارية من مؤثرات الحضارة، من جمال وفتنة فترك هذا في شعره أثرًا عميقًا، فالمرأة الجميلة في نظره هي جزيرة لم تفتضها بعد الحضارة الحديثة، يقول:

جزيرة كسلى تجودها

الطبيعة السخية

تُرزق أشجارًا فريدةً

وأثمارًا شهية

وبعد عودة بودلير من رحلته وقع في شباك فتاة تدعى "جان ديثال" من طبقات المجتمع الباريسي الدنيا وأنفق عليها من ماله بسخاء فدفع ذلك أهله للحجر عليه ومنعه من التصرف في أمواله التي ورثها عن أبيه عام 1844، ولكن مشاعره تجاهها تباينت إذ كان يمجدها ويحبها لما يجده فيها من متعته، ويحتقرها في الوقت ذاته

لحيوانيتها وتدني نفسها. وظل سنين طويلاً متعلقاً بها لا يستطيع منها فكاً، وحتى بعد فراقهما وأثناء علاقته بمدام "ساباتيه" كانت "دي قال" تلقي بظلالها على هذه العلاقة. أما مدام ساباتيه فقد حظيت بمكانة رفيقة في شعره وكتب فيها أجمل قصائده الغزلية.

وفي عام 1843 كتب ست عشرة قصيدة كانت النواة الأولى لأزهار الشر وبدأ في الاختلاف إلى الصالونات الأدبية. وبعد ذلك بعامين نشر أول مطبوعاته بعنوان سالون 1845، وفي عام 1848 بدأ يشارك في الحياة السياسية على استحياء وكان ذلك بترجمته لكتابات الشاعر الأمريكي «إدجار بو».

وفي عام 1855 نشر ثماني عشرة قصيدة في مجلة «العالمين» وهي التي جعلت شهرته تذيع وبها بدأ نجمه يلمع في سماء الأدب. وفي عام 1857 صدرت له أول طبعة من ديوان «أزهار الشر» وأولى قصائده النثرية، وثار جدل كبير حول عدد من قصائد «أزهار الشر» وما يحويه من قصائد إباحية وانتهى الأمر بمحاكمته وحذفها من الديوان.

وفي عام 1860 صدرت له «الجنان الاصطناعية»، وعام 1861 صدرت له الطبعة الثانية من «أزهار الشر» متضمنة خمساً وثلاثين قصيدة جديدة، وعام 1862 طبعت له إحدى وعشرون قصيدة نثرية، وعام 1864 ذهب إلى بروكسل ليحاضر هناك. ولم تثر بروكسل إعجاب بودلير بل على العكس من ذلك تركت لديه انطباعاً سيئاً عن بلجيكا وشعبها ولا سيما نساؤها.

ويتوالى إنتاجه من قصائد النثر فينشر ست قصائد بعنوان «كآبة باريس» عام 1866.

وكانت بداية النهاية إذ أصيب بالشلل و صار قعيداً؛ إلا أن هذا لم يجعله يتوقف عن العطاء والإبداع ليصدر ست عشرة قصيدة جديدة. وبعد ذلك بعام وبالتحديد في الحادي والثلاثين من أغسطس عام 1867 يُسدل الستار على حياة ذلك الشاعر العظيم؛ فتصعد روحه إلى السماء ويبقى شعره بين أيدينا نُقلِّبه ونقرأ فيه أسفاراً من الإبداع والألم.

شعر شارل بودلير:

كما سبق أن ذكرنا، في مستهل تقديمنا، كان النتاج الإنساني في القرن الماضي في أوروبا تعبيراً عن ثورة في المعارف الإنسانية هزت كل ثابت وراسخ في تراث العقل البشري، ومادامت الثورة مرتبطة بالإنسان وعقله؛ فلا بد لها من أن تولد ثورة في المشاعر والأحاسيس، وما هذه المشاعر والأحاسيس إلا الشعر، ولم يكن شعر بودلير ليخلو من هذه الثورة.

وما نحن بصدد دراسته الآن هو «الثورة في شعر بودلير».

(أ) الثورة في الشكل والمضمون:

تناول بودلير في شعره كل ما يتعلق بالإنسان من موضوعات، ولم يتحرج من الخوض في موضوع ما حتى وإن كان موضوعاً يوهم بأنه لا يصلح للمعالجة الشعرية، فهو يبدأ إحدى قصائده بالحديث على لسان الغُليون قائلاً:

«أنا غُليونٌ لكاتبٌ»

وما دمنا نعرض للمضمون في شعر بودلير فلا بد أن نستخلص من شعره مغزى التجربة عنده وهو مغزى لا يخلو من الصوفية كما

نعرفها عندنا في الشرق فهو يقول في قصيدته «لوحة طبيعية»:

كيما أصوغ بأمانةٍ

أناشيد الغناءِ

أريد أن أرقد

كالمنجمين في السماءِ

فهو في حالة فوق مستوى البشر يرقد في السماء بين النجوم،
روحه متحررة، يجاور الأجراس ويطل من بعيد على الحياة. ولا شك
في أن شاعرًا تجربته كهذي يجب أن يثور ويحطم ويأتي بالجديد،
وهو بحق يُعد رائد المدرسة الرمزية في الشعر الفرنسي. أما الثورة
في الشكل والموسيقى فهي ناتجة عن ثورته في المضمون والأفكار
وعن شدة دققته الشعورية وحِدّة تجربته الشعرية الصادقة، فمثلما
حلقت روحه في السماء في تجربة صوفية عنيفة لكي يكتب ألفاظه
وتراكيبه بعيدًا عن قيود الأوزان الشعرية في كثير من قصائده، لم
يكن بودليير ليتحمل أي قيد ويكفي أن نذكر أنه كتب عددًا كبيرًا
من قصائد النثر وإن كان لم يتخل تمامًا عن كتابة القصيدة الشعرية
بسماتها المعروفة.

وفي رأينا أنه كان يلجأ إلى قصيدة النثر عندما تكون دققته
الشعورية أكبر من أن تُحد في إطار ما، وأود أن أشير هنا إلى أنه بالنظر
إلى أن جماليات وفتيات اللغة الفرنسية تختلف عن جماليات اللغة
العربية وفتياتها، ناهيك عن اختلاف التراكيب والتعابير، ومع الوضع
في الحسبان أن الأوزان العروضية في اللغة العربية أكثر تنوعًا وأوسع
بكثير منها في اللغة الفرنسية؛ فإن الشاعر العربي الموهوب موهبة

حقيقية يمكنه أن يعبر عن كل ما يريده وأن يضع دفقته الشعورية في قالب يتحملها وتحمله ولا يحتاج إلى الخروج عما يسمى عندنا بعمود الشعر. وهذا ما دفعني إلى أن تكون ترجمتي لهذه المختارات ترجمة شعرية.

أما بودليير الشاعر الفرنسي فلاختلاف طبائع لغته ومظاهر جمالها وقيمها الفنية فقد ضج في كثير من الأحيان بقيود إطارها وخرج عنها دون أن يسبب ذلك انتقاصاً لقيمة ما كتبه من قصائد على هذه الوتيرة الجديدة، بل جاءت قصائده النثرية رائعة.

(ب) الثورة في الصورة:

أصبحت الصورة عند بودليير جزءاً لا يتجزأ من المضمون، مرتبطة تماماً به بحيث لا يمكن فصلها عن الفكرة وهي صورة موظفة تخدم القصيدة وتُبرز أفكاره في نسق متكامل نابع من شعوره ومن وعيه الباطن في الوقت نفسه، وهو لا يستحي من أن يضع فيها كل مشاعره مهما كانت غرابتها حتى ولو كانت تفضحه ومثال ذلك قوله:

إليكِ عارِجُ أنا

يدفعني الإقدام دَفعا

كفوج ديدانٍ غدا

في جسدٍ قد مات يرعى

كما أصبحت الصورة شديدة الكثافة والتعقيد، بل هو يجمع بين المتناقضات ويقلب المعاني كما في قوله:

ومثل شمسٍ في جحيمٍ

الْقُطْبُ يُصَلِّهَا سَعِيرَهُ

يَصِيرُ قَلْبِي كُنْتَلَةً

حَمْرَاءَ مِنْ ثَلْجٍ كَبِيرَهُ

نلاحظ هنا أن للصورة أكثر من مستوى، والخفي في هذه الصورة أنه يقصد بالثلج الشيخوخة وبالشمس سَوْرَةَ الشباب، وهناك جزئية تسترعي الاهتمام في هذه الصورة فبودلير في خبيثة نفسه يدرك أن الشاعر لا يهرم كما يهرم سائر البشر، لذلك سيبقى فيه شيء من دفء الشمس، وذلك قلبه الذي يصلى برد الشيخوخة حتى ولو كان ما يتبقى من هذا الدفء هو حُمرة الالتهاب فقط، فداخله بارد وظاهره ملتهب، ولم لا يكون هذا الظاهر هو شعره، وداخله هو نفسه التي يصدر عنها، ولعله يأمل في أن يظل شعره ملتهب الحرارة حتى بعد أن يفوته الشباب.

وهذه القصيدة عنوانها «أغنية الخريف» ويبدوها بقوله:

تغمرنا عمًا قريبٍ

ظلماتٌ باردَةٌ

إذن وداعًا شمس

صيفنا القصير البائدهُ

وجليُّ هنا ما وراء الأبيات من رمز للشيخوخة، ولكن ماذا بعدها؟ فقد بدأ يسمع الأشجار تهوي هامة وهذا رمز لتساقط البشر واحدًا

تلو الآخر وهو المصير الذي ينتظره:

فقد بدأتُ أسمعُ

الأشجارَ تهوي هامدَه

وصوتها الباكي على

أرضِ الفناءِ الجامدَه

ويُعد بودليير من أبرع من استخدموا الرمز ووظفوا الأسطورة في شعرهم ولا شك في أنه قد نهل من الثقافة اليونانية وأعجبه الأساطير بما فيها من خيال خصب وفكر عميق، وظهر هذا في شعره إما بشكل مباشر مثل قوله:

سيزيفُ يُعوزُ همتي

عزمٌ كعزمك في الأمورِ

كيما أقوم بحمل عبءِ

مثل ذا العبء الكبيرِ

أو بشكل غير مباشر مثل قوله:

أريد أن أرقد

كالمنجمين في السماءِ

أجاور الأجراس كي

تسمع أذني في هناءِ

ما تحمل الرياح من

غنائها حلو البهاءِ

(ج) الثورة على القيم الأخلاقية:

تمشي أمامي هذه

العيون مَلَأَى بالضياءِ

آلهةٌ يجمع بينهم

وبيني الإخاءِ

لعل هذا البيت الأخير كافٍ لكي نستخلص منه أن الضابط الوحيد لبودليير هو نفسه، فهو إله نفسه ونزواته هي مُحركه وكل ما يدور في ذهنه ثابت وما عداه متغير.

ولأن المرأة من أهم مواضيع شعر بودليير - إن لم تكن أهمها على الإطلاق - فقد كرس فيها خروجه على التقاليد الراسخة، فهي صنمه ومعبده ومحاربه. ولشدة الارتباط بين المرأة والجنس في الشعر منذ أقدم العصور أصبح موقف الشاعر من هذين الموضوعين من أخطر مواقفهِ الخُلُقِيَّة؛ لأن المرأة هي أمه ومعشوقته وأخته.

فلنتأمل ما فعل بودليير بالمرأة في شعره، لقد فضحها وعراها من كل ما يلبس جسدها، بل هو عَرَّى حتى روحها وجاءت قصائده فيها صريحة الحديث عن الرغبة والمتعة وعن مفاتن جسد المرأة فصدم مشاعر نقاد عصره ودفعهم إلى حذف كثير من قصائده في أول طبعة من «أزهار الشر».

وهذه بعض الأمثلة التي توضح ذلك:

أدبٌ كاللص الخسيس في سكونُ
إلى كنوز جسمك الغالي المصونُ

ويقول:

أودب الجسم الطريِّ
ذا الثنايا المبهرة
أضرب نهدك الذي
قد نال مني المغفرة
أطعن في خاصرة
مشدوهةٍ وحائرة
بطعنةٍ غادرة
شديدةٍ وغائرة

وكثيراً ما نجد ألفاظاً صريحة في شعره مثل النهد والشبق والردف.

وبعد أن عرضنا للثورة في شعر بودلير سنعرض لعدة ظواهر في شعره لا يجب أن تفوتنا دون دراسة، فقد كان لها بالغ الأثر في رؤيته الشعرية والصور والخيالات التي استوحاها وهو يصوغ قصائده ويضمّنها تلك المطابّقات الأفقية والرأسية التي دأب على الجمع بينها. وتلك الظواهر هي:

أولاً: المرأة

ثانياً: الطبيعة

ثالثاً: النزعة الصوفية

أولاً: المرأة:

ذكرنا في المقدمة أن هناك ثلاثة محاور لا تنفصل في قصيدة الغزل عند بودلير: هي المرأة وجسدها والمتعة.

(أ) المرأة:

تباينت مشاعره تجاهها فهو يحبها ويمقتها، يعظمها ويحتقرها؛
ومثال ذلك قوله:

مجنونةً بي تيمّنتني فِنتنكُ

بقدر ما يهواكِ قلبي أمقتكُ

ولكنه لا يستطيع أن يكرهها رغم ذلك لأنها مصدر إلهامه ومصدر لذته ومصدر سعادته، يقول:

أيتها الضارية

التي كأنها حَجَرٌ

سوف أظل عاشقاً

حتى يصيبك الصَجَرُ

وهو يريد من محبوبته أن تكون أمه وأخته وعشيقته، فالمرأة

في شعر بودلير لها أكثر من دور بل أكثر من وظيفة، فعلاقة بودلير
بالمرأة علاقة مُعقدة ولا تقتصر على بُعد واحد، وكذلك هي في
شعره أيضًا، يقول:

مع ذاك فلتحبني

يأيها القلب الحَدْبُ

كن لي إذن أُمًّا ولو

كنتُ كنودًا أو أربُّ

أو لا فكن أختًا

لنفسي أو عشيقَةً تُحِبُّ

ولا يغيب عن ذهننا أثر صدمة الشاعر في أمه بعد زواجها
من بعد وفاة أبيه. كما أن أولى علاقات الشاعر النسائية كانت مع
عاهرات باريس فترك ذلك في نفسه صورة داعرة للمرأة.

(ب) جسد المرأة:

إليكِ عارِجُ أنا

يدفعني الإقدام دفعا

كفوج ديدانٍ غدا

في جسدٍ قد مات يرعى

جسد المرأة هو صنمه المعبود ولكنه معبود حقير عابده أحقر
منه، جيفة ودودة. وما تعطيه المرأة حقير وليس إلا نَتْنًا وَعَفْنًا، ولكنه
يعيش عليه لأنه أحقر منه، ولا تكاد تخلو قصيدة غزلية لبودلير من

الألفاظ الصريحة كالخصر والنهد واللذة. وهو بذلك يعري جسد المرأة تمامًا ولا يرى فيها إلا بهيمة لا تشتهي لها غُلة يقول:

أيتها الضارية
التي كأنها حَجْرٌ
سوف أظل عاشقًا
حتى يصيبك الضجرُ

وهو يحب المرأة القوية الجموح ويفصح عن ذلك بقوله:

أنتِ تمرين بقلبٍ دَنِفٍ
فتبهرينه بفرطِ صحتِكِ

و بودلير دأب على أن يفصح المرأة في شعره، والمرأة بالنسبة إلى بودلير، إلا فيما ندر، كائن جامع ومفضوح، يقول:

جعلتِ أثوابك تلك الفاضحة
شعارَ روحك اللعوب الجامحة

(ج) المتعة:

يكفيك أن تعرف أن بودلير يكفيه أن يشم ريح نهدها حتى تتجلى له شواطئ السرور والهناء. وهي نافجة العطر والمبخرة، بل هي حبة مسك ثوت في قرارة روحه ويعترف بأنها صنمه وأنها سر شفاؤه وهنائه فيقول:

إليك يا سر الشفاء والهناء
يا مَلَكِي يا صنمي المَخْلُدَا

وقد تركت رحلات بودلير إلى الجزر والمستعمرات الفرنسية التي يشيع فيها استعمال النساء للطور القوية المُستخرَجة من الطبيعة، أثرًا قويًا في نفسه فهو مُولعٌ بالطور، ولا سيما العطور الطبيعية الفواحة، يقول:

نافجة العطر التي

في الليل مثل المبخرة

تنفحنا بخورها

منسيةً مُستَّره

وقمة متعته، حين يروح لشفاهها الغضة، أن ينفث فيها السم،
يقول:

أي عذوبةٍ تدير مقلتي

حين أروح للشفاه الغضة

أنفث فيك السم يا شقيقتي

وهذا معنى لا يخلو من السادية كما نرى.

ثانيًا: الطبيعة

هناك ظاهرتان تسترعيان الاهتمام في موقفه من الطبيعة: الأولى حبه لها والثانية خوفه منها، وهو عاشق للطبيعة ولا يكاد يخلو شعره في المرأة من مزج جمالها بجمال الطبيعة ولكي يستمتع بالمرأة تُعوزه طبيعة جميلة محيطية به وبها، بل أجمل ما تفعله به المرأة أن تجعل شواطئ السرور والهناء تتجلى له، وكأنه يريد الجمع

بين الماء والخضرة والوجه الحَسَن يقول:

أستاف مُغْمَضًا عيوني

حر نهدك اللطيفِ

في ليلةٍ دافئة

من بين ليلات الخريفِ

* * *

فتتجلى لي شواطئ

السرور والهناء

قد سطعتْ وائتلقَتْ

فيها دُؤوبَةٌ ذُكَاءٌ

ولكنه في الوقت ذاته مُرَوِّعٌ مذعور مما تحويه الطبيعة من رموز للموت والشيخوخة؛ فالخريف شيخوخة، وقطع الأشجار رمز الموت الذي يخافه وينتظره يقول:

صوت سقوط الحطب

الذي يُعد للحريق

يدق قلبي مثلما

يدك برجًا منجنيق

وأحيانًا تُشعره الطبيعة بعجزه الإنساني فيثور ويحاول الانتقام
فيقول:

شعرتُ أن الاخضرار والربيع
فيهما ذلٌّ لنفسِي أو مهانَةٌ
قطفتُ من بين الزهور والورود
زهرةً ردًّا على تلك الإهانَه

ثم أن بودلير يبصر في الطبيعة بحسه الشاعر ما لا يبصر غيره
يقول:

من يبصر الحياة من
علٍ ولكن دون جَهْدٍ
يفهم ما في الصمت من
معنىٍّ وما في قول وردٍ

وهو في صوره يمزج بين الطبيعة والنفس البشرية في
رومانسية حالمة ورمزية عميقة.

ويركز بودلير في أحيانٍ كثيرة على إبراز المُطابَّات، كما
في قصيدته "مُطابَّات"، فهو يُبرز المطابَّات الأفقية بين
الحواس:

إن الطبيعةَ معبَدٌ
ليست دعائمُه مَوَاتٌ
يجتاز فيه المرء
غابات الرموز الكائنات
تتجاوب الأصوات
والألوان فيه والعطورُ

فمفردات هذه المُطابَقة بين الحواس هي الأصوات والألوان
والعطور، كما يُبرز المُطابَقات الرأسيّة بين المادي والروحي،
ومن مفرداتها الطبيعة والرموز.

ثالثاً: النزعة الصوفية

فوق البحار والجبال
والسهول والغيوم
في الغاب والمستنقعات
والضباب والسديم

* * *

أيتها النفس أراكِ
تسرحين في وثاب
كمثل سباحٍ أصابه
الدُّوارُ في العُباب

* * *

تطهّري وحلّقي
في الأفق الأعلى بعيد
عن الروائح التي
في الجو ننتها شديد

هذه المقتطفات من قصيدته «صعود» تمثل تجربة صوفية متكاملة لا ينقصها الوجد ولا اللحظة السرمدية على حد تعبير الصوفية في الشرق إلى درجة أنه يُقرُّ في شعره بوحدة الوجود إذ يقول:

إن الطبيعة معبدٌ
ليست دعائمه مَوَاتٌ
يجتاز فيها المرء
غابات الرموز الكائناتُ
* * *

تتجاوب الأصوات
والألوان فيه والعطورُ
في وحدةٍ سوداءٍ
مُظلمة النواحي والسطورُ

ويتضح كما ذكرنا قبل ذلك أثناء حديثنا عن تجربته الشعرية أن التجربة الشعرية عنده لا تنفصل عن النزعة الصوفية أبدًا، فهو لا يكتب إلا وروحه متحررة منطلقة مشرفة على الحياة من السماوات، مجاورةً النجوم والأفلاك.

بين بودلير وأبي نواس:

لسنا الآن بصدد دراسة مقارنة بين شاعرين، ولكن المتأمل للشعر العربي والفرنسي يجد أن أبا نواس وبودلير ظاهرة فريدة في

الشعر العربي تكررت في الشعر الفرنسي، وقد يكون ذلك بسبب تشابه تكوينهما النفسي، وقد يكون بسبب أثر الثقافة العربية في الأدب الفرنسي ولكن كل هذا لا يعنينا الآن ولا يتسع المجال لبحثه في هذه العجالة، ولكن ما يعنينا هو الإشارة إلى التشابه العجيب بين شعر الشاعرين الكبيرين؛ رغم اختلاف لسانهما وبيئتهما وعلى الرغم من مئات السنين التي تفصل بينهما.

وهناك عدة ظواهر مثيرة للعجب في حياة الشاعرين؛ فمثلاً المرحلة التي عاش فيها أبو نواس كانت مرحلة ازدهار لكل شيء في المجتمع العربي من فلسفة وعلم وأدب، وحتى في باب الاجتهاد والتأليف في الدين، كانت نهضة أفرزت عقولاً مثل الجاحظ وواصلًا ابن عطاء وكثيرين غيرهما.

وقد أشرنا إلى ما كان من نهضة قبل وخلال حياة بودلير في أوروبا والمجتمع الفرنسي. والأغرب من ذلك تشابه الشاعرين في الصفات الجسدية فقد أجمعت المصادر العربية على أن أبا نواس كان ناحل الجسد ضعيف البنية وكذلك كان بودلير، كما كان الاثنان عاشقين للنبيذ ماجنين. وكلنا يعرف عصابة المُجَّان التي كان ينتمي لها أبو نواس. وقد عرضنا أثناء حديثنا عن حياة بودلير لما كان عليه من طيش ومجون دفع أهله للحجر عليه.

وكان بودلير في خبيثة نفسه يحتقر أمه وكذلك كان أبو نواس إذ ذكرت المصادر أنها كانت تجمع بين الرجال والنساء في مقابل المال، كما أن الشاعرين أسرفا في الإقبال على اللذات والنزوات مما زاد جسميهما ضعفاً على ضعف، حيث حضرت الشاعرين المنيّة وكلاهما لم يكمل ستين عامًا، إذ عاش أبو نواس أربعة وخمسين

عامًا وعاش بودلير ستة وأربعين عامًا، أما شعرهما فقد تضمن ألفاظًا صريحة عند الحديث عن جسد المرأة والمتعة، بل كتب أبو نواس كثيرًا من الغلمايات. ويسترعي الانتباه أن أبا نواس ثار على لغة عصره وأعرافه الأدبية واستخدم أحيانًا لغة الشارع في شعره إذ يقول:

«يا رغيْفًا رَدَّه البقالُ يَبْسًا وِصْلابه»

وعارض أيضًا الوقوف على الأطلال وبكاءها، فقد كان شعراء عصره لا يزالون يسيرون على نهج الأقدمين، فعاب عليهم ذلك وخرج عنه وذكر موقفه من ذلك صراحة في مواضع عدة من شعره، ومثال ذلك قوله:

لا تبكِ ربعا عفى بذي سلمٍ وبز آثاره يد القِدم
وعُجُ بنا نجتلي مُخدرَةً نسيما ريح عنبرِ صِرم

ولعل هذا يذكرنا بثورة بودلير على اللغة في شعره. وإذا أردنا أن نُفصّل الحديث في ما في شعر الشاعرين من تشابه فلن يتسع المجال لذلك، ولكن سوف نمرر الكرام على أبيات للشاعرين تُبرز مدى اتفاقهما.

ولسنا في حاجة للبرهنة على أن أبا نواس وبودلير خرجا عن قيم عصرهما الخلقية، وشببا بالمرأة صراحةً بل شبب أبو نواس بالغلمايان أيضًا. ومن يريد أن يستدل على ذلك فعليه بشعرهما يقرؤه.

ولكن الغريب أن المجتمع العربي المحيط بأبي نواس كان أكثر رفقًا به من المجتمع المحيط ببودلير فلم يحذف من شعره شيئًا بل

تداوله الناس كما هو مما يدل على الحرية الفكرية وقتئذ وتعايش جميع الاتجاهات الفكرية فأنتج ذلك عقليات عظيمة وقرائح قل أن يوجد بمثلها عصر.

ويمكننا القول بأن لمجون الشعارين أثره في هذا الشبه الذي لمحناه في شعرهما وإن كان لأبي نواس فضل السبق. ونحن الآن أمام قصيدتين للشاعرين كلتاهما تحكي قصته مع الشيطان!!!

في قصيدة أبي نواس نجد قصة تجمع بينه وبين الشيطان الذي يتهدده أبو نواس بالتوبة وإقامة الفرائض لو لم يجعل حبيبه يرجع إليه وفي النهاية يرضخ له إبليس ويعود له حبيبه ومن القصيدة هذه الأبيات:

لما جفاني الحبيب وامتنعتُ عني الرسالات منه والخبرُ
دعوتُ إبليس ثم قلت له في خلوةٍ والدموع تنهمرُ
إن أنت لم تلق لي المودة في صدر حبيبي وأنت مُقتدرُ
لا قلتُ شعراً ولا سمعتُ غنا ولا جرى في مفاصلي السُّكرُ
ولا أزال القرآن أدْرُسُهُ أروح في درسه وأبتكرُ

والموضوع هنا لا شك حديث ومبتكر ويدل على مدى ثورة أبي نواس على القيم والأعراف الأدبية وعلى سبقه لكثير من شعراء الغرب الذين أولعوا بالشيطان في شعرهم. فللشيطان في شعر أبي نواس مكانة كبيرة وقد ذكره في قصائد عدة، أما قصيدة بودليير فهي تحكي أن الشيطان زاره في الصباح لكي يعرف منه ما هو أجمل ما فيه؟ أي أجمل ما في الشيطان، والشاعر حائر لأن كل ما فيه بديع

ولا يستطيع أن يجيبه، ولكن أشد ما يُبهره في شيطانه هو التناسق الذي في شكله. ولا يخفى على القارئ أن شيطان بودليير هو المرأة التي يعجبه كل ما فيها وفي هذه القصيدة يقول:

ذات صباحٍ زارني في حجرتي
إبليس كي يوقع نفسي في الرذيلَه
سألني أن أنتقي أجمل ما
في جسمه من المفاتن الجميلَه

وكما نرى كان أبو نواس مباشرًا في علاقته مع الشيطان جريئًا وأكثر صراحة. فهو لا يستحي من أن يُعبر عما يجيش في نفسه من تقدير لإبليس وهو يُسخره لكي يأتي بحبّه إليه نادماً على جفائه، أما بودليير فلم يفصل بين عشيقته وبين إبليس فهي شيطانة وهو يخطئ ويقع في المعاصي؛ لأنه لا يقوى على مقاومة إغراء حواء، أما أبو نواس فليس هناك ما يغريه بل هناك جفاء من قِبَل عشيقته أو عشيقه وسعيّ منه هو للرذيلة إلى حد أن يتهدد إبليس ويتوعده بتوبته.

وأخيراً نجد الشاعرين على مدار حياتهما تتنابهما نوبات من الخجل مما كانا يرتكبان من معاصٍ فنجد أبا نواس يقول:

إِهْنَامَا أَعْدَلْكَ مَلِيكَ كُلِّ مَنْ مَلَّكَ
لَبَّيْكَ قَدْ لَبَّيْتُ لَكَ لَبَّيْكَ إِنْ الْحَمْدُ لَكَ

ونجد بودليير في صحوة من ضميره يقول:

في قلب كل رجلٍ
بذلك الوصف جديرٌ
يعيش صلُّ أصفر
الرأس كملكٍ في سريرٍ
يزجره إن قال
إنه لشهوةٍ أسيرٌ

وعندما يحس كلاهما باقتراب نهايته ينظم من الأبيات ما يقر فيه بالخطأ ويضع كل أمله في الله، كما عند أبي نواس، وفي الرب الذي لا يحتاج إلى أن يوجد كي يسود، كما عند بودلير. وكأنما هذه الأبيات التي نظمها هي توبة واعتذار عن كل ما اقترفاه من مآثم. فها هو أبو نواس يقول:

يارب إن عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً فلقد علمتُ بأن عفوك أعظمُ
مالي إليك وسيلةٌ إلا الرجا وجميل عفوك ثم إنني مُسَلِّمٌ

وها هو بودلير يعلن مثل هذا الموقف فيقول:

بوركت يا سوط
العذاب وتبارك الأنينُ
لَمْ تَكْ نَفْسِي فِي يَدِيكَ
مثل لعبةٍ تهونُ

* * *

يا عالِيًا في حِكْمَتِهِ

مُقَدَّسًا في رَحْمَتِهِ

وأتركك الآن أيها القارئ الكريم وكلني أمل في أن تستمتع بشعر
بودلير مثلما استمتعتُ، به راجيًا الله تعالى أن أكون قد وُفقتُ في
نقله بأمانة إلى العربية.

* * *

مختارات من ديوان
« أزهار الشر »
للشاعر الفرنسي « بودلير »

ترجمة
ياسر يونس

Le Guignon

الشؤم

سيزيفُ يُعَوِّزُ هِمَّتِي
عزْمٌ كعزمك في الأمورِ
كيما أقوم بحمل عبءٍ
مثل ذا العبء الكبيرِ

* * *

وبرغم أن القلب لا
ينفك ينبض بالشعورِ
فالوقت محدودٌ قصيرُ
والفن يحتاج الكثيرُ

* * *

وهناك حيث مدافن
الأشراف تبدو من بعيد
ولأجل قبرٍ مفردٍ
فوق الثرى يجثو وحيد
قلبي كدُفٍ صامت
سيدق للموتى نشيد
* * *

كم درة وسط الظلام
ثوت بعيداً في الرغام
عن كل آلات التقصي
والمعاول في الظلام
* * *

كم زهرة نذفت على
مضض أريجاً أو رحيق
عذباً كسر ليس يكشف
وهو في غورٍ سحيق
* * *

Chant d'automne

أغنية الخريف

تغمرنا عمًّا قريبٍ
ظلماتٌ باردةٌ
إذا وداعًا شمس
صيفنا القصير البائدهُ
* * *

فقد بدأتُ أسمع
الأشجار تهوي هامدَه
وصوتها الباكي على
أرضِ الفناء الجامدَه
* * *

سیدخل الشتاء نفسي
كاملاً يحوي شعوره
عناءً وغيظه
وخوفه وزمهريره
* * *

ومثل شمس في جحيم
القطب يُصليها سعيره
يصير قلبي كتلة
حمراء من ثلج كبيره
* * *

صوت سقوط الحطب
الذي يُعد للحريق
يدق قلبي مثلما
يَدُّكَ برَجًّا منجنيقُ
* * *

إن المنصة التي
تُبنى وتُعلَى في الطريق
ما إن لها وقعٌ يفوق
ذلك الصدى الخنيقُ
* * *

لقد غدا يهتز قلبي
تحت دقات تُعادُ
كأن مسماراً لنعش
دُقَّ من أجل الحِدادِ
* * *

لمن؟ فأمسِ الصيفُ مات
والخريفُ اليومَ عادُ
فهذه الضوضاءُ
تعلو للرحيل والبِعادِ
* * *

أعشق في عينيك خُضْرَةً
تَشع كالبريقِ
والحُسنَ عذْبًا بِيَدِ أَنْ
كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ ضِيقُ
* * *

فلا الهوى ولا مجالس
النساء دون سِثْرِ
أو موقدٌ يعدل لي
شعاع شمسٍ عند بحرٍ
* * *

مع ذاك فلتحبني
يا أيها القلبُ الحَدْبُ
كن لي إذا أمًّا ولو
كنتُ كنودًا أو أربُ
أو لا فكن أختًا
لنفسي أو عشيقَةً تُحِبُّ

* * *

أو فلتكن عذوبةً
عابرةً وزائلةً
لذا الخريف ذي البهاء
أو لشمسٍ آفلةً

* * *

عُمُرٌ قَصِيرٌ فَالضَّرِيحُ
ظَامِتًا قَدْ رَقَبَا
أَهْ اِتْرَكِينِي فَوْقَ
رَكْبَتَيْكَ رَأْسِي نُصْبَا
* * *

أَذُوقِ وَحْدِي آسَفًا
صَيْفًا حَرِيقًا مُلْهَبَا
أَوْ بَارِقًا أَصْفَرُ
عَذْبًا لَخْرِيْفٍ ذَهَبَا
* * *

Élévation

صُعود

فوق البحار والجبالِ
والسهول والغيومِ
في الغاب والمستنقعات
والضباب والسديمِ
* * *

مِنْ ها هنا الشمسِ وَمِنْ
هنا الأثير والجُرومِ
حيث حدود الكرة
التي تُرْصَع النجومِ
* * *

أيتها النفس أراك
تسرحين في وثاب
كمثل سباح أصابه
الدُّوار في العُباب
* * *

وفي حُبور تمخرين
ذلك العمق الكبير
بشهوة ليس لها
وصف كشهوة الذكور
* * *

تطهَّرِي وحلِّقِي
في الأفق الأعلى بعيدُ
عن الروائح التي
في الجو نَتْنُهَا شديدُ
* * *

ولتشربي النار التي
تملاً رائق الفضاءِ
كأنها الخمر التي
يعصر أرباب السماءِ
* * *

خلف الشجون والجوى
والسَّامَ الرحب القميءُ
إذ تجعل الكون الضبابي
بثقلها مليءُ
* * *

يسعد من يَحملهُ
جناحه العاتي المكينُ
نحو الحقول الغارقات
في الضياء والسكونُ
* * *

من يملك الأفكار مثل
القُبُرات في الصبَاحِ
وهي تحوم في السماء
حُرَّةً على جناحِ
* * *

من يُبصر الحياةَ من
عَلٍ ولكنْ دونَ جَهْدِ
يفهم ما في الصمت من
معنى وما في قولٍ وَرَدِ
* * *

Parfum exotique

العطر الفريد

أستاف مُغْمَضًا عِيُونِي
حَرَ نَهْدِكِ اللَّطِيفِ
فِي لَيْلَةٍ دَافِئَةٍ
مِنْ بَيْنِ لَيْلَاتِ الْخَرِيفِ
* * *

فَتتَجَلَى لِي شَوَاطِئُ
السَّرُورِ وَالْهِنَاءِ
قَدْ سَطَعَتْ وَاتْتَلَقَتْ
فِيهَا دَوْوَبَةٌ ذُكَاءٌ*
* * *

* ذُكَاءٌ: من أسماء الشمس.

جزيرةً كَسَلَى تجودها
الطبيعة السخِيَّةُ
ترزق أشجارًا فريدةً
وأثمارًا شهِيَّةً
* * *

وفتيَّةً لهم جُسُومٌ
سمهريَّات قويَّةُ
ونسوَّةٌ يخلبن ذا
اللب بنظرات جليَّةُ
* * *

يقودني فوح شذاك
صوب أجواء البدع
أبصر مرفأً مليئاً
بالسواري والشرع
منهكةً لما تزل
من طول ما الموج صرع
* * *

في حين عطر الشجر
الهندي يذكو عاطرا
يملاً روعي مع أغاني
المُبحرين دائرا
* * *

Le Flambeau vivant

المِشْعَلُ الحَيُّ

تمشي أمامي هذه
العيون مَلَأَى بالضياءِ
مغنطها يوماً ملائِك
حاذقٌ دونِ مِراءِ
آلهةٌ يجمع بينهم
وبيني الإخاءِ
وفي عيوني هدهدوا
نيران ماسٍ كالضياءِ
* * *

يؤمّنون سكتي
من الفخاخ والرذيلَه
وهم يُسَيِّرون خُطواتي
على درب الفضيلَه
* * *

فهم عبيدي وأنا
أيضاً لهم عبدٌ مطيعُ
كل كياني أمرَ هذا
المِشعل الحي يُطيعُ
* * *

تلك العيون الساحرات
نورها نور التُّقى
كمثل شمعٍ قد رَعَاهُ
النور حتى ائْتَلَقَا
والشمسُ تَحْمَرُّ ولا
تُطفئُ فيه الألقَا
* * *

يا أنجمًا لم تستطع
إطفاءِ ضوئها ذُكَاءُ
تُمجِّدين العيش إذ
يحتفلون بالفناء
ماشيةً يَقْظَتِي
تُمجِّدين بالغناء
* * *

**Je t'adore à l'égal de la voûte
nocturne**

بِكِ أَهِيْمٍ مِثْلَمَا بِقُبَّةِ اللَّيْلِ أَهِيْمٍ
(رَبَّةِ الْحُسْنِ السُّوْدَاءِ)

بِكِ أَهِيْمٍ مِثْلَمَا
بِقُبَّةِ اللَّيْلِ أَهِيْمٍ
يَا رَبَّةِ الصَّمْتِ وَيَا
أَنِةً تَحْوِي الْهَمُومَ
* * *

يَزِيْدُ فِي حُبِّيكَ أَنْ
صَدَدْتِ عَنِي جَافِيَهُ
وَأَنْ بَدَوْتِ تَمْلِيْنِ
زِيْنَةً لِيَالِيَهُ
* * *

هازئةً تُباعدين
بالصدود والجفاءِ
بين ذراعيٍّ وبين
هالةٍ من الصفاءِ
* * *

إليكِ عارجٌ أنا
يدفعني الإقدام دَفعا
كفوج ديدانِ غدا
في جسدٍ قد ماتٍ يرعى
* * *

أيتها الضاريةُ
التي كأنها حَجَرٌ
سوف أظل عاشقًا
حتى يصيبكِ الضجرُ
فتصبحين عندها
أحلى وأسمى في النظرُ
* * *

Hymne

أنشودة

إليك يا أغلى وأجمل النساء
إليك يا من ملأت قلبي ضياءً

* * *

يا ملكي يا صنمي المُخلِّدا
تحيةً سوف تعيش أبداً

* * *

هي تفيض في حياتي
المِلح نَسَمَاتٍ زَكِيَّةُ
وسكبت طعم الخلود
داخل النفس الظَمِيَّةُ

* * *

نافجةُ العِطْرِ التي
في الليلِ مثلِ المِبخِرةِ
تنفحنا بخورها
مَنسِيَةً مُسْتَرَّةً

* * *

هِيهَاتَ أَنِي أَيُّهَا
الحُبُّ المُطَهَّرُ الصَّحِيحُ
مهما يكن وصفي فلن
يكون صادقاً صريحاً
يا حَبَّةَ المسكِ التي
في جوفِ نَفْسِي لا تلوخُ

* * *

إِلَيْكِ يَا أَحْلَى وَأَجْمَلَ النِّسَاءِ
إِلَيْكِ يَا سِرَّ الشِّفَاءِ وَالْهِنَاءِ

* * *

يَا مَلَكِي يَا صَنَمِي الْمُخَلَّدَا
تَحِيَّةً سَوْفَ تَعِيشُ أَبَدَا

* * *

L' Avertisseur

النذير

في قلب كل رجلٍ
بذلك الوصف جديرٌ
يعيش صلُّ أصفرٌ
الرأس كملك في سريرٍ
يزجره إن قال
إنه لشهوةٍ أسيرٌ
* * *

إن أبحرت عيناك في
بحر العيون الساكنات
لرَبَّةِ الغابات أو
حُور البحار الفاتنات
يَقُلُّ لك الناب
عليك إن نسيت واجبات
* * *

فَلْتُنْجِبِ الْأَطْفَالَ
وَلْتُغْرِسْ بِذورًا لِلنَّمَاءِ
نَقِّحْ سَطُورَ الشَّعْرِ ثُمَّ
انْحِتْ رُخَامًا لِلْبَقَاءِ
يُصْبِحُ سَوَالُ النَّابِ هَلْ
أَنْتِ سَتَحِيَا فِي الْمَسَاءِ ؟
* * *

مَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمَلٍ
الْمَرْءُ وَمَا يُخْفِي الضَّمِيرُ
لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ
الْمَرْءُ لِحِظَةً تَسِيرُ
مَنْ غَيْرِ أَنْ يُرْهَقَهُ
عَذَابِ صَلِّهِ النَّذِيرُ
* * *

Correspondances

مُطَابَقَات

إن الطبيعة معبدٌ
ليست دعائمه مَوَاتٌ
وتذيع أحياناً كلاماً
مُبَهَمًا كالغمغماتُ
* * *

يجتاز فيه المرء
غابات الرموز الكائناتُ
تلك التي ترنو إليه
في هدوءٍ حانياتُ
* * *

تتجاوب الأصواتُ
والألوان فيهِ والعطورُ
في وحدةٍ سوداءَ
مظلمةِ النواحي والسطورُ
* * *

ممتدة كالليل أو
ممتدةً كجلاء نورٍ
هي مثل أصداءٍ تلاقت
من بعيدٍ في الأثيرِ
* * *

ومن العطور روائحُ
تندى كأجسام الصغارِ
ولها شذاً عذبٌ
كمزمار وأخضر كالبراري
وهناك ما هو نافذٌ
يطغى ويقهر في انتصارِ
* * *

وله اتساع اللانهاية
مثل شبيءٍ لا يُحدُّ
كالمسك أو كالعنبر
الفَوَّاح أو كرحيق نَدُّ
تتلو نشيداً لانتشاء
الروح أو سُكَّر الجسدُ
* * *

A celle qui est trop gaie

إلى المرحّة مفرطة المرح

وجهك العذب سَمْتُهُ لفتاتك
هي أحلى من روضة قَسَمَاتك
* * *

كالنسيم العليل تبدو سماتك
حين تلهو في خدهِ ضحكاتك
* * *

أنتِ تمرين بقلب دَنَفِ
فتبهرينه بفراطِ صَحْتِكِ
* * *

كأنها ينبوع نور دافق
من ساعديك شعَّ أو ترقوتك
* * *

ألوانك الصارخة الصاخبة
التي نثرت في رياض زينتك
* * *

تلهم فكر الشعراء الناظرين
صورة لمرقص في جنتك
* * *

جعلت أثوابك تلك الفاضحة
شعار روحك اللعوب الجامحة
* * *

مجنونة بي تيمتني فتنك
بقدر ما يهواك قلبي أمقتك
* * *

أذكر يوم كنتُ في حديقة
مجرجراً أوصال جسمي الخائِرةُ
* * *

أحسستُ ضوء الشمس ضحكة
عَلَّتْ
وأخذتُ تشق صدري ساخره
* * *

شعرتُ أن الاضرار والربيع
فيهما ذلٌ لنفسي أو مهانهُ
* * *

قطفتُ من بين الزهور والورود
زهرةً رداً على تلك الإهانهُ
* * *

كم أشتهي أمسيةً من الجنون
في ليلاها تحين ساعة المُجون

* * *

أدبٌ كاللص الخسيس في سكون
إلى كنوز جسمك الغالي المصون

* * *

أودبُ الجسم الطري
ذا الثنايا المُبهره

* * *

أضرب نهدك الذي
قد نال مني المغفره

* * *

أطعن في خاصرة
مشدوهةً وحائره
* * *

بطعنة غادرة
شديدةً وغائره
* * *

أي عذوبةٍ تدير مُقلتي
حين أروح للشفاه الغضة
* * *

يبهر وجداني دوام الجدة
أنفث فيك السم يا شقيقتي
* * *

Paysage

لوحة طبيعية

كيما أصوغ بأمانة
أناشيد الغناء
أريد أن أرقد
كالمنجمين في السماء
* * *

أجاور الأجراس كي
تسمع أذني في هناء
ما تحمل الرياح من
غنائها حلو البهاء
* * *

يدي حول دَقْنِي
أبصر من سقْفٍ بعيدُ
ذا المَشْغَلِ الَّذِي يَضْجُ
بالكلام والنشيدُ
* * *

مدينةٌ فيها السواري
والبروج والبُنودُ
سماؤها تجعلنا
نحلم أحلام الخلودُ
* * *

ما أروع السماء في
وقت ولادة النجوم
ما أجمل المصباح في
نافذةٍ عبر الغيوم
* * *

وفي السما تصعد أنهارٌ
من الفحم البهيم
و القمر الذي يصبُّ
ضوءه البالي القديم
* * *

سوف أرى الربيع
والصيف وبعده الخريفُ
وحينما يأتي الشتاء
صاحب الثلج السخيفُ
* * *

أغلقِ حولي المصاريع
وأسدل السُّجوفُ
كيما أشيد قصري
المسحور في الليل الكسيفُ
* * *

وعندها أحلم
بالآفاق تبدو في صفاء
بقُبَلِ والطير يشدو
في الصِّباح والمساء
والماء فوق المرمر
المصقول يجري كالبكاء
* * *

وكل ما في أغنيات
الحُب من طفولة
فالهِرَجُ الذي تراه
العين من شُرْفَتِي
لن يستطيع رفع رأسي
من على مكتبتي
* * *

لأنني سوف أكون
غارقاً في لذتي
أستحضر الربيع
وحدي ومعني إرادتي
* * *

وبينما أجدب شمساً
من فؤادي واحدة
أصنع جواً دافئاً
من نار فكري الصاخده
* * *

Le Portrait

الصورة

الداء والموت هما قد صنعا
كل رماد الشُّعْلاتِ الخائياتِ
من العيون الواسعاتِ والتي
تغمرنا بالنظراتِ الحائياتِ
من ذلك الفم الذي قد أغرق
القلبَ ومن قُبُلَاتِهِ ذِي الشَافِيَاتِ
ومن حياة حركاتٍ قد غدت
أشدَّ من شعاعِ شمسٍ بادياتِ

* * *

أيتها النفس إذن ماذا سيبقى
بعد هذا؟! يا القسوة المماتِ
لا شيء غير صورةٍ شاحبةٍ
خُطت بأقلام الرصاص الباهتاتِ
وهي تموت في انعزالٍ وحدها
ومثلما في وحدةٍ ألقى مماتي
* * *

كم هو شائنٌ عجوزٌ دهرنا
وهو يحك كالغراب الخافياتِ
فأنت يا سفاحنا الأسودَ
قاتل النفوس والفنون والحياةِ
مهما جرى فأبدًا لن تستطيع
قتل من حفظتُ في مذكراتي
فهي التي قد أسعدتني وهي من
قد صنعتُ مجدي وفخري في حياتي
* * *

Sur Le Tasse en prison d'Eugène Delacroix

الشاعر «تاسو» * في السجن
بريشة: «أوجين ديلاكروا»

وبينما الشاعر في
زنزانة يوماً مُقيمٍ
هيئتهُ شعثاء عاري
الصدر جسمهُ سقيمٍ
* * *

قد أخذتْ أقدامهُ
مُختلجاتٍ في اضطرابٍ
من تحتِهِ تطوي
صحائفًا لمخطوط كتابٍ
* * *

* "تاسو": شاعر إيطالي شهير انتهت حياته في مستشفى الأمراض العقلية، وكان الرسام الشهير "أوجين ديلاكروا" رسم له لوحة صوره فيها داخل سجن، ومن هذه اللوحة استوحى بودلير هذه القصيدة.

وفي عيونه أضاء
الذعرُ نظرةً سرّت
لسلّم الدُّوارِ حيث
روحه تكسّرت
* * *

وكل هذي القهقهات
المالئات السجّن حوْلَه
نحو المُحال والغريب
أصبحت تحت عقلَه
* * *

الشكُّ محدقٌ به
والخوفُ حوْلَه يدورُ
تعددت أشكاله
وصار تافهاً نكيرُ
والعبقري قد غدا
حبيس كوخه الحقيزُ
* * *

هذا العُبُوسُ والصُّرَاخُ
والطُّيُوفُ المَائِجَةُ
أفْوَاجُهَا من خَلْفِ
أذُنِهِ تَطِيرُ هَائِجَةً
* * *

يا حَالِمًا يوقِظُهُ
الهُولُ الَّذِي قد أَفْرَعَهُ
شَعَارِكُ الرُّوحِ التِّي
كُلُّ رِوَاها مُفْرِعَةٌ
حَبِيسَةُ الوَاقِعِ من
جَدْرَانِ سَجْنٍ أربَعَهُ
* * *

La Mort des amants

موت العاشقين

سوف تكون عندنا أسرَّةٌ
ذات عطور هادئات كامنهُ
وستكون عندنا أرائكُ
عميقة عمق القبور الساكنهُ
* * *

وأزهُرٌ نادرةٌ مرصوصهُ
فوق الرفوف العاليات الكائنهُ
وتحت أروع السماوات تفوح
في المكان بالعطور الفاتنهُ
* * *

سوف تكون مُهْجَتَانَا شَعْلَتَيْنِ
تلمعان مثل مِشْعَلِي ضِيَاءِ
تستنفدان جذوتيهما وتعكسان
من نورهما حتى الفناء
داخل رَوْحِينَا اللَّتَيْنِ صَارَتَا
من المرآيا توأمين في السناء
* * *

وفي مساءً لونه لون الورد
صيغ من زرقه فردوس مَكِينُ
يمر بيننا وميضٌ مفردٌ
مثل زفيرٍ للوداع والحنين
* * *

وبعده يأتي إلينا مَلَكُ
تملؤه البهجة مسرورٌ أمينُ
يُنْعَشُ كل الشُّعْلَاتِ الخَابِيَاتِ
والمرآيا الصَّدَائِتِ فِي العَيُونِ
* * *

La Mort des pauvres موت الفقراء

الموت يمنحنا العزاء
وصَبَرْنَا! واحسرتاهُ
وهو الذي يهب الحياةَ
ووحدهُ طوقُ النجاةِ
* * *

هو ذلك الأمل الوحيد
وكل مغزىٍ للحياةِ
هو مثل إكسير
يُغذيُّنا ويُسكِرنا شذاهُ
* * *

ولكي نسير إلى المساء
يصب في القلب الوقودُ
عبر العواصف والثلوج
وفوق أكوام الجليدُ
* * *

هو ذلك الضوء الذي
في أفقنا الخابي يسودُ
والفندق المعروف
من أجل المآكل والرُقودُ
* * *

هذا هو المَلَكُ الذي
حملتُ أصابعه العجيبه
سرَّ الخلود إلى الرُقَادِ
مع المنامات الغريبه
ويَعُدُّ للعاري السريرَ
وللفقير بكل طيبه
* * *

هو مجد أرباب السماء
ويبدرٌ يحوي الغرائبُ
الموطن الأزلي
للفقراء من كل النوائبُ
* * *

هو بَدْرَةٌ مملوءةٌ
تهب المساكين الرغائبُ
الموت بابٌ للؤلؤج
إلى سماوات العجائبُ
* * *

La Mort des artistes موت الفنانين

كم مرة يَلْزَمُ أن
أبكيَ بالدمع الصبيبُ
أَطْبَعُ قُبْلَاتِي على
جبينك الفظ الكئيبُ
* * *

كيما تصيب أسهمي في
ذلك المرمى الغريبُ
أيتها الجعبة كم
يُخطيء سهمي كي يُصيب؟
* * *

وفي دسائسٍ نَهْدُ
روحنا من غير طائل
ونفقد الكثير والكثير
من كل الوسائل
* * *

كي نشهد الخلق البديع
مائلًا في العين هائل
ونكتوي شوقًا إلى
رؤيته من دون حائل
* * *

هناك من لم يعرفوا
أي إلهٍ يعبدونُ
من حملوا إزميلهم
ووصمة العارِ المُشينِ
هم الذين يَنحتونَ
الصدرَ ثمَّ والجبينِ
* * *

لا أملٌ لهم سوى
صُنعِ بنايةٍ مجيدهِ
كي يأتيَ الموتُ المُطلُّ
مثلما الشمسُ الجديدهِ
مُفجراً إبداعهم
مثل زُهيراتٍ وليدهِ
* * *

الفهرس

- 7.....إهداء إلى قُرَاء الشعر.
- 9.....إهداء إلى رور الءءءور محمد عناني.
- 11.....ءلائون عامًا مع الشعر.
- 15.....ءيوان أءءاء ءائرة.
- 20.....رسالة إلى فاروق الأول.
- 23.....مولء شاعر بقلم ء. محمد عناني.
- 31.....ءيوان رسالة إلى امرأة.
- 37.....هذا الءيوان، بقلم ء. محمد عناني.
- 40.....رسالة إلى امرأة.
- 42.....لا ءءسببني عاشقًا.
- 44.....هبيء الكأس.
- 46.....بين الأنوءة والطفولة.
- 49.....بقايا الصبا.
- 52.....شيطانة الءان.
- 55.....عاءء.
- 61.....سألء من أنا في الكون.
- 65.....ءكاية.

67.....	ما ضاع من سنوات.....
68.....	نأي الديار.....
69.....	حواء.....
70.....	عَبْرَات الشوق.....
72.....	حببتي الدُّمية.....
74.....	بَعْدَ الرحيل.....
76.....	إِحْـار.....
78.....	حوار مع البحر.....
80.....	سؤال للبحر.....
81.....	البحر.....
87.....	من كلام الحاكم بأمره.....
89.....	تقرير من وزير الحاكم بأمره.....
91.....	رُقية البركة.....
93.....	حوار بين الطاغية ومرآته.....
96.....	تهنئة بوسنية بعيد الميلاد.....
98.....	تهنئة بالعيد من الأرض المحتلة.....
101.....	كَافُورِيَّة.....
104.....	أمة العرب.....
107.....	سفر الخُروج.....
109.....	رسالة إلى يسوع.....

- 112.....الكون الجديد.
- 113.....نحن والزمان.
- 115.....العُمر الضائع.
- 117.....فَخَرُّ على طريقة القُدماء.
- 120.....البُـرْدَة.
- 123.....في رثاء موسيقار الأجيال ..
- 129.....ديوان ليالي شهرزاد.

شهرزاد الأسيرة

- 134.....ليالي شهرزاد.
- 138.....حكاية العجل المظلوم.
- 143.....أورشليم.
- 146.....شهيد العجز العربي.
- 148.....في رثاء الفتى العربي.
- 151.....بغداد تخاطب القومية العربية.
- 154.....أحزان مواطن.
- 157.....مَولاي الرئيس.

من أغاني الزمن الرديء

- 162.....من أغاني الزمن الرديء.
- 172.....المسيح التائه.
- 175.....العشاء الأخير.

- 177.....سؤال
- 179.....في انتظار النبأ
- 182.....أنشودة عيد الفصح

الآهات الأخيرة

- 188.....الآهات الأخيرة
- 190.....قُربان
- 193.....عاصفة
- 195.....إلى زبيدة
- 197.....فتنة عربية
- 200.....نصيحة
- 202.....نهاية أمنيات
- 204.....إلى هذه الشمس
- 207.....عيناك

بيت العنكبوت

- 210.....إلى المتنبى بعد ألف عام
- 214.....حنين
- 217.....سؤال للبحر
- 219.....ثرثرة
- 222.....حقيقة
- 226.....متاهات

229.....	رَبَّةُ الشُّعْر.....
233.....	في انتظار الربيع.....
236.....	فِرَار.....
238.....	إلى الإنسان.....
242.....	في مدى التَّيه.....
245.....	سراب.....
247.....	حنانيك.....
251.....	ديوان الكل يصفق للسلطان.....

من أوراق الأزمة

257.....	(1) السلطان.....
258.....	الكل يصفق للسلطان.....
261.....	(2) الإرهابي.....
262.....	الإرهابي الدجال.....
265.....	(3) الحكيم.....
266.....	الحكيم والحقيقة.....
269.....	(4) الشاعر.....
270.....	الشاعر والحيرة.....
281.....	(5) الأزمة 2001.....
282.....	الأسد المجنون.....
284.....	السقوط 2003.....

286.....النهاية

إلى روح الدكتور سيد القمني

290.....إلى الدكتور سيد القمني

من أوراق الغربة

294.....رؤيا التَّيه

298.....رؤيا السجن

302.....المحال

304.....على صليب الاغتراب

307.....تمرُّد

310.....في مدى اللانهاية

313.....الانتظار في كُوَّة الليل

316.....الروح الطليقة

318.....قلب الشاعر

320.....نهاية شاعر

322.....على ضريح النهار

325.....عودة سندباد

المرأة الحُلم

330.....المرأة الحُلم

331.....الحُلم السَّرمدي

334.....هكذا يعيش الشعراء

- 340.....أنشودة الغرق.....
- 343.....في هواك أعتال الشباب.....
- 345.....ليلة قبل اللقاء.....
- 347.....سنلتقي بعد حين.....

ورقة سكندرية

- 350.....ريشة في عُباب البحر.....

ورقة حزينة

- 354.....رثاء شاعر.....
- 357.....ديوان لا تُعارض.....
- 360.....لا تُعارض.....
- 363.....شهرزاد تتحدث بعد صمت طويل.....
- 366.....خُطوم الفيل.....
- 369.....النواطير والتعلب.....
- 371.....السقوط في سرير الطواشي.....
- 373.....المزاد.....
- 375.....صهوة الخيل والنعال.....
- 378.....آخر ما قال الحاكم بأمره.....
- 380.....الرقص فوق المَحْرَقَة.....
- 383.....الشاعر الصالح.....

قصائد من نشيد الاغتراب

- 388.....النداء المكتوم.
- 391.....صليب البُرْحاء.
- 394.....بلا أمل أسير.
- 397.....ذبول الأفاعي.
- 400.....وساوس خريفية.
- 403.....كان يغني.
- 405.....خَلَّفَ القوافي.
- 409.....اعتراف.
- 412.....الشاعر المجنون.
- 415.....قلِّق.
- 418.....السَّوافي الهُوج.
- 421.....الدرب الأخير.
- 424.....أرض المَعَاد.

رُباعيات الزمن الرديء

- 428.....رُباعيات الزمن الرديء.
- 451.....ديوان صليب باخوس العاشق.
- 455.....إهداء إلى العقول الحرَّة.
- 458.....سقوط الأقمعة (2013).
- 460.....دَيِّدَن الجَراد.

- 464.....بُشرى مشؤومة
- 466.....الدائرة
- 469.....وهُمُّ الخازوق
- 472.....اختلال
- 476.....حَتْمِيَّة تاريخية
- 479.....الوريث
- 484.....الزمان الخطأ
- 486.....واحة الظمأ
- 488.....الصليب اختيار
- 490.....زيت الفتيل
- 492.....صليب الشتاء
- 494.....أباييل الغبار الأسود
- 498.....انطلاق
- 502.....متى؟ وكيف؟ وأين؟
- 504.....صنمُ الجَمال
- 506.....استغاثة
- 510.....نفخَةُ رُوح
- 513.....مِشْنَقَةُ العندليب
- 516.....رقطاءُ النوء
- 519.....كأسٌ وحاُنٌ وبِغْي
- 526.....أحلامٌ باخوس

541.....	ترجمة مختارات من ديوان أزهار الشر.
545.....	تمهيد
572.....	الشُّؤْم
574.....	أغنية الخريف.
581.....	صُعود
586.....	العطر الفريد.
589.....	المِشعل الحي.
592.....	بكِ أهيم مثلما بقُبَّة الليل أهيم.
594.....	أنشودة.
597.....	النَّذير.
599.....	مُطَابَقَات.
602.....	إلى المَرحة مُفرظة المَرَح.
607.....	لوحة طبيعية
613.....	الصورة.
615.....	الشاعر «تاسو» في السجن.
618.....	موت العاشقين.
620.....	موت الفقراء.
623.....	موت الفنانين.
638.....	الشاعر في سطور.

الشاعر في سطور

الشاعر ياسر محمود يونس وشهرته ياسر يونس.
عضو اتحاد كتاب مصر منذ عام 1995.

- وُلد في مدينة الإسكندرية في السادس عشر من ديسمبر عام 1969.
- تخرج في قسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية عام 1991.
- حصل على درجة الدراسات العليا في الإدارة من كلية ستونبريدج بالمملكة المتحدة.
- حصل على دبلوم في الصحة العامة من جامعة مينيسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية.
- هاجر إلى سويسرا عام 1995.
- عمل مترجمًا لدى عدة منظمات تابعة للأمم المتحدة، وتولى منصب مدير إدارة الترجمة العربية في المقر الرئيسي لمنظمة الصحة العالمية في جنيف بسويسرا.
- قام بتدريس الترجمة العربية في كلية الترجمة بجامعة جنيف في سويسرا واستقال منها عام 2012.
- تقاعد عن العمل مؤخرًا ليركز على مشروعه الأدبي.

صدرت له الأعمال التالية:

_ ديوان «أصداء حائرة»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،
1993 م.

– ديوان «رسالة إلى امرأة»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995 م.

– ترجمة مختارات من ديوان «أزهار الشر» للشاعر الفرنسي بودلير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، طبعة أولى، 1995 م.

– ديوان «ليالي شهرزاد»، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 2001 م.
– ديوان «الكل يصفق للسلطان»، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2003 م.

– ديوان «لا تُعارض»، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2007 م.
– ترجمة مختارات من ديوان «أزهار الشر» للشاعر الفرنسي بودلير، طبعة ثانية مزيّدة ومنقّحة، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2023 م.

– الأعمال الشعرية (1993-2023)

من كُتاب موقع «الحوار المتمدن» حيث ينشر بانتظام مقالات تتناول التاريخ الإسلامي بنظرة نقدية تعتمد العقل معيارًا وتتجرد من الأهواء الأيديولوجية.

للتواصل مع الشاعر:

yasserpoet@gmail.com



الشاعر ياسر يونس

وُلد في مدينة الإسكندرية في 16 ديسمبر عام 1969.

تخرج في قسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية عام 1991.

حصل على درجة الدراسات العليا في الإدارة من كلية ستونبريدج بالمملكة المتحدة.

حصل على دبلوم في الصحة العامة من جامعة مينيسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية.

هاجر إلى سويسرا عام 1995.

عمل مترجماً لدى عدة منظمات تابعة للأمم المتحدة، وتولى منصب مدير إدارة الترجمة العربية في المقر الرئيسي لمنظمة الصحة العالمية في جنيف بسويسرا.

صدرت له الأعمال التالية:

- ديوان «أصداء حائرة»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993

- ديوان «رسالة إلى امرأة»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995

- ديوان «ثلاثي شهرزاد»، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 2001

- ديوان «الكل يصفق للسultan»، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2003

- ديوان «لا تُعارض»، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2007

- ديوان «صليب باخوس العاشق»، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2022

- ترجمة مختارات من ديوان «أزهار الشر» للشاعر الفرنسي بودلير إلى الشعر العربي طبعه أوّل، 1995، وطبعة ثانية مزيّدة ومنقّحة، 2023

- الأعمال الشعرية (1993-2023)

إلى قراء الشعر وعشاق العربية أضع بين أيديكم خلاصة ثلاثين عاماً من الشعر الموزون المقفى محملاً بأفكار الحداثة وخيالات الشعر المعاصر، أقدم لكم ستة دواوين بدأت نشرها منذ عام 1993 وحتى عام 2023 بالإضافة إلى الطبعة الثانية المزيّدة والمنقّحة من ترجمتي الشعرية لمختارات من ديوان "أزهار الشر" للشاعر الفرنسي الشهير "شارل بودلير".

وقد أثرت أن أنشر الدواوين بترتيبها الزمني كي يتسنى للقراء الاطلاع على تجربتي مع الشعر منذ البداية الكلاسيكية المحضّة إلى بناء عالمي الشعري الخاص شينا فشنا وخصوصاً منذ ديواني الثالث "ليالي شهرزاد" وانتهاءً بأحدث دواويني "صليب باخوس العاشق".

ISBN 978-2-8399-3854-9



9 782839 938549 >